المكتبة القبطية على الانترنت

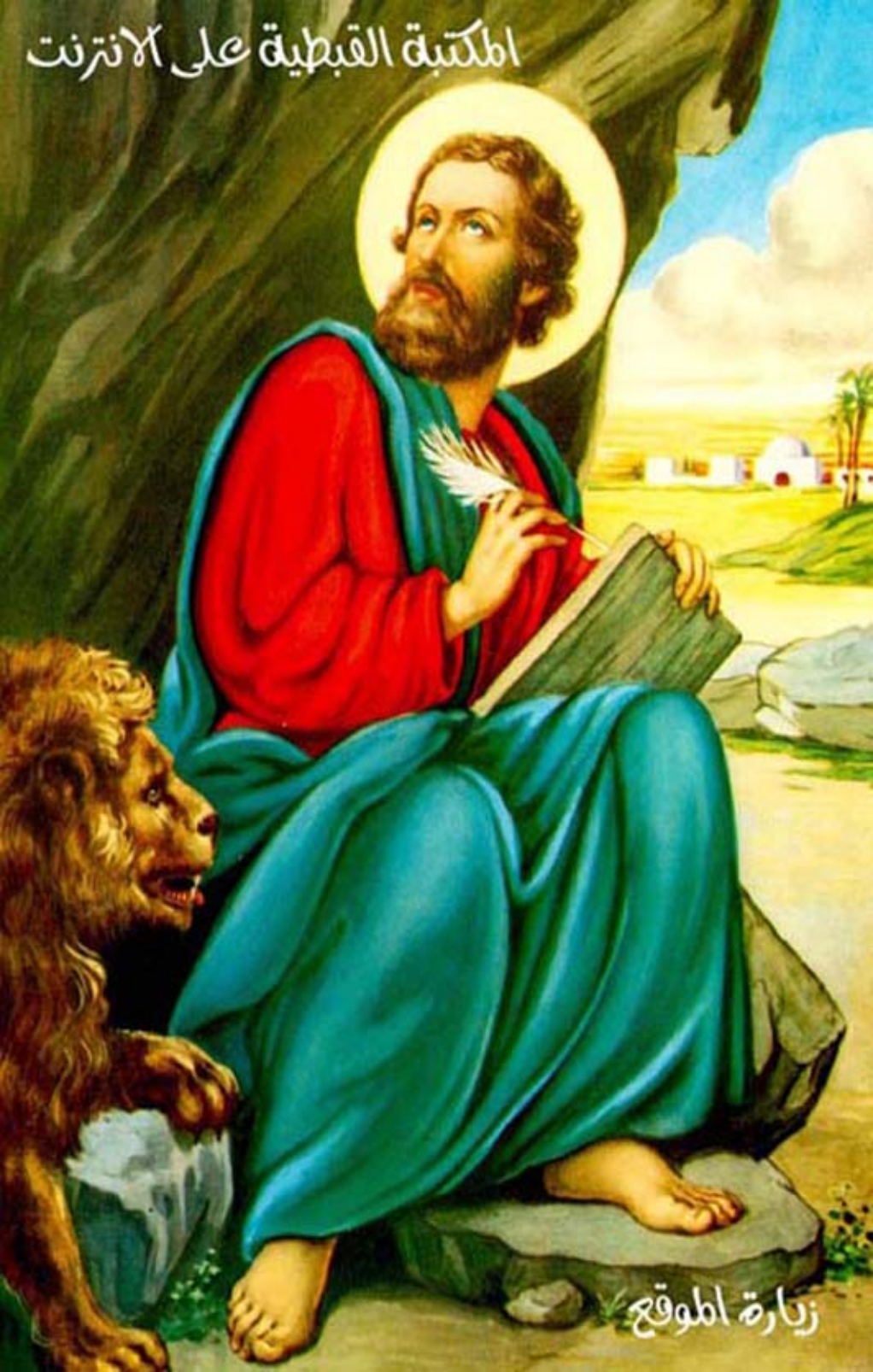

زيارة الموقع

سمو الرهبنة

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

خدمة الشباب

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

خمسة أجزاء في مجلد واحد

مطرانية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

سمو الرهبنة

الأنبا متاؤس
الاسقف العام

قداسة البابا المعظم

الأنبا شنوده الثالث

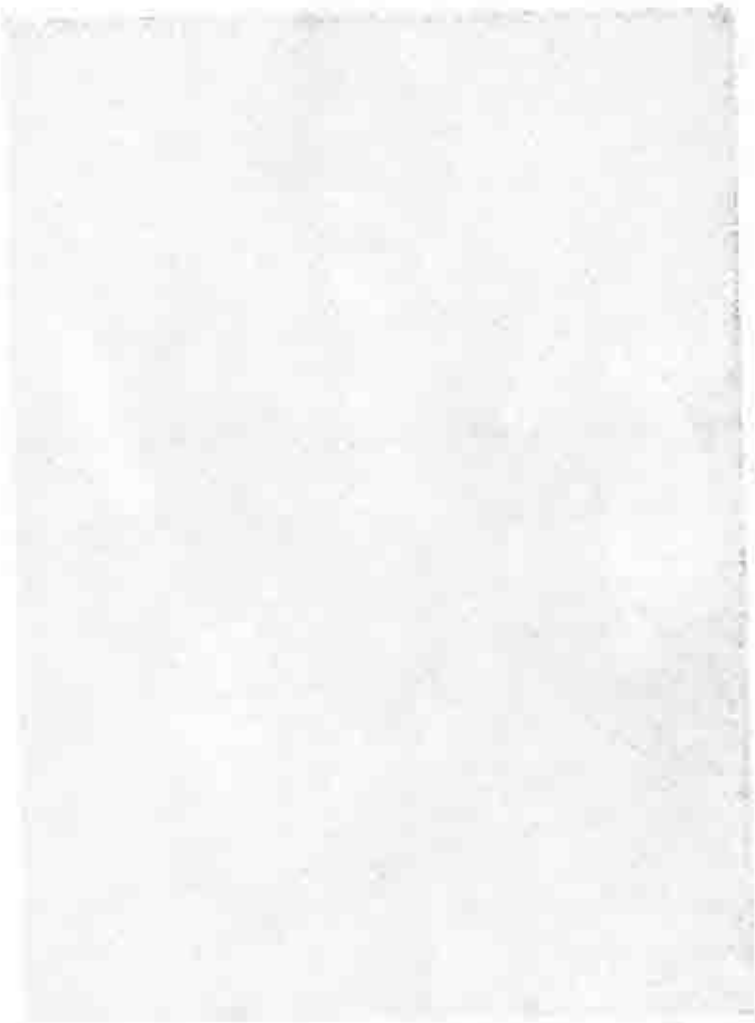

باسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

ظهر كتاب « الدعوة الرهبانية » الى النور سنة ١٩٧٣ ، وظهر الجزء الرابع والأخير من كتاب « سمو الرهبنة » سنة ١٩٨٣ . وخلال هذه الفترة الطويلة ظهرت الأجزاء الأول والثانى والثالث من الكتاب على فترات متقطعة متباعدة وبكميات قليلة ، مما جعل الكثيرين لا يحسون به ولا يستطيعون اقتناءه متكاملا .

لذلك رأينا اعادة طبع كتاب الدعوة الرهبانية والأجزاء الأربعة لكتاب سمو الرهبنة ـ وبترتيب جديد للفصول ـ فى هذا المجلد الواحد حتى يكون متكاملا ومرجعا وافيا فى هذا الموضوع الحيوى الهام الذى يتعطش الكثيرون من الشباب للاستزادة من معرفته والتعمق فى فهمه ، فالرهبنة رغم كل ما كتب ويكتب عنها ، هى حياة عميقة محاطة بالأسرار والمستورات .

لقد أحببت الرهبنة ، وعشتها بكل حب واشتياق واخلاص فى دير السريان العامر ، وقرأت الكثير عنها فى كتب الآباء قديمها وحديثها ، وقد تعودت لفترة من الزمان اثناء وجودى فى دير السريان أن أكتب موضوعين رهبانيين فى كل عام ، احدهما فى تذكار مجيئى الى الدير والآخر فى تذكار رهبنتى .

ومن حصيلة هذه المقالات والتأملات بعد ترتيبها وتنسيقها كان هذا الكتاب الذى بين يديك ايها القارىء العزيز عن سمو الرهبنة وعظمتها كحياة ملائكية سامية وكحياة مسيحية عميقة هى فى حقيقة الأمر المسيحية الحقيقية الانجيلية فى عمقها وفى جوهرها .

ليصحب روح الله القدوس كل كلمة فى هذا الكتاب ويمسحها بمسحة مقدسة حتى يكون هذا الكتاب سبب بركة وعمق روحى يسمو مسيحى حقيقى لكل من يقراه ٠

بشفاعة امنا العذراء القديسة مريم وبطلبات القديس العظيم الأنبا انطونيوس ابو رهبان العالم كله ٠

وبصلوات ابينا صاحب القداسة البابا الأنبا شنوده الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية سيادة الأنبا داوستس رئيس دير السريان باعت رعينة هذا الزمان ٠

ولالهنا المجد الدائم فى كنيسته وفى ادبرته الى الأبد آمين ٠

الأنبا متاؤس
الاسقف العـــام

١٥ يوليه ١٩٨٤ م
٨ أبيب ١٧٠٠ ش

تذكار نياحة القديس العظيم الأنبا بيشوى الراهب العظيم والرجـــل الكامل حبيب مخلصنا الصالح ٠

مقدمة كتاب الدعوة الرهبانية
فى طبعته الاولى

لصاحب النيافة المحبر جزيل الاحترام الأنبا بيشوى

اسقف دمياط ودير القديسة دميانة بالبرارى

الدعـوة الرهبانيـة

« أولئك الذين اشرقت عليهم بشعاع
من حبك لـم يحتملوا السكنى بين
النـاس »

القديس يوحنا سابا

الرهبنة حياة ملائكية وطريق الكمال المسيحى ، قوامها العقوليـة والطاعة والفقر الاختيارى ، وهدفها خلاص النفس والاتحاد بالمسيح .

+ فى البتولية سمو بالغرائز والعواطف نحو الخالق البارى ، وتكريس للحواس لحياة القدوس وتفرغ للعبادة والتأمل والتسبيح كطغس الملائكة .

+ وفى الطاعة اتضاع ومسكنة لاذلال الكبرياء الذى للذات المتعالية وتدريب على طاعة الله والانقياد للروح القدس بتدريب النفس على طاعة اب الاعتراف والاستماع الى كلامه فى تلمذة روحية صادقة .

+ وفى الفقر الاختيارى زهد فى امجاد الدنيا وتذوق لحلاوة المسكنة بالروح وتجرد عن الأمور المحسوسة وانطلاق الى العالم الروحانى وتحرر من سلطان المادة .

الرهبنة على مستوى انجيلى هى طريق واضح العالم للكمال المسيحى حيث يتفرغ العابد بتقويم اعوجاج النفس والتعمق فى معرفة حق الانجيل والتدريب على السلوك حسب الوصية الانجيلية .

والرهبنة هي حلقة الاتصال بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة المنتصرة اذ يعيش الرهبان كبشر سمائيين او كملائكة ارضيين .

« اعطيت الذين على الأرض تسبيح السيرافيم »

القديس غريغوريوس

وهذه هي فلسفة الموت في الرهبنة :

اذ تصلى الصلوات الجنائزية على الراهب في يوم رهبنته لينتقل من الحياة الأرضية الى الحياة السمائية ، ومن طقس البشر الى طقس الملائكة .

من أجل هذا اشتاق الكثيرون الى حياة الرهبنة وتركوا العالم والأهل وسكنوا البراري والقفار والجبال والمغاير وشقوق الأرض سعيا وراء الكمال المسيحي وروحانية الملائكة .

وفي جيلنا هذا تجددت هذه الاشتياقات اذ شاع عبير سير آبائنا القديسين فاجتذبت الحياة الرهبانية كثيرين من عشاقها ، وصار هذا السؤال يتردد على فم الكثيرين : **ما هي علامات الدعوة الرهبانية ؟**

والكتاب الذي بين يديك ايها القارىء العزيز هو ثمرة اختبارات روحية الراهب معاصر في جيلنا هذا ، تذوق حلاوة الحياة الرهبانية في برية شيهيت المقدسة ، وقد تجد فيه الاجابة على هذا السؤال .

نتضرع الى الرب ان يبارك الحياة الرهبانية في كنيستنا بصلوات ورعاية راعيها الأكبر رئيس الأحبار البابا القديس الأنبا شنودة الثالث اب الرهبان في جيلنا المعاصر الذي اعاد الى الرهبنة مجدها والى الكنيسة رهبنتها وقديسيتها .

وبصلوات نيافة الأنبا ثاوفيلس اسقف دير السريان الذي كرس حياته لخدمة الرهبنة في برية شيهيت المقدسة على مدى اكثر من خمسين عاما حتى صارت البرية عامرة بالرهبان العابدين .

وليبارك الرب مؤلف هذا الكتاب ويجعله شجرة مثمرة مغروسة على مجاري المياه الروحانية .

مقدمة الجزء الاول

فى طبعته الاولى

لنيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى

قدمنا للقراء الأحباء كتاب « الدعوة الرهبانية » كاجابة على تساؤلات الكثيرين عن مفاهيم الدعوة للرهبنة وعلاماتها المميزة ، وهانحن نقدم لهم كتاب « سمو الرهبنة » ليرسم الصورة المثالية لحياة الراهب وليعبر عن الآفاق الروحية التى يمكنه أن يحلق فى اجوائها حتى يصل الى الكمال الرهبانى المسيحى .

عاش الكاتب مع سير القديسين وغاص فى أقوالهم وكتاباتهم وتمشى فى بستان الرهبان الزاخر بالموروث الروحانية ، وخرج لنا بهذا العرض الشيق الموضوعى عن سمو تلك الحياة التى تبعث أساسا من وصايا الانجيل والتهبت حبا بدماء الشهداء ، وسارت قدما بنفحات روح الله فى حياة الآباء المجاهدين ، وجاءت برهانا صادقا على قوة المسيحية وبلاغة فلسفتها وقد استند الكاتب فى غالبية المواضع على براهين من الكتاب المقدس .

ولسنا نبالغ اذا قلنا أن الرهبنة هى سر قوة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وقد تفجرت من الطاقات الروحية والايمانية الكامنة فيها ينابيع النعمة والبركة فى مختلف العصور لتعيد للكنيسة حيويتها وتحفظ لها قديسيها وطابعها الأصيل والايمان المسلم مرة للقديسين . وهذا ما يشهد به التاريخ .

حبة الحنطة والموت عن العالم

« ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تاتى بثمر كثير (يو ١٢ : ٢٤) » .

الرهبنة موت اختيارى عن العالم ، ولهذا فهى تحقيق أكيد لمطالب الايمان بالله والتلمذة للمسيح . فالمسيح مات باختياره ليهب الحياة للآخرين ليست الرهبنة سلبية فى اسلوب الايمان بالله بل هى ايجابية

شركـــة الموت مع المسيح ، تلك هى حبـــة الحنطة التى أتت بثمر كثير كما يذكر التاريخ ٠

فالقديس الأنبا انطونيوس كانت سيرته وحدها كفيلة بتغيير حياة أوغسطينوس من عمق حياة الخطية إلى أسمى درجات القداسة ، حقا أنت سيدة الأنبا انطونيوس بثمر كثير على ممر العصور ٠

نسأل المسيح الهنا أن يبارك فى كلمات هذا الكتاب بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث أب الرهبان الذى رأينا اردهار الرهبنـــة فى هـــذا الجيل على يديه بفضل مؤازرة نيافة الحبر الجليل الأنبا تاوضروس أسقف دير السريان ، وأن يكافىء كل من له تعب خاصة كاتب هـذا الكتاب الذى أفاض من خلاصة اختباراته وتأملاته فى البرية المقدسة ٠

مقدمة الجـزء الثانى
فى طبعته الاولى

لنيافة الحبر الجليل الانبا بيشوى

عرض المؤلف فى الجزء الاول من هذا الكتاب للرهبنة فى ضـوء الكتاب المقدس وكامتداد لعصر الاستشهاد واظهرها كجندية صالحة للرب يسـوع المسيح ، وها هو يأتى بنا فى هذا الجزء الى بعض سمات وملامح الرهبنة حتى يتنسم القارىء عبير هذه الحياة النقية ويعيش فى اجوائها .

ولا شك ان هذه الملامح البـارزة التى للرهبنـة قد تركت بصـماتها القوية فى تاريخ كنيستنا ، وفى اسلوب ممارسـة الكنيسة لحيـاة التقوى المسيحية .

الرب يعوض كاتب هذا الكتاب ويعطيه نعمة وفهما لاسـتكمال بقية اجزائه لمنفعة محبى الرهبنة من ابناء الكنيسة الغيورين .

كما نشـكر نيافة الأنبـا ثاوفيلس اسقف دير السريان العامر الذى مدا للكنيسة جيلا من الرهبان الأتقياء انتفعت الكنيسة بكتاباتهم .

ولتكن صلوات قداسـة البابا شـنوده الثالث خـير معين لرهبان كنيسـتنا .

مقدمة الجزء الثالث

فى طبعته الاولى

لنيافة الحبر الجليل الانبا بيشوى

نقدم للقراء الأحباء الجزء الثالث من كتاب سمو الرهبنة امتدادا للجزئين السابقين استكمالا للصورة الرائعة عن تلك الحياة الملائكية التى عاشها الآباء الرهبان القديسون الذين عبقوا البرية بأريج صلواتهم وعاشوا حياة التلمذة الحقة للمسيح فى استعداد مستمر لمجيئه المبارك .

وستظل حياة الرهبنة دافعا لكثيرين أن يعيشوا كما يحق لانجيل ربنا يسوع المسيح فى عالم تتدهور فيه حياة الناس وتزداد اغراقا فى التلهى بشهوات العالم الباطلة وفى البعد عن احضان الله المحب .

الرب يعوض كاتبه عن تعب محبته بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث الذى أحب الرهبنة من كل قلبه ، وبصلوات نيافة الحبر الجليل الانبا تاوفيلس أسقف دير السريان العامر .

مقدمة الجزء الرابع
فى طبعته الاولى

للمؤلف

صدرت تباعا الأجزاء الثلاثة الأولى من كتاب « سمو الرهبنة » تحمل المعانى الأصيلة فى عمقها وفى سموها ، وقد قامت اسقفية دمياط متكورة باصدارها بعد مراجعة وتقديم من نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى ·

والآن نواصل هذا العمل المبارك فنصدر الجزء الرابع من هذا الكتاب متضمنا رحلة الراهب الى الدير منذ أن فكر فى الرهبنة الى اليوم الذى تتم فيه رهبنته ، سائرين معه خطوة خطوة مع وصف دقيق لطقس الرهبنة كما هو متبع فى الأديرة ·

كما يتضمن اجابة على ذلك السؤال القديم الجديد « كيف يقضى الراهب يومه » فى جهاد رهبانى سليم وفى مرضاة الله والالتصاق به حتى لا يتعرض للمحاربات والأفكار الشيطانية الشريرة اذا لم يشغل وقته بما هو مفيد ونافع ·

وبما أن الوحدة والسكون هى أساس الرهبنة وعمقها فقد أفردنا فصلا عن حياة الوحدة فى الرهبنة ، وكيف يصل اليها الراهب وكيف يعيش فيها ·

هذا هو الجزء الأخير من كتاب « سمو الرهبنة » نرجو أن يكون سبب بركة لكل من يقرأه ويتعمق معانيه ، بصلوات آباء الرهبنة الكبار القديس العظيم الأنبا انطونيوس والأنبا مكاريوس والأنبا باخوميوس والأنبا شنوده وكل الذين عبقوا البرية بأريج صلواتهم وعطروها بمقبول صومهم وزرووعا بدموعهم ·

ولالهنا المجد فى كنيسته وأديرته الى الأبد آمين ·

الفصل الأول

الرهبنة .. دعوة أم واجب ؟

أصبح هذا السؤال يتردد كثيرا على السنة بعض الشبان الروحيين والخدام الغيورين المباركين ، الذين لهم غيرة متقدة لارضاء خالقهم وخلاص نفوسهم ، ولكنهم يقفون حيارى فى مفترق الطرق ، يريدون أن يعرفوا فى أى طريق يسيرون ، يريدون أن يتعرفوا على مشيئة الله الخاصة بتدبير حياتهم ، يصرخون مع المرنم ، عرفنى الطريق التى اسلك فيها لأنى اليك رفعت نفسى ، انقذنى من أعدائى يا رب لأنى اليك التجأت ، علمنى أن اعمل رضاك لأنك أنت الهى ، روحك القدوس يهدينى فى أرض مستوية ، مز ١٤٣ : ٨ ـ ١٠ ، ومع موسى النبى حين قال ، ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فعرفنى طريقك حتى اعرفك ، خر ٣٣ : ١٣ .

يريدون أن يعرفوا عن طريقهم الذى اختاره لهم الرب والمناسب لاستعداداتهم ومواهبهم والمؤدى الى خلاص نفوسهم عن الرهبنة وحياة الصلاة والعبادة ، أم الكهنوت وخدمة الرعاية فى العالم ، أم الانسان متولا مكرسا للخدمة فى العالم ، أم يتزوج ويكون أسرة مسيحية مباركة وبيتا مثاليا كبيت بريسكلا واكيلا والكنيسة التى كانت فيه .

ويظل هذا السؤال ملح على الشاب طالب الاجابة ، يظل الشاب بدوره يسأل ، بل قد لا يكتفى باجابة واحدة ، وانما يطرح السؤال على كثيرين ، وقد يتلقى فى الغالب اجابات مختلفة مما يبلبل افكاره ويشوش مفاهيمه .

وعنا نحاول بقدر الامكان أن نلقى ضوءا على هذا الموضوع مع بعض التركيز على الدعوة الرهبانية بالذات ، لعله يكون سبب راحة لكل حائر .

معنى الدعوة والاختيار :

اذا اردنا ان نتعرف على رأى الكتاب المقدس - باختصار - فى موضوع الدعوة والاختيار ، نقابلنا آيه الرسول بولس فى رسالته الى اهل رومية « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرا بين أخوة كثيرين . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم ايضا » رو ٨ : ٢٩ ، ٣٠ .

ومع ان الرسول كان يتكلم عن الدعوة والاختيار بخصوص الخلاص ، الا انه يمكن ان نطبق هذه الآية على موضوع الدعوة والاختيار بالنسبة للرهبنة .

« الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم ايضا » .

الذى نلاحظه هنا بحسب تسلسل الكلام ان سبق المعرفة سابق لسبق التعيين وسبق التعيين سابق للدعوة والاختيار .

ولهذا فان التعيين والاختيار مبنى على سبق المعرفة ، أى ان الذين سبق الله بمعرفته الالهية غير المحدودة فعرف انهم سوف يلبون دعوته للرهبنة مثلا ورأى فيهم الاستعدادات والمؤهلات اللازمة لحياة العبادة والصلاة ، سبق فدعاهم واختارهم للرهبنة ، والذين سبق فرأى انهم يحملون استعدادا لعمل الكهنوت فهؤلاء سبق فدعاهم واختارهم للكهنوت ... وهكذا .

الله يعرف كل شىء قبل ان يكون ويعرف كل شخص قبل ان يولد « يارب قد اختبرتنى وعرفتنى . انت عرفت جلوسى وقيامى . فهمت فكرى من بعيد . مسلكى ومربضى ذريت وكل طرقى عرفت . لانه ليس كلمة فى لسانى الا انت يارب عرفتها كلها ... عجيبة هذه المعرفة . عوفى ارتفعت لا استطيعها » مز ١٣٩ : ١ - ٦ . « لانك انت اقتنيت كليتى . نسجتنى فى بطن امى ... لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورقمت فى اعماق الارض . رأت عيناك اعضائى وفى سفرك كلها كتبت يوم تصورت ، اذ لم يكن واحد منها » مز ١٣٩ : ١٣ - ١٦ . ويقول الرنم فى مزمور آخر « من السموات نظر الرب رأى الجميع بنى البشر . من مكان سكناه تطلع الى جميع سكان الارض . الصور قلوبهم جميعا . المنتبه الى كل أعمالهم» مز ٣٣ : ١٣ - ١٥ .

الله كما يعرف الماضى كله فانه يعرف المستقبل كله . هو يعرف مقدما ظروف كل شخص واستعداداته . يعرف كل واحد باسمه » خر ٣٣ : ١٢ .

كيف يعرف الانسان انه مدعو للرهبنة ؟

يدرك الشخص انه مدعو للرهبنة ، وان الرهبنة هى أسلم الطرق المناسبة لخلاص نفسه وخيره الروحى والنفسى . اذا فحص نفسه وظهرت عنده الميول والاستعدادات الآتية :

١ - حب كبير لحياة البتولية واشتياق عظيم لنوال اكاليلها ، اعجاب عظيم بجوانب البتولية فى حياة الرب يسوع والقديسة العذراء مريم ، وانبياء العهد القديم مثل ايليا واليشع وارميا . بركة البتولية ليوحنا المعمدان ويوحنا الرسول البتول والقديس بولس الرسول . اعجاب خاص ووقفات طويلة وتأمل متشبع عند الآيات التى تمتدح البتولية وتدعو اليها ، مثل كلمات الرب يسوع عن البتولية ، ليس الكل يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم من فوق (معتبر البتولية عطية صالحة وموهبة تامة نازلة من فوق من عند أبى الأنوار) يوجد خصيان ولدوا هكذا ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا انفسهم لأجل ملكوت السموات (ثم دعا الرب واعلن بكل مؤمن يجد فى نفسه استعدادا واشتياقا لحياة البتولية - وما الرهبنة الا بتولية عابدة مصلية - أن يقبل الى هذه الحياة ويعتنقها) من استطاع أن يقبل فليقبل » مت ١٩ : ١١ ، ١٢ . وطوبى له اجره واكليله .

ايضا يحب ويتأمل فى كلمات بولس الرسول ، حسن للرجل أن لا يمس امرأة (اى لا يعرفها معرفة الزواج) . أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا (غير متزوجين) - غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امراته - ان بين المزوجة والعذراء فرقا ، غير المتزوجة تهتم فى ما للرب كيف ترضى الرب لتكون مقدسة جسدا وروحا وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها . هذا أقوله لخيركم ليس لكى القى عليكم وهقا (نيرا) بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب عن دون ارتباك (١ كو ٧) .

كما يجد فى نفسه نهما خاصا لقراءة كل كتاب روحى يتكلم عن البتولية وبركاتها او الرهبنة وكمالها ، كما يجد الشخص فى نفسه خجلا طبيعيا وحياء مقدسا عند التكلم فى مواضيع الزواج والجنس بصفة عامة .

+ لا يعاني كبتا جنسيا أو انحرافا .

+ يعيش في حياة طهارة داخلية في الفكر والجسد والحواس أو على الأقل لديه الاستعداد للجهاد لهذه الطهارة .

+ انه رغم أن الزيجة مقدسة في عينيه الا انه يفضل حياة التبتل والرهبنة لما فيها من تكريس أعمق وتفرغ أوفر لتحقيق كل المستهدات الروحية وفيها الفرص السانحة للوصول الى قمم الكمال المسيحي والاتحاد مع الرب ، متذكرا قول الرسول « من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن » ١ كو ٧ : ٣٨ .

٢ ـ يجد في نفسه استعداد للزهد وعدم التعلق بالأموال والخاصب والمراكز والصيت والشهرة متذكرا قول انخديس الذي قال « أن أردت أن تكون معروفا من الله فحاول أن لا تكون معروفا من الناس » .

٣ ـ يجد في نفسه استعدادا للزهد في التعلق العاطفي وروابط اللحم والدم مع الأهل والأقارب والأصدقاء ، مفضلا محبة المسيح والعيشة معه عن كل ما عداها متذكرا قول الرب « من احب ابا او اما اكثر مني فلا يستحقني ومن احب ابنا أو ابنة اكثر مني فلا يستحقني » مت ١٠ : ٣٧ . وقول الشيخ الروحاني « محبة المسيح غربتني عن البشر والبشريات » .

٤ ـ يجد في نفسه استعدادا ومحبة للتأمل والصلاة والخلوة ، ليتمتع بالرب يسوع في حب وانطلاق ، معتبرا أن أحسن وقت هو الذي يقضيه في شركة ومناجاة حلوة مع حبيبه الذي يملأ عليه كل حياته وهو الرب يسوع متذكرا قول مار اسحق « من يحب المسيح يحب الحبس والجلوس في القلاية » .

٥ ـ يجد في نفسه استعدادا وحبا للصمت والهدوء وقلة الحركة وعدم الخلطة الكثيرة مع الناس وتضييع الوقت في الكلام والحكايات غير النافعة .

٦ ـ يجد في نفسه استعدادا للاحتمال والصبر وسعة الصدر . فبينما كان في العالم ينفذ وصية المحبة الخادمة الباذلة ، عليه في الرهبنة ان ينفذ وصية المحبة المحتملة الصابرة . وهي اعلى درجة من سابقتها ، متذكرا قول الرب يسوع « من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني » ومن وجد حياته

(اى دلل ذاته واشفق عليها) يضيعها ، ومن اضاع حياته من اجلى (اى سحق ذاته وأذلها بالاتضاع والاحتمال) يجدها ، مت ١٠ : ٣٨ ، وقوله ايضا بصبركم اقتنوا انفسكم ، لو ٢١ : ١٩ ، وقول الحكيم « يا ابنى ان تقدمت لخدمة الرب فهيىء نفسك للتجارب » .

٧ - يجد فى نفسه استعدادا للطاعة فى كل امر والمشورة قبل كل عمل ، وسرعة الاعتذار اذا وقع فى اى خطأ ، وان يتحلى بالتواضع والسهولة ولين العريكة . فبحسب خبرتنا ، ان الذى لا يتميز ولا يحاول أن يقتنى هذه الفضائل يتحطم فى الرهبنة ولو باسم الحق .

٨ - يجد فى نفسه استعدادا للنسك والصوم وعدم التلذذ بالمأكل والمشارب ، محبا للتقشف وعدم القنية ولسان حاله يقول مع الرسول « ان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » ١ تى ٦ : ٨ .

هذا بالنسبة للانسان المقدم روحيا ويتوق أن يصل الى الكمال المسيحى عن طريق الرهبنة ، بعيدا عن العالم ودوامات الحياة التى كثيرا ما تغرق الناس فى التعب والهلاك .

أما بالنسبة لانسان يعيش فى العالم وهو يرزح تحت خطايا معينة ، ومن تلك الخطايا المحيطة بنا بسهولة ، ويجد انه رغم محاولاته الكثيرة والمتكررة للتوبة وقطع صلته بالخطية لا يستطيع افلاتا ، اما لضعف ارادته او لتسلط العادة عليه او لقوة وسيطرة مصدر الخطية عليه ، أو لوجوده فى بيت أو بيئة مشبعة بالخطية ولا توجد ذكرى للفضيلة والقداسة فيها ، أو الاغراءات الكثيرة التى يتعرض لها اثناء حياته اليومية ، ويكون هذا الانسان قد حاول كثيرا ان يحيا حياة التوبة والقداسة فى هذا الجو الخانق ولم يستطع ، بالنسبة لهذا تعتبر الرهبنة والهروب الى البرية ليست دعوة بل واجب محتم ، من أجل حياته الروحية وخلاص نفسه .

يهرب الى البرية :

+ لكى يتخلص من الجو القاتل والمناخ الفاسد الذى يعيش فيه والذى يقتل الروح ويهلكها ابديا .

+ ثم لكى يتنسم فى البرية جوا نقيا مقدسا يحث على الفضيلة والطهارة والقداسة ، بقدوة الرهبان وحياتهم وكلامهم . هناك فى الدير تحيا

روحه فيه وتنتعش ، ويحيا حياة التوبة عما فات من حياة الطيش والشر ٠

من كل هذا نستخلص أن الرهبنة دعوة للذين أحسوا الرب وتاقوا للمزيد من حبه وللاتحاد به ومنعهم العالم أو اعاقهم عن تنفيذ رغبتهم المقدسة هذه ، فدعاهم الرب لرهبنة ليجدوا فيها المزيد من الوقت والفرص لتفريغ هذا الحب فى ذات الله بالخدمة الجاثرة لله بالتسابيح والصلوات والنسك والاتصاق الدائم به ٠ ثم هى واجب مفروض ومحتم لمن لايستطيع ان يتوب ويقلع عن الخطية وهو فى العالم لسبب او لآخر ٠

امثلة للدعوات الرهبانية :

بسؤال بعض الآباء الرهبان عن كيفية دعوتهم للرهبنة ، وبالاستماع الى قصص وحوادث حدثت للآخرين نسرد الحقائق الآتية :

١ ـ قال لى أحد الآباء : قبل تخرجى من الدراسة كثيرا ما كانت تنتابنى أحلام اليقظة عن الزواج والأولاد والبيت المثالى ٠٠٠ الخ ٠ ولما تخرجت لم أوفق بسرعة الى عمل ، فكانت تجربة قاسية بالنسبة لى ، التصقت فيها بالرب طالبا معونته فى تدبير الوظيفة المناسبة لى ، واظبت على الكنيسة وعلى الاعتراف والتناول ، وما هى الا فترة بسيطة حتى استجاب الرب لمسكنتى وتعينت فى وظيفة لم أكن أحلم بها ، ومن ملابسات وتفاصيل موضوع التعيين عرفت أن يد الرب هى التى تعمل معى بقوة ، فشكرت الرب وذهبت لأستلم عملى فى احدى البلاد ٠ وهناك وجدت زميلا فى العمل هو فى نفس الوقت خادم ممتاز ووالد اجتماع الشبان فى الكنيسة ٠ عرفنى طريق الخدمة وأساليبها ، فتتلمذت له وانخرطت فى سلك الخدمة ، وكان عنده بعض الميول الرهبانية ٠

عشت فى الخدمة وقرأت الكثير من الكتب الروحية ٠ فأخذت تتبلور عندى فكرة بسيطة عن البتولية ومدى نفعها للشاب فى الخدمة واستمرار علاقة الشركة القوية مع الرب بدون مانع ولا عائق ، وأخذت تتبخر من ذهنى فكرة الزواج ٠ كان أهلى يلاحقوننى بالخطابات فى موضوع الزواج وكنت أؤجل ٠ كنت كل اجازة انزل البلد يفاتحوننى فى الموضوع فأتهرب بحجة او باخرى أو بتغيير مجرى الحديث ، وكنت اشعر بالخجل والحرج اثناء الحديث فى هذا الموضوع ، اى موضوع الزواج ، وانتفس الصعداء

حينما أفلت واتخلص منه . حتى ذلك الوقت لم أكن أعرف للرهبنة طريقا ، وحتى فكرتى عن البتولية لم يكن لها تخطيط او هدف خاص ، انما غامضة ومبهمة . وسلمت الأمر ليدى ذاك الذى معه امرنا .

جاء الى صديقى سالف الذكر أحد أصدقائه وكان ينوى الذهاب الى الدير اذ كانت عنده فكرة قديمة للرهبنة ، وطرحا الموضوع أمامى على بساط البحث ، صديقى أخذ الجانب السلبى وكأنه غير مقتنع بالرهبنة ودعوتها - مع أن الأمر لم يكن هكذا طبعا وانما ليختبر صدق عزيمة الطرف الآخر وثبات مبادئه - بينما الطرف الآخر أخذ يدافع عن الرهبنة وفلسفتها وروحانيتها مصرا على اقتناعه الكامل بالانخراط فى سلكها ، وتكررت الجلسات والمناقشات . الى هذا الوقت كنت انا أجلس معهما مستمعا فقط ، وسرعان ما رأيت نفسى وقد انحزت للطرف المؤيد للرهبنة وتشبعت بالفكرة جدا ، وطلبت الى الرب لو يهيىء لى السبيل الى هذه الدعوة المقدسة .

وبعد فترة وجيزة ذهب عاشق الرهبنة الى الدير ، وطلب أن أصاحبه ولكننى اعتذرت مؤجلا الموضوع الى أن تنضج الفكرة وأعمل الترتيب اللازم . ثم نقل صديقى وزميلى الآخر الى مدينة أخرى ، وبقيت أنا وحدى وقد ملك على فكر الرهبنة كل مشاعرى . أصبحت النهم لتهاما كل كتاب يتحدث عن الرهبنة . فى هذه الفترة قرأت بستان الرهبان ونقلت بعض أقواله فى كشكول خاص ، قرأت كتاب دراسات من تاريخ الرهبانية والديرية المصرية للدكتور حكيم أمين ، وقرأت كتاب أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى وقرأت كتاب انطلاق الروح لقداسة البابا شنوده الثالث وقرأت كتاب حياة أنبا انطونيوس بقلم اثناسيوس الرسولى .

ظل صديقى الراهب الذى ذهب الى الدير يراسلنى من هناك يشجعنى ويذكرنى بالموضوع كلما فترت همتى نتيجة هموم ومشاغل ومشاكل العالم ونتيجة حرب العدو للفكرة المقدسة . زرت الدير مرة لمدة اسبوع وهناك دبر لى الرب جلسة طويلة مع أحد الآباء الروحانيين فزادت الفكرة رسوخا فى قلبى . غادرت الدير متمنيا اليوم الذى أعود فيه اليه بلا رجعة الى العالم .

ظللت سنتين تقريبا وانا فى مد وجزر تتناوبنى الأفكار ، بين الرهبنة والخدمة ، بين محبة الله ومحبة الوالدين ، بين التكريس والوظيفة ، وكان الموضوع هو شغلى الشاغل وموضوع صلاتى فى كل صلاة وطلبة .

اخيرا فى ملء الزمان وفى الوقت المحدد من قبل الرب ، اعطونى اجازة فى العمل ، ثم اطلبها ولم اتوقعها اذ كنت راجيا من اجازة من شهر واحد تقريبا ، فضلت أن اقضى هذه الاجازة الاجبارية فى الدير اذ كنت عند الاهل من مدة قريبة جدا .

ذهبت الى الدير لمجرد قضاء اجازة اجبارية كما قلت ، وفى الدير حصل العجب . مجرد جلسة مع أحد الآباء الافاضل ، شجعنى وبدد ما تبقى عندى من مخاوف ، وهون ما كان عندى من مشاكل كنت أحسبها معقدة وبلا حل . لا انكر أن روح الله كان يعمل فى هذه الجلسة بطريقة عجيبة ، وفى نهاية الجلسة قررت الاستقالة من عملى والسفر فورا لاحضار بعض كتبى وحاجاتى والعودة الى الدير على عجل . عملت كل شىء فى هدوء ، ثم رجعت الى الدير هذه المرة ليس زائرا وانما طالب رهبنة ، وما هى الا اشهر قلائل حتى سمح الرب ولبست الزى الرهبانى ودعيت راهبا .

هذا شكل من اشكال الدعوة الرهبانية على ما أعتقد .

٢ - سألت أبا آخر فقال لى : احسست بحبى لحياة الرهبنة بعد أن قرات كتاب ، حياة الصلاة الأرثوذكسية ، عندما اصدره دير السريان العامر لأول مرة ، كنت وقتها طالبا بالمرحلة الثانوية . كنت اجد تعزية كبيرة فى حياة الصلاة والخلوة ، وكنت افرح بالرب فرحا لا ينطق به ومجيد . كنت أتعزى فى الجلوس معه بطريقة لا يعبر عنها . ظلت الفكرة معى حتى انهيت المرحلة الثانوية ، وبعد أن امتحنت الثانوية العامة وكانت النتيجة على وشك الظهور ، حلمت حلما وكأنى اسأل سكرتير المدرسة عن النتيجة فقال لى ، مالك ومال النتيجة مش انت هتترعين ، تعزيت وتشجعت من هذا الحلم .

ظهرت النتيجة ونجحت وشكرت الله ، ودخلت الكلية ، واقول الحقيقة ان فكرة الرهبنة وما تتضمنه من حياة البتولية والعفة والطهارة حفظتنى جدا فى هذه المرحلة الحرجة من حياتى الشبابية ، حيث الاختلاط والعثرات فى الجامعة وغير الجامعة ، مما طوح بالكثيرين من الشباب الى حياة الانحراف والفشل .

أخيرا تخرجت فى الجامعة وما زالت الفكرة متملكة على . عملت فى عدة وظائف ، وكنت اتردد على الاديرة بين الحين والآخر .

اخيرا قررت الذهاب الى الدير للرهبنة . ولكن بعد بضعة أيام فى الدير هزمت من بعض الأفكار فنزلت الى العالم . وفى العالم قررت نبذ فكرة الرهبنة وكنت أحاول طردها من ذهنى ، حتى حدث مرة أن اضطررت أن أركب الترام وهو سائر بسرعة عادية فوقعت تحته وتعالت صيحات الناس حادث حادث . الأخ مات . فوقف الترام واخرجونى من تحته ولم تصبنى سوى كدمات بسيطة لا تستحق الذكر ، وقال لى بعض الناس كنا نراك بينما تتقرب من العجلات كان شيئا يبعدك عنها . لقد كتب الله لك عمرا جديدا .

بعد هذه الحادثة التى عزت كل كيانى عدت الى نذرى القديم مع الرب وهو فكرة الرهبنة . فلت ان كانت الرهبنة موت معنوى عن العالم وشهواته، هناك فى الدير تحت أقدام المسيح ، فأنا كنت على وشك أن أموت فعلا ، ولكن تحت عجلات الترام . واعتبرت هذه الحادثة انذارا من الرب لى بأن أوفى نذرى لأن الحكيم يقول « أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى » جا ٥:٥ .

وما هى الا فترة بسيطة حتى رحلت الى الدير للرهبنة ، عازما من القلب أن أحيا هذا العمر الجديد الذى كتبه لى الرب فى طاعته ومرضاته متمتعا بحبه وشركته المقدسة « فما احياه الآن فى الجسد فانما احياه فى الايمان ، ايمان ابن الله الذى احبنى وأسلم نفسه لأجلى » غل ٢ : ٢٠ .

٣ - قص لى راهب آخر قصة مجيئه الى الدير ، قال : كنت جنديا فى الجيش واشتركت كتيبتى الحربية فى احدى المعارك مع العدو ، انهال علينا رصاص الأعداء وطلقات مدافعه كوابل المطر ، انبطحنا كلنا أرضا ، لم ينفعنا ذلك شيئا اذ كنا فى مكان خال من اية سواتر . أخذ الرصاص يحصد من حولى الضباط والجنود دون تمييز . كان الرصاص يمر فوق راسى بما لا يزيد عن سنتيمترات قليلة وأنا منبطح على الأرض . فى هذه اللحظات صليت الى الله وتشفعت بالسيدة العذراء مريم ونذرت نذرا ان نجوت من هذه الضائقة سأعب حياتى كلها للرب أخدمه فيها ، بالطريقة التى يراها هو حسب مسرة مشيئته .

وساعتها وجدت وكأن يدا تظلل راسى وتحميها من الرصاص ، وظلت هكذا حتى انتهى الهجوم واطلاق الرصاص ، فتنفست الصعداء وقمت شاكرا الرب الذى نجانى من موت محقق ، وعملت واجبى نحو زملائى الذين حصدهم الرصاص المغادر وهم بين جرحى وقتلى .

٣ انهيت خدمتى العسكرية اخذت اصلى للرب ان يهديني الى احسن طريق لوفاء نذرى ، واذ وجدت انه ليس لدى امكانيات الخدمة والتكريس فى العالم قررت ان اترهب واكرس حياتى لعبادة الرب وخدمته بالعبادة والتسبيح .

وهكذا تمم الرب شهوتى وجئت الى الدير وما هى الا اشهر قليلة حتى لبست الزى الرهبانى المقدس .

٤ - روى لى أحد الآباء الرهبان عن راهب آخر قال : حينما بلغ سن الشباب أراد أن يهجر العالم ويترهب ، فرفض ابواه الفكرة رفضا باتا وأسرعا بزواجه رغما عنه . بعد فترة توفيت زوجته فعاوده فكر الرهبنة ثانية . فرفض ابواه ايضا ولكن حدث انه مرض مرضا شديدا واشرف على الموت حتى خرجت من جسده روائح نتنة ، وقطع كل أمل فى شفائه . ولكن الرب الحنون مد اليه يد الشفاء فشفى ، وبعد أن تملك صحته جيدا عاد ليأخذ اذن والديه ليذهب الى احد الأديرة ليترهب ، وعندما سمع له الوالدان قائلين : ان كانت الرهبنة موت عن العالم بالبعد عنه وعن شهواته وملذاته فانت قد مت حقيقة وانتهت رائحتك . رأينا بعيوننا كل ما حدث وقطعنا الامل فى شفائك ، والآن وقد شفيت فهذا عمر جديد وهبه لك الرب . فاذهب واقضه فى الدير فى عبادة الرب ورضاه ، والرب يقويك ويكمل جهادك الى النفس الأخيرة .

وهكذا ذهب وترهب واصبح راهبا فاضلا .

٥ - وتقول كاتبة كتاب « امنا رحمة » (١) فى خطابها الى احدى صديقاتها لها نمط الدعوة التى دعانا بها الرب للرهبنة فتقول « انت تعلمين اننا عندما كنا فى السنة الثانية بالكلية ذهبنا معا لزيارة بعض الكنائس الاثرية . كانت رحلة ليس الا ، قصدنا بها زيادة المعرفة . كانت فكرة لست أدرى من ، ولكنها فى الحقيقة كانت دعوة الهية لى .

فى ذلك اليوم السعيد كان الله يضع يده برفق على باب القلب ويقرع ويقول « ان سمع لى احد ادخل اليه واتعشى معه وهو معى . اما انا فكنت صماء لا اسمع ، عمياء لا ابصر ، لكنه لشدة محبته اظهر لى قبسا من نور كان هو طريق الهداية .

---

(١) كتاب امنا رحمة اصدار كنيسة الانبا تكلاهيمانوت بالاسكندرية ص ٥ ، ٦ .

لقد تجولنا حتى تعبنا وسط الكنائس الأثرية وأخيرا عادتنا قدماننا الى بناء بسيط هو دير « للعذارى » .

وفى الدير تعرفت هذه الفتاة على « أمنا رحمة » الراهبة المثالية فى بساطتها وتواضعها وبذلها وخدمتها للآخرين . وعن طريقها أحبت الدير وأحبت الرهبنة ، وأخذت تتردد على الدير كثيرا ، حتى تخرجت من الكلية ودعيت الى الدير وترهبت بعد أن تركت عملها ومستقبلها كطبيبة .

هذه نماذج من الدعوات الرهبانية على الطبيعة وما زال أصحابها أحياء يشهدون بأن الرهبنة دعوة . شعروا بدعوة الرب لهم ، لاستعدادات وميول مناسبة أوجدها فيهم ، وهم بدورهم لبوا الدعوة واستجابوا لها ، أو بالحرى أسلموا نفوسهم للرب فتمم فيهم مسرة ارادته .

سبب فشل بعض الرهبان وارتدادهم :

نسمع أحيانا عن بعض الرهبان الذين يتركون الرهبنة ويحنثون بنذرهم ويرتدون الى العالم . منهم من يتزوج ويطلق الرهبنة تماما . ومنهم من يؤنبه ضميره فيعود بعد فترة طالت أو قصرت الى ديره أو الى دير آخر ، وفى هذه الحالة لا يصلى عليه طقس رسامة الراهب ثانية بل يلبس ثوب الرهبنة بمجرد قبوله فى الدير ورضى المسئولين عنه .

ولفشل بعض الرهبان وتركهم للحياة الرهبانية بعض الأسباب نورد منها :-

١ - بعض الرهبان قد يلجأون الى الأديرة كاغاظة لأهلهم الذين يقسون عليهم أو لأن أهلهم لم يوافقوا أن يزوجوهم الزوجة التى يريدونها ، أو يحاولون اجبارهم على الزواج من فتاة تروق لأهلهم ولا تروق لهم . فيهربون الى الدير وهناك يتصنعون الروحانية والطاعة فى فترة الاختبار ، ويخفون عن المسؤلين بالدير السبب الرئيسى لمجيئهم ، فينخدع فيهم المسئولون بالدير ويلبسونهم الزى الرهبانى ، وسرعان ما تظهر حقيقتهم ولا يحتملون حياة العزلة والبعد عن العالم او بعض التجارب التى تاتى عليهم ، فيضيقون بالحياة الرهبانية وبالدير فيرتدون الى العالم بالعار والخزى .

٢ - بعض الرهبان يأتون الى الرهبنة كسلم للوصول الى الرتب الكهنوتية ومراكز الرئاسة فى الكنيسة ، فاذا لم تتم لهم أمنيتهم ضاقوا ذرعا بالرهبنة ولعنوا حظهم وتركوا الرهبنة ساخطين .

٣ - حتى المدعوين دعوة قلبية مقدسة للرهبنة والآتين اليها بكل قلوبهم بقصد التعبد والنسك الى آخر حياتهم ، قد يرتدون ولا يكملون الطريق الى نهايته ، وذلك لأن الدعوة للرهبنة كالدعوة للخلاص ، ففى قضية الخلاص ، الله يريد ان الكل يخلصون والى معرفة الحق يقبلون ولكنه اذ خلق الانسان حرا ، ويحترم حريته وارادته وضع فى يده الاختيار فى قضية خلاصه ، ترك له الحرية بكامل ارادته ليختار لنفسه الخلاص الأبدى او الهلاك الأبدى . فيقول الرب مخاطبا أورشليم ، كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم يريدوا ، مت ٢٣ : ٣٧ ، ٣٨ . ومثال ذلك ايضا توبيخ الرب لليهود اذ قال لهم ولا تريدون أن تاتوا الى لتكون لكم حياة (يو ٥ : ٤٠) . ومثال ذلك الذين « رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم » لو ٧ : ٣٠ . ويخبرنا الكتاب المقدس عن كثيرين بعد أن ابتدأوا بالروح قد كملوا الجسد ، غل ٣ : ٣ . وصاروا أعداء صليب المسيح . نكثوا عهدهم وارتدوا عن دعوتهم واختيارهم مثل يهوذا الاسخريوطى الذى أحب الفضة أكثر من سيده واخيرا انفصل عن الرب وعن جماعة التلاميذ ، ويخبرنا عن نيقولاوس الشماس الذى ارتد عن الدعوة المقدسة واصبح راس بدعة النيقولاويين التى يبغضها الرب ، وعن ديماس احد مساعدى بولس الذى ترك الخدمة ومعية الرسل اذ أحب العالم الحاضر .

من هذا نعلم أن الدعوة فى حد ذاتها لا تضمن للانسان الاستمرار فى الجهاد ثم نوال الخلاص الأبدى اذا هو أهمل وتهاون ولم يسلك كما يحق للدعوة التى دعى اليها .

هكذا فى الرهبنة ، فالراهب الذى لا يسلك حسب مقتضيات الدعوة الرهبانية وحسب الناموس الرهبانى الذى وضعه الآباء بارشاد الروح القدس من موت عن العالم وطاعة وتكميل قوانين الصلوات والتسبحة والقراءة والتأمل وشغل اليد ، بعد فترة طالت أو قصرت يصيبه الملل والضجر ، يصيبه الجفاف والفتور الروحى فلا يستطيع الثبات فى قلايته ، فيحب المحادثات والنقاط الأخبار وينقلها من واحد لآخر ويتدخل فى السياسات ويميل الى الرئاسات وبذلك يجلب على نفسه التجارب واذ ليس له اساس روحى متين يؤهله لاحتمالها يضيق ذرعا بالدير فلا يستطيع الثبات فيه فيرتد الى العالم أو ينتقل بين الأديرة دون أن يستقر فى دير ما ، واخيرا اذ تبرد من قلبه محبة وحرارة الرهبنة وغلوتها الأولى ، يترك الرهبنة ويخلع زيها المقدس ويصبح علمانيا . حمانا الله من مصير كهذا !

الفصل الثانى

بعض العقبات التى تقابل المشتاق للرهبنة

قد يحس الانسان ان الرهبنة هى دعوته ، وانها أفضل حياة تناسب ميوله واستعداداته ، ولكن تقابله بعض العقبات والمخاوف التى تقلقه وتحيره وتحدث عنده انقساما وبلبلة فى الأفكار ومنها :

١ ـ الخوف من المستقبل المجهول :

رغم تردد الكثيرين من الشبان فى هذه الأيام على الأديرة وقضاء بعض الأوقات فيها للخلوة وللتعرف على أسرار الحياة الرهبانية ، لكن ما زالت الرهبنة تعتبر لغزا وحياة مجهولة بالنسبة للكثيرين ، بخلاف دعوة التكريس والتبتل أو دعوة الكهنوت . وعلاجا لغموض الحياة الرهبانية امام الشبان يتحتم عليهم التردد على الأديرة والجلسات الروحية مع آباء رهبان روحيين يكلمونهم عن الرهبنة وفلسفتها ، وعمل الراهب ونشاطه اليومى وتدرجه فى الحياة الرهبانية وهكذا ...

٢ ـ الخوف لئلا يكمل الطريق وتبرد محبته الأولى :

أن يفكر الانسان فى مستقبله الروحى بهذا القلق ، يعتبر هذا عدم ايمان فى قدرة الله ونعمته ، يجب على الانسان الذى يحس بالدعوة أن يلقى نفسه بين يدى الله وهو يستطيع أن يكمل معه الطريق الى النهاية « غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله ، وبد الله لا تقصر أن تحفظ الى التمام » والرسول يقول « انا عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » ٢ تى ١ : ١٢ . والرب يطمئن النفس التى تخرج فى طلبه ومن أجل حبه « قد ذكرت لك غيرة صباك محبة خطبتك ذهابك ورائى فى البرية فى أرض غير مزروعة » ار ٢ : ٢ .

٣ ـ الخوف من الفراغ :

بعض الشبان قليلوا الدراية بالحياة الرهبانية يعتقدون أن الراهب انسان لا يعمل شيئا ، ويحيا فى فراغ لانهائى ، لذلك هم يخافون من هذا الفراغ المزعوم . قال لى أحد الشبان « اذا ترهبت حابقى أنا فاضى للشيطان

والشيطان ناضى لى وتقعد تناكف فى بعض ، قلت له ان الراهب الحقيقى هو أكثر انسان مشغول فى الحنيفة ، فهو له عم دلخلى ، عز الهم فى الرب يسوع الذى يملأ عليه حياته ويملك على كل كيانه ، فلا يدع فى حياته مجالا للفراغ والملل . هذا الى جانب الأنشطة الروحية والجسدية التى يقوم بها الراهب وتملأ كل وقته .

+ عنده صلوات الاجبية ، باكر والثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والنوم والسحار بمزاميرها الكثيرة ونصف الليل بخدماتها الثلاث ومزمورها الكبير ، هذه الأجبية عليه أن يكررها كل يوم وحده فى خلايته كقانون خاص على طول الأربعة وعشرين ساعة .

+ عنده القسيحة بطريقتها الجميلة وألحانها الرائعة ، يصليها كل يوم مع الرهبان فى الكنيسة بعد صلاة نصف الليل ، او يصليها وحده فى القلاية .

+ عنده القداس كل يوم او بعض أيام الاسبوع ، يحضره ويتناول من الأسرار الالهية لتقوية حياته الروحية .

+ لديه قانون المطانيات حسب قوته واتفاقه مع أبيه الروحى ، يعمله كل يوم صباحا استمطارا لمراحم الله .

+ لديه القراءة المنظمة فى الكتاب المقدس يوميا كقانون روحى تأملى واجب ، يتغذى عليه ويأخذ منه مادة لصلواته الارتجالية وعظته اليومى .

+ لديه « صلاة يسوع » أو أى صلاة قصيرة يحبها ، كصلاة دائمة يكررها طول اليوم على قدر استطاعته .

+ لديه سير القديسين الذين سبقوه فى الطريق وأقوالهم ، يقرأها وينسخها ويتعزى بها ويتشرب روحهم ويتمثل بهم على قدر قوته « انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم » عب ١٣ : ٧ .

+ لديه عمل اليد الذى يكلفه به الدير ، سواء فى المطبخ ، سواء فى المخبز ، سواء فى الكنيسة ، سواء فى المكتبة ، لكل راهب عمل ووظيفة فى الدير حيث ان الانسان لا يستغنى عن العمل كنوع من التدبير الروحى والتنوع فى أسلوب الحياة ، هذا بجانب تدبير احتياجاته الخاصة فى الخلاية ، كاعداد طعامه أو غسل ملابسه وغير ذلك .

+ يستطيع الراهب أن يخدم اخوته الرهبان حسب مواهبه وقدراته ، كعمل محبة وخدمة . بعضهم يخدم المرضى ان وجدوا ، بعضهم يسلم الحان التسبحة أو الالحان الكنسية الأخرى لاخوته الرهبان .

+ بعض الرهبان يقومون بنسخ المخطوطات وتنقيحها ،بعضهم يقوم بتأليف الكتب ، بعضهم يقوم بكتابة التأملات الروحية العميقة ، بعضهم يقوم بترجمة كتب الآباء ، بعضهم تستهويه دراسة اللغة القبطية مثلا ، يدرسها ويتعمق فيها .

+ بعض الرهبان يقوم بعمل الصلبان الجلد باشكالها واحجامها المختلفة كعمل يد بسيط لا يمنع من تلاوة المزامير والصلاة اثناء العمل وهكذا . . .

٤ - الخوف من عدم وجود المرشدين الروحيين بالاديرة :

فعلا مرت فترة ضعفت فيها الرهبنة وضعف فيها الارشاد الرهبانى ، وانقطع تسلسل انتسليم الآبائى الأصيل لسر الرهبنة وجوهرها ، ولكن نشكر الله ، بدأت الرهبنة تزدهر من جديد ، وظهر فعلا فى الاديرة بعض الآباء الذين ثبتوا فى الرهبنة وفى البرية لمدة لا بأس بها ، وبدأت تظهر ثمارهم الروحية وقدرتهم على التعليم والقيادة والتلمذة الروحية الرهبانية نرجو المزيد !

٥ - روابط اللحم والدم : مشكلة المشاكل امام طالب الرهبنة ، هى كيف يواجه اهله باشتياقه ، وكيف سيتحمل أهله قسوة فراقه وكيف سيتحمل هو هذا الفراق اذا ذهب الى الدير .

شئ جميل أن يحب الانسان أهله وأن يبادلوه هم حبا بحب ، ولكن ليس الى الدرجة التى تمنعه من حياة التكريس لله ، لانه ينبغى ان يطاع الله اكثر من الناس ، وينبغى أن نحب المسيح بدرجة أعلى من محبتنا لأهلنا واقاربنا ، وهو يقول « من احب ابا او أما اكثر منى فلا يستحقنى ومن احب ابنا او ابنة اكثر منى فلا يستحقنى » مت ١٠ : ٣٧ .

يمنع الآباء والأمهات أولادهم عن الرهبنة بحجة أنهم لا يقدرون على فراقهم ، بينما فى احيان أخرى يسمحون لهم بالهجرة الى امريكا واستراليا وأوربا . الى تلك البلاد النائية ، حيث لا يستطيعون رؤيتهم بعد ذلك

الا نادرا حينما يحضرون الى البلاد فى اجازات قصيرة ، وقد تبتلعهم البلاد الأجنبية فيتطعون صلتهم بأهلهم تماما . وكل ذلك بسبب المال والغنى ، وهكذا يحتمل الأهل فراق ابنهم حينما يهاجر الى امريكا ولا يحتملون فراقه حينما يذهب الى الدير ليقضى حياته فى مرضاة الله وعمل وصاياه .

ظاهرة أخرى نراها ، بعض الذين يسافرون الى بلاد اجنبية للعلم أو للعمل ، يرجعون أحيانا بعد اكمال مهمتهم ومعهم - زوجات اجنبيات ، فتلك الزوجة الأجنبية فى سبيل أن تجد لها زوجا ترغد فى محبة أهلها وتضحى بكل علاقاتها ، وتعيش مع زوجها فى وطنه وبين اهله مثل راعوث التى رفضت أن تترك حماتها قائلة لها « حيثما ذهبت اذهب وحيثما بت أبيت ، شعبك شعبى والهك الهى ، حيثما مت أموت وهناك أندفن » را ١ : ١٦ ، ١٧ .

هكذا نرى - ونتأسف - المرأة الأجنبية ، الأناء الضعيف ، تضحى بأهلها وأقاربها فى سبيل زوجها الأجنبى ، تذهب معه الى وطنه وتعيش مع اهله فى بيئة غريبة تماما وعادات وتقاليد لم تتعودها من قبل . تحتمل كل ذلك فى سبيل زوجها ، ونحن لا نستطيع أن نضحى ولو قليلا من اجل عريس نفوسنا وحبيبها الرب يسوع ومن اجل خلاصنا الأبدى . حقا قال الرب « لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم » لو ١٦ : ٨ .

محبة الوالدين والأقرباء التى تمنع الانسان من محبة الله والتكريس تنطبق عليها الآية القائلة « أعداء الانسان أهل بيته » مت ١٠ : ٣٦ . لأنهم بالحقيقة يكونون أعداء نفسه وأعداء خلاصه رغم كل الحب العاطفى الذى يغمرونه به .

٦ - الوظيفة العالية وتسلطها على القلب :

أحيانا تكون الوظيفة أو المنصب خصوصا اذا كان عاليا ومرموقا سببا فى تعطيل دعوة التكريس للرهبنة . وهنا يحتاج الانسان الى التأمل فى نعيم الحياة الأبدية والمعيشة الدائمة بلا نهاية مع المسيح فى السماء ، متأملا فى كلمات بولس الرسول العظيم « لكن ما كان لى ربحا معد فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل انى احسب كل شىء ايضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من اجله خسرت كل الأشياء وانا احسبها نفاية لكى أربح المسيح واوجد فيه » فى ٣ : ٧ - ٩ .

٧ - الخدمة وما يصاحبها من مسئوليات :

أحيانا تكون خدمة مدارس الأحد التى يمارسها الشباب فى العالم سبب فى تعطيل دعوته للرعيية . فبينما هو يحس بدعوته للرعية ويشتاق اليها تربطه الخدمة ويقنعه الآخرون بانه مفيد فى الخدمة وبسبب بركة لكثيرين ، وينصحونه بأن يلغى هذه الفكرة او على الأقل يؤجلها .

ليعلم هذا الأخ انه اذا ذهب الى الدير سيكون مثمرا وسبب بركة ليس لفرع واحد أو فصل واحد من فصول الخدمة ، بل سيكون بركة للكنيسة كلها على مستوى أعلى . فبينما الخدام مشغولون فى الخدمة ولا يجدون وقتا متسعا للصلاة من اجل نفوسهم ومن أجل مخدوميهم ، سيكرس هو نفسه لهذا العمل ، لأنه بينما كانت مرثا تخدم المسيح كانت مريم أختها جالسة عند قدميه تسمع كلامه . وبينما كان يشوع يحارب عماليق فى الوادى كان موسى على الجبل رافعا يديه يصلى طالبا النصر ، وما زال حتى الآن للرب حرب مع عماليق (الشيطان والعالم) من دور الى دور الكنيسة كما تحتاج لرجال الخدمة تحتاج وبالحاح الى رجال صلاة وركب منحنية لكى تثمر الخدمة .

حينما يسمع زملاؤك الخدام وتلاميذ فصلك انك ذهبت الى الدير سينتفعون بتعبدتك وزهدك ومحبتك لله اكثر مما انتفعوا بكلامك . سيراجعون أنفسهم ولا يأخذون التدين مجرد كلام ووعظ وحضور اجتماعات. وانما سيقتدون فى محبتك لله وزهدك ولو على قدر طاقتهم وهم فى العالم . وقد قال الرب يسوع « الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير » يو ١٢ : ٢٤ .

والتلاميذ لم يؤمنوا بكلمات الرب ولم يصدقوها الا بعد أن مات معلمهم ودفن فى القبر وقام من بين الأموات ، حينئذ دخل التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فآمن » يو ٢٠ : ٨ .

٨ - مسئولية خلاص تلاميذ الفصل :

يحتج الخادم أحيانا بانه لا يستطيع ان يترك فصله الذى يخدم فيه لأنه مسئول عن خلاص تلاميذه .

جميل جدا أن تشعر بهذه المسئولية ، ولكنك يا أخى لست وحدك المسئول عن خلاص نفس الأطفال او الشبان الذين تخدمهم ، فيشاركك هذه

المسئولية البيت والكاهن وامين الخدمة ، اذا شعرت بدعوتك للرهبنة ، يمكنك بهدوء ان تسلم الفصل الى زميلك الآخر بالفصل ، او تسلمه لأمين الخدمة لكى يعين له الخادم المناسب ، أما انت فقلبى اندعوة التى دعيت اليها ، ومن عمق البرية تستطيع أن تخدم اولاد فصلك ، بالصلاة من اجل كل واحد ، سيتغير نوع الخدمة فقط ، فبدلا من الخدمة المباشرة بالافتقاد والتعليم تصبح خدمتك لهم غير مباشرة ، بالصلاة من أجلهم وبتقديم القدوة الحسنة والمثال الذى يحتذى فى محبة الله والزهد عن العالم وكل شهواته. اما الخدمة المباشرة فستقدمها لله مباشرة بخدمة الصلاة والتسبيح والتأمل ، مختارا النصيب الصالح الذى لن ينزع منك .

٩ - مسئولية الشاب تجاه الاسرة :

كان يكون العائل الوحيد للأسرة بعد والده الذى شاخ وعجز عن الكسب أو الذى توفى . او يكون ما زال مطلوبا للخدمة العسكرية ، لم يؤدها ولم يعف منها . فى هذه الحالة يحسن الانتظار حتى تتصلح الأمور وتصبح اكثر ملاءمة ، فالدير لا يقبل من كان موقفه من الجندية ما زال شائكا ، او من كان فاشلا فى حياته الدراسيه أو العملية ، كما ان الذى يترهب ويكون حال الأسرة فعلا يستدعى وجوده وسطها فانه يتعب فى الرهبنة ويعيش منقسما غير راض عن وضعه .

١٠ - اعتراض أب الاعتراف :

اعتقد أن آباء الاعتراف لا يمتنعون من له اشتياقات رهبانية منعا باتا ، وانما يحاولون أن يبصروه بالأمور ، يذكرون له بعض متاعب الطريق ويطالبونه بان يجلس مع نفسه ويحسب حساب النفقة ، يذكرونه بمسئولياته تجاه اسرته ، أو يضعون له بعض الاختبارات لامتحان عزيمته .

على الشاب الناضج المتفهم للفكرة أن يقنع اباه الروحى بتصميمه وعزيمته ، وعلى أب الاعتراف اذا تأكد من عزيمة ابنه على الرهبنة او التكريس أن لا يضع أمامه العراقيل والعقبات بدون داع ، علما أنه اذا منعه عن هدفه بسلطانه الروحى بدون وجه حق سيكون مسئولا عن ذلك أمام الله خصوصا اذا ضعفت حياة الشاب الروحية من جراء وجوده فى العالم أو لشعوره بكسر النذر وضياع الهدف ، او لنكسة روحية تصيبه لسبب ما .

الفصل الثالث

بركات الدعوة الرهبانية

للدعوة الرهبانية وحياتها الملائكيه بركات كثيرة ، لا تقتصر على الراهب وحده كما يظن البعض بل تتعدى شخصه الى البيت ثم الى الكنيسة ثم الى العالم كله ، وسنحاول أن نبين ذلك فى ايجاز : ـ

١ ـ بالنسبة للراهب نفسه :

بالنسبة للشاب الذى يستطيع الافلات من بحر العالم المضطرب ، الذى أصبح يموج بالخطايا والعثرات والشرور والهموم والمشغوليات القاتلة للنفس والروح ، ويذهب الى الدير ، يكون بلا شك قد وضع رجله على اول الطريق للوصول الى الله . والمثل يقول : من سار على الدرب وصل ، يحيا فى الدير حياة توبة سهلة وبسيطة ومضمونة اذا مشى فيها بأمانة ، يحيا حياة تجرد وموت عن العالم وشهواته استعدادا للعالم العتيد ان يرثه ناظرا باستمرار الى الحياة السمائية التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله . لأن هذا هو شهوته وشغله الشاغل .

٢ ـ بالنسبة للبيت :

+ أما بالنسبة للبيت ، فحقا فى اول الأمر يتأثرون من جراء الضعف البشرى وروابط اللحم والدم والحنان والخوف على ابنهم ، ولكن حينما يتأكدون من عزمه على الرهبنة ويطمئنون الى نجاحه فى السير فى الطريق الالهى يتحول حزنهم الى فرح وبكاؤهم الى سرور ، يهنئونه على اختياره الموفق ويطلبون صلواته .

+ يتمنون من كل قلبهم لو كانوا مثله واختاروا نصيبه .

+ يحدث للكثيرين من الأهل والأقارب الغارقين فى اهتمامات العالم وعبادة المال والعمل والجسد رجة عنيفة ويبدأون فى مراجعة مبادئهم ويصلحونها معطين لله نصيبه من حياتهم ووقتهم وأموالهم .

+ يبدأون أن يحيوا حياة التوبة ، بعد أن راوا انسانا يترك كل شيء ليكرس نفسه لهذه الحياة لأن بدون التوبة لن يعاين أحد الرب .

+ يشعر الوالدان بفخر أنهما أصبحا والدين لراهب مبارك ، قدماه لله كتقدمة شكر ، يصلى عنهم ويتشفع فيهم .

+ يشعر الوالدان براحة أنهما قدماه لله وللكنيسة ثمرة صالحة ، كصموئيل النبى الذى قدمه أبواه الى الهيكل ليخدم الرب ، ومثل العذراء مريم التى قدمها أبواها الى الهيكل لتتعبد الرب وتخدمه بطهارة وعفاف .

+ يشعر الأهل ببركات مادية فى البيت ، الدخل البسيط أصبح يكفيهم كوار الدقيق لا يفرغ بسرعة وكوز الدهن لا ينقص بسرعة ، الأمراض امتنعت أو خفت من البيت ، ساد البيت الرضى والسلام والطمأنينة ، الأولاد نجحوا فى مدارسهم وكلياتهم ، وبعضهم تخرج وأصبح يقبض مرتبا ، أصبح الأولاد متدينين حتى يليق بهم أن يدعوا أخوة لراهب عابد بالدير .

+ كل هذه بركات يحسون بها ويلمسونها ، ويتصورنها لابنهم الراهب حينما يزورونه فى الدير فيمجدون الله الذى يعوض ويعطى بسخاء ولا يعير .

٣ - بركة للكنيسة :

+ الرهبان هم الجيش الخلفى الساتر لظهر الكنيسة ، والكنيسة على مدى تاريخها المطويل تدين للرهبان بالكثير من الفضل فى الحفاظ على عقيدتها وايمانها ومسلماتها وكنوزها الروحية .

+ كم سمعنا فى التاريخ عن بطاركة واساقفة لجأوا الى الأديرة عندما اشتد الاضطهاد ، يطلبون صلوات الرهبان عنهم وعن شعبهم ، ويجدون عندهم فى الأديرة ملجأ أمينا فيه يعتكفون ويطلبون تحدة السماء .

+ كم من كنائس تخربت واحـــرق أو نهب ما فيهـــا من كتب ثمينـــة ومخطوطات نادرة ولم تبق الا الكتب والمخطوطات الموجوده فى الاديرة ككنوز ثمينة ٠

+ كم نسمع عن الرهبان أنهم حماة الايمان ورائدوا عن العقيدة ومتصدو البطاركة فى جهادهم ضد البدع والهرطقات ٠

+ نسمع أنه عندما اغلقت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية تحول اساتذتها وتلاميذها الى دير ابى مقار ، فكان الرهبان خير من يحمى هؤلاء العلماء اللاهوتيين ٠

+ قد أورثت الرهبنة للكنيسة سير قديسين واقوال آباء غاية فى السمو والروحانية ، ما زالت الكنيسة تمتص منها وتتجنر عليها وتعيش على هديها ونبراسها ٠

+ كم صدرت الرهبنة للسماء شهداء وقديسين من أعلى طراز ، انضموا الى الكنيسة المنتصرة ليصلوا عن الكنيسة المجاهدة لتكمل جهـادهم بســـلام ٠

يقول نيـــافة الأنبـــا بيمين فى كتابه « حيـاة النعمة » ص ١٨٠ « الرهبنة بالنسبة الى جسم الكنيسة كالغدد الصماء الداخلية التى لايمكن الاستغناء عن هرموناتها ٠٠٠ انها تعمل فى صمت ولكنها أساسية فى حيـاة الجسد ٠ وصلاة الراهب وانتاجه الروحى لازم لكنيسته ، كما أنها شهادة مسبقة للملكوت » ٠

ونلاحظ الآن أن أغلب الذين ينخـرطون فى سلك الرهبنة من الخـدام الغيورين الذين مارسوا الخدمة بمسئولياتها المختلفة بأمانة وتدقيق ٠ وهذا فى الواقع تدرج طبيعى للحياة الروحية ، بعد أن خدم الانسـان المسـيح فى شخص أطفاله وأولاده فى الكنيسة يخرج الى البرية ليخدمه هو خدمة مباشرة بالصلاة والتسبيح والتأمل ، فنجد مثلا أبفراس تلميذ بولس الرسول يعلم ويخدم بأمانة فى كنيسة كولوسى كما يقول الرسول « كما تعلمتم أيضا من ابفراس العبد الحبيب معنا الذى هو خادم أمين للمسيح لأجلكم » كو ١:٧ ثم يعتكف ويجاهد ايضا فى الصلاة من أجل هذه الكنيسة وغيرها « يسلم عليكم أبفراس الذى هو منكم عبد للمسيح **مجاهد كل حين بالصلوات لأجلكم**

لكى تثبتوا كاملين وممتلئين فى كل مشيئة الله فانى أشهد فيه ان له غيرة كثيرة لأجلكم ولأجل الذين فى لاودكية والذين فى هيرابوليس ، كو ٤ : ١٢ ، ١٣ .

نجد ايضا خدمة الكنيسة بواسطة الصلاة فى موسى النبى ، فبينما كان يشوع يحارب عماليق كان موسى على الجبل رافعا يديه يصلى من أجل انتصار الشعب . وكانت كلما ترتخى يداه ينهزم اسرائيل وكلما تثبت يداه مرتفعتين منضرعتين ينتصر الشعب ، خر ١٧ : ١٨ - ١٣ . هكذا يقول اثناسيوس الرسولى انه اذا قويت الرهبنة قويت الكنيسة واذا ضعفت الرهبنة ضعفت بالتالى الكنيسة .

٤ - بركة للعالم :

الراهب الحقيقى يكون فعلا بركة للعالم يقول أحد الآباء ، العالم يرى الله بأعين رجال الصلاة ويتنفس الخلود برئة الروحانيين ويسير نحو الملكوت على أقدام الصائمين » .

ويقول نيافة الأنبا بيمين فى كتابه « حياة النعمة » ص ١٠٩ « الرهبان يفرزون من العالم لكى يحل الروح القدس عليهم ويقدس بواسطتهم العالم كله . الرهبان مثل باكوره الحصاد وباكورة القطيع المقدمة للرب فيبارك الحصاد كله والقطيع كله . فقيهم يتقدس ويتبارك شعب الله كله . هم مثل الخميرة التى تفرز وتخبأ وبواسطتهم يختمر العجين كله .

المتزوج يثمر ولكن فى حدود ضيقة ، والبتول يثمر ولكن فى حدود أوسع والراهب ثمره لا حدود له لأن كرمه هو العالم كله » .

ومن تاريخ الرهبنة وآبائها العظام نجد التأكيد العملى لهذا الكلام فالقديس مقاريوس تلمذ الكثيرين من الأجانب وعلمهم الرهبنة الصحيحة . نجد فى الذكصولوجية الخاصة به هذا الربع ، ... فلهذا يفدون اليك من اقاصى الأرض ، ومن رومانيا وسوريا والشرق واسبانيا . والقديس مقاريوس هو الأب الروحى للامبراطورين مكسيموس ودوماديوس أولاد الامبراطور فالنتيانوس . وحتى بعد نياحته ظلت بريته وجهة انظار المتطلعين الى الروحانية والنسك والرهبنة الأصيلة من كل انحاء العالم .

اليها وفد الكثيرون من البلاد الأجنبية ، تتلمذوا على آبائها العظام وشربوا منهم الروحانية والعبادة والنسك ، وبعد أن عادوا صاروا فى بلادهم بطاركة وأساقفة وآباء رهبنة عظام ٠

+ كذلك كثر الرهبان الأجانب الذين سكنوا البرية الى نهاية حياتهم فنجد حتى الآن دير السريان نسبة للرهبان الذين وفدوا من سوريا وعمروه وسكنوه فترة من الزمن ، كذلك تجد فى الأديرة المتهدمة القريبة منه ، دير الأرمن ودير الأحباش ٠

+ كما كثر الرهبان الأجانب الذين تتلمذوا للقديس باخوميوس اب الشركة مما حدا به ان يجعلهم مجموعات مستقلة حسب جنسياتهم ، ولكل فئة مدبر من جنسهم ولغتهم ٠

+ كذلك نقرأ فى بستان الرهبان عن القديس أشعياء الاسقيطى ، الذى وقف مرة عاريا (الا مما يستره طبعا) وأخذ يصلى عن العالم كله فأوحى الله الى أحد الرهبان قائلا « خذ ثوبا والبسه لأنبا اشعيا لأنى رحمت العالم كله بسبب صلاته ٠

+ ويحكى البستان عن راهب آخر حدث فى أيامه قحط وغلاء ، ولم يتبق له فى قلايته سوى ثلاث خبزات فقرع الباب سائل يطلب صدقة فأعطاه خبزتين ، ولما حان موعد أكله قام ليأكل الخبزة الباقية فقرع الباب سائل آخر يطلب صدقة فأعطاه الخبزة الباقية وبقى هو جائعا لمدة ثلاثة أيام وهو يشكر الله ٠ أخيرا سمع صوتا يقول له « لن يكون جوع أو قحط على الأرض كلها أيام حياتك » وإذا بالباب يقرع وانسان يقدم له حمولة جمل من الأطعمة والمؤن مرسلة له من الريف ٠

نقرأ فى سيرة القديسين أيضا أنه بصلوات القديس مقاريوس الاسكندرانى مرة وبصلوات القديس يعقوب التائب مرة أخرى ،نزل المطر مدرارا بعد انعدامه مدة طويلة ، فارتوت الأرض وأخرجت ثمرها وعم الرخاء فى أنحاء البلاد ٠

حتى الآن نرى الرهبان بركة للعالم ، يزور الأديرة الناس من كل جنس ودين ويرجعون مشبعين بروح التقوى والورع والزهد والعفة ، سواء من منظر الرهبان أو كلامهم أو التأمل فى حياتهم وفلسفتهم ٠

اخيرا اعرف قصد الله :

ان لله قصدا فى حياتك يا أخى من يوم أن خلقك وصورك فى البطن ، هذا ما لا شك فيه . اطلب منه بلجاجة أن يسمح لك بادراكه ، ولا تشك مطلقا أنك وهبت كل المؤهلات الخاصة التى يتطلبها ذلك القصد . فان الله قد صورك لهذه الغاية واختزن فيك ما سبق أن راه لازما لقيامك بكل واجبات دعوتك . وأنت بدورك ينبغى أن تعمل كل ما فى وسعك لمعرفة قصد الله من نحوك ، بالصلاة وبالمشورة وبفحص النفس وبفحص الظروف المحيطة ، ثم العمل على تتميم ذلك القصد الالهى وايفائه بامانة واخلاص وان تسير فى الدعوة التى دعيت اليها بحرص وتحقيق وأمانة ، ونورد هنا بعض اعتبارات تعيننا فى هذه الناحية : -

١ - اتجاه ميولنا الطبيعية واستعداداتنا لأن هذه ان مسها روح الله تصبح وزنات أو مواهب .

٢ - الدافع القوى فى قلوبنا أو عمل الروح القدس فينا أن نريد أو نعمل من أجل مسرته .

٣ - ماذا تعلمنا اياه كلمة الله ، ثم الارشاد الروحى الرزين المتعقل .

٤ - ماذا تقتضيه الظروف المحيطة بنا ومطالب الحياة .

٥ - **ثبات الفكرة بعد صلوات كثيرة وتريث طويل** واختبارات متعددة واستشارات حكيمة متذكرين **الحكمة القائلة** « الذى من الله يثبت والذى من الشيطان يزول » .

اذا اتخذت هذه كلها وتركزت فى نقطة واحدة ، رهبنة أو كهنوت ، **فلا** سبيل الى الشك فى القصد الالهى . ولكن فى الحالات التى لا يتضح فيها القصد الالهى تمام الوضوح ، ينبغى أن نستمر فى شغل المركز الذى وضعتنا فيه العناية الالهية ، ونظل أمناء فيه وله حتى تتضح مقاصده ويامرنا بغيره .

بعض وصايا للقديس اكليمادوس لمن يريد الدخول فى سلك الرهبنة (١) :

---

(١) بستان الرهبان طبعة دير سويف ص ١٣١ .

أتعلم ما هى الرهبنة ؟ هى درجة الملائكة الذين لا يفترون ليلا ونهارا عن خدمة الههم · ومن دخل فيها بانحلال وكسل فقد صير نفسه أشقى حالا مما لو كان بانحلال فى العالم ·

أتعلم من هو الراهب ؟ الراهب هو الذى يستعد ليصير مثل الملائكة بدون عم ويشق عنه ثوب العالم ·

لا تظن أن معاشرات القديسين وحدها أو السكن فى مواضع الصديقين تنفعك ·

لا تتخلى عن كبيرة ولا صغيرة من جميع الوصايا بل قم بجميعها بثبات والا فالأفضل لك أن تقيم مع العلمانيين · ان علمت هذا فافحص عليك قبل أن ترفض العالم وتهيىء ذاتك جنديا للسيد المسيح الذى له المجد الى الأبد آمين ·

الفصل الرابع

رحلة الراهب إلى البرية

كمثال رحلة بنى اسرائيل فى برية سيناء

مقدمة :

الله يحب أن نعبده فى البرية لكى نجد فرصة للتلذذ معه والالتصاق به ، فحينما أمر الله موسى أن يخرج بنى اسرائيل من مصر قال له « حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل » (خر ٣ : ١٢) ان الهدف الرئيسى لسفر الخروج وما يحويه من أخبار الخروج والمعجزات والوصايا وغيرها هو عبادة الله فى البرية عبادة طاهرة نقية .

ومن هذا الأمر نعرف لماذا حينما دخل موسى وهارون الى فرعون قالا له « هكذا يقول الرب اله اسرائيل أطلق شعبى ليعيدوا لى البرية ... انه العبرانيين قد التقانا فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا لئلا يصيبنا بالوبأ أو بالسيف » (خر ٥ : ١ ـ ٣) وحينما رفض فرعون هذا الطلب وأمرهما أن يعبدوا الرب فى مكان سكناهم « دعا فرعون موسى وهرون وقال : اذهبوا اذبحوا لالهكم فى هذه الأرض » (خر ٨ : ٢) أى فى أرض مصر رفضا بشدة وقال موسى « لا يصلح أن نفعل هكذا .. نذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا كما يقول لنا » (خر ٨ : ٢٦ ، ٢٧) وظلا هكذا ثابتين على موقفهما حتى اضطر فرعون على الموافقة أخيرا « فقال فرعون انا أطلقكم لتذبحوا للرب الهكم فى البرية ولكن لا تذهبوا بعيدا . صلوا لأجلى » (خر ٨ : ٢٨) .

كانت البرية هى المكان المفضل للرب يسوع المسيح الاله المتجسد فقد قضى الرب أوقاتا طويلة فى براري وجبال فلسطين اذ لم يكن له بين الناس مكان يسند فيه رأسه « فكان فى النهار يعلم فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون » (لو ٦ : ١٥) وعبر عن ذلك تلميذه الحبيب يوحنا بكلمات مؤثرة فقال « ومضى كل واحد الى بيته أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون » (يو ٧ : ٥٣ ، ٨ : ١) .

وكثيرا ما شهد الجبل - وكانه محدع مسيح - صلوات السيد المسيح الحارة ، وارتفعت منه انات الرب الى الآب كشفيع عن العالم الشرير وكمحامى عن البشرية الساقطة . وكثيرا ما ارتفعت من الجبل مناجاة الابن مع الآب وخاصة فى هدوء الليل وسكوته ويخبرنا البشيرون بقولهم « وبعد ما ودعهم مضى الى الجبل ليصلى » (مر ٦ : ٤٦) . « وفى تلك الايام خرج الى الجبل ليصلى وقضى الليل كله فى الصلاة لله » (لو ٦ : ١٢) « واما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى » (لو ٥ : ١٦) . وأعتقد أن الجبل كان يمتلىء من الملائكة تاتى لتخدم وتسبح خالقها الملتحف بالتواضع كثوب كما حدث على جبل التجربة « واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » (مت ٤ : ١١) .

يسوع هو فتى الجبال الوحيد الذى رآته العروس فانشدت « صوت حبيبى هوذا آت على الجبال قافزا على التلال » (نش ٢ : ٨) كان يسوع « كالظبى او كفقر الأيائل على جبال الأطياب » (نش ٨ : ١٤) .

لمس القديسون رضى الرب عن العبادة فى البرية واقتنوا بالمسيح معلم الصلوات النقية الذى ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) فخرجوا الى البرارى وسكنوها وانتشروا فيها حتى تحولت الى معابد ومناسك وقلالى وأديرة تعد بالآلاف تتصاعد منها الصلوات والتسابيح فيتنسم الرب منها رائحة الرضى .

مميزات العبادة فى البرية

١ - البرية فى طهارتها ونقاوتها تمثل قدس أقداس العالم . فاذا شبهنا العالم بكنيسة كانت البرية هى الهيكل ، أكرم مكان واطهر واقدس مكان فى الكنيسة ويكون الراهب هو كاهن الخليقة يقدم لله على الدوام ذبائح التسابيح والتماجيد على مذبح قلبه الطاهر فيتنسم الرب رائحة الرضا . لذلك عند ما كان داود النبى فى برية يهوذا هاربا من وجه شاول الملك ، وغير متمكن من الذهاب الى خيمة الاجتماع والصلاة فى مقادس الرب أعتبر البرية هى قدس الأقداس ، وأنشد فيها مزموره الرائع المشهور « يا الله الهى اليك ابكر اذ عطشت اليك نفس . يشتاق اليك جسدى فى أرض مففرة ومعرضع غير مسلوك وممكان بلا ماء . هكذا تراءيت لك فى

القدس لأرى عزك ومجدك » (مز ٦٣ : ١ ، ٢) وهذا المزمور معنون هكذا « مزمور لداود لما كان فى برية يهوذا » ٠

٣ ـ البرية غنية بتأملاتها عن عظمة الله الذى صنع كل شىء بحكمة عن الله غير المحدود فى حبه وحنانه ٠ حينما يتلو الراهب مزمور « رفعت عينى الى الجبال من حيث تأتى معونيتى ٠٠ » وهو سائر فى البرية تتوارد الى ذهنه تأملات كثيرة عن ذراعى الرب المفتوحة والمتسعة اتساع البرية واكثر لقبول كل خاطىء تائب واعانة كل ملهوف مستغيث لأن الرب وعد قائلا « من يقبل الى لا أخرجه خارجا » (يو ٦ : ٣٧) ٠

علو الجبال يعطينا فكرة عن عدل الله المتعالى المنزه عن كل شائبة مما يجعل حياة التقوى وخوف الله تتغلغل فى نفس الراهب حتى تمس كيانه الداخلى ٠

٣ ـ البرية غنية بتأملاتها عن عظمة الله الذى صنع كل شىء بحكمة وجمال يرى كل شىء انه حسن جدا ، يتعرف الراهب على عظمة الله حينما يتأمل فى الصخور ذات الأشكال المختلفة ، ويتأمل فى الرمال ذات الألوان المختلفة ، يتأمل فى النباتات العجيبة التى تنمو فى الجبال دون أن يزرعها او يهتم بها احد لأن المهتم بها هو الله بذاته حسب قول المرنم « الذى يجلل السماء بالغمام ٠ الذى يهيىء للأرض المطر ، الذى ينبت العشب على الجبال والخضرة لخدمة البشرية ، يعطى البهائم طعامها وفراخ الغربان التى تدعوه (مز ١٤٧ : ٨ ، ٩) » ٠

٤ ـ فى سكون البرية وهدوئها بعيدا عن ضجيج العالم تتجمع الحواس وتسمو الروح متنطلق لتعبد ذاك الذى سلطانه من البحر الى البحر ومن الجبل الى اقصى الأرض ٠

٥ ـ سكون البرية يؤدى الى سكون الحواس وبالتالى الى سكون القلب حسب وصية الشيخ الروحانى « سكت فمك ليسكت قلبك وسكت قلبك ليتكلم الله » ويقول مار اسحق « ان مجرد النظر الى القفر يميت من النفس الحركات العالية ويحميها من ثوائر الأفكار واذا ماتت من النفس الحركات والشهوات العالية يبدأ يدب فيها الاشتياق الى الله ومحاولة التعرف عليه عن قرب واختبار طعما فى الوصول اليه والاتحاد به ٠

٦ - فى البرية حيث حياة الغربة والتجرد بعيدا عن غنى العالم وامجاده وكراماته يستطيع الراهب ان يحيا حياة التوبة الحقيقية والتوبة هى أم الحياة ، والتوبة هى والدة الصلاة النقية المقبولة ، لانه بدون توبة لا يقبل الله اى ممارسات او جهادات يعملها أى انسان ، فبدون توبة لن يخلص أحد « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) .

٧ - البرية هى مكان حرية وانطلاق من كل رباطات العالم ، فيها تكشف النفس مقدار حقارة العالم فبعد ان صعدت النفس الى فوق الى البرية تبدأ تتجه بقلبها الى فوق تتطلع الى الله النور الحقيقى والحب الحقيقى والجمال الحقيقى .

٨ - البرية تساعد الراهب على حفظ القلب ومراقبته وحراسة الأفكار ورصدها وهذا اعظم عمل يستطيع أن يقوم به انسان ، ويقول مار اسحق « السكون يقطع الاسباب التى تجدد الأفكار ويبددهم داخل حصنه ، وينس التذكارات القديمة ، واذا بليت الأمور القديمة ونسيت عند ذلك يرجع العقل الى التقويم الطبيعى » . ويحكى لنا بلاديوس كاتب بستان الرهبان هذه القصة . « قسم بعض الفلاسفة يوما الى البرية لاختبار الرهبان .. ثم عليهم راهب كبير السن من الليبيين (أعتقد أنه من الاسقيط بصحراء مصر الغربية حيث تسمى هذه الصحراء أيضا بالصحراء الليبية) فحاولوا استفزازه قائلين « أيها الراهب الذى شابت ناصيتك فى ارتكاب المعاصى تقدم الينا » فلم يتردد فى الذهاب اليهم ، وعندئذ ضربه احدهم على احد خديه فأدار له الآخر ، فلما رأوا ذلك منه نهضوا جميعا وسجدوا له قائلين « أية اشياء تتعلمونها يا سكان البرية أكثر مما نفعل ؟ تصومون ونحن ايضا نصوم ؟ تعيشون فى طهارة ونقاء ونحن ايضا نعيش فى طهارة ونقاء ، كل ما تتعلمونه نفعله نحن ايضا ، فأى شىء يا سكان البرية تتعلمونه أكثر منا ؟ فأجابهم الراهب الليبى : « اننا نعيش ونحن رقباء على عقولنا وحراس لها » فاعترف الفلاسفة « بأن هذا الأمر فوق طاقتهم » (١) .

ويقول مار اسحق « الذى اقتنى الفضائل العظيمة مثل الصوم والسهر وما اشبه حراسة القلب واللسان فهو فى الباطل يتعب ، واذا وضعت كل اعمال التوبة فى ناحية والحفظ فى ناحية ، فالحفظ يرجح »

---

(١) مجلة الكرازة - عدد ٦ فبراير ١٩٧٦ م - العدد ٦ .

٩ ـ من البرية يستطيع ان يتعلم الراهب درسا مفيدا ، فالبرية واسعة جدا وليست فيها طرق معبدة او مرصوفة ليسلك فيها السائر ، ويحتاج الانسان الذى يسير فيها الى مرشد او دليل حتى يصل الى حدفه والا تاه وهلك فى فيافيها ووديانها . والرهبنة الموجودة داخل البرية تشبه البرية تماما فى هذه الخاصية ، فلا بد للمبتدىء فى السير فى طريق الرهبنة ان يستعين براهب قديم مختبر ومحنك فى دقايق الرهبنة وطرقها وغوامضها ويتخذه كأب ومرشد حتى يوصله الى حدفه الى ارض الميعاد كنعان السماوية ، اما ان مشى فى الرهبنة بمفرده متكلا على علمه النظرى وخبراته الروحية الضئيلة تاه وهلك وكمل عليه قول ايوب « يدخلون الليه ويهلكون (اى ٦ : ١٨) ، وقول الحكيم « حيث لا تدبير يسقط الشعب واما الخلاص فبكثرة المشيرين (ام ١١ : ١٤) » .

١٠ ـ فى البرية بعيدا عن المشاغل والمشاكل يجد الراهب وقتا كافيا للعبادة العميقة الشاملة ولدراسة الكتاب المقدس دراسة واعية مستفيضة فيحصل على معرفة روحية واختبارات روحية وعمق روحى لا يستطيع ان يحصل عليها الانسان الذى فى العالم المشتبك بمشاغله ومشاكله .

ونحاول هنا بقدر استطاعتنا عمل مقارنة روحية تأملية بين خروج بنى اسرائيل من مصر وعبورهم البحر الاحمر ومسيرتهم فى البرية اربعين سنة ثم دخولهم الى ارض الموعد وبين خروج الراهب من العالم ومعيشته فى البرية طوال حياته عابدا الرب حتى يؤهله الله للدخول الى اورشليم السمائية ، ارض الموعد ، كنعان السمائية التى هرب منها الحزن والكآبة والتنهد ليسكن هناك فى راحة ابدية دائمة .

خروج المؤمن الى البرية للرهبنة :

حينما تنضج فكرة الدعوة الرهبانية فى قلب المؤمن ويحس ويعى فى العالم بدعوة الرهبنة تسرى فى قلبه كالنار ويصبح العالم بكل ما فيه من اتساع ومتعة ومركز لا شىء فى عينيه بل انه يمثل ثقلا عظيما على نفسه الرقيقة المحبة لله المتعطشة للارتواء منه والجاثمة الى الجلوس عند قدميه لسماع كلام الحياة ، وتظل نفس تحت هذا الثقل وتحاول تحطيم الرباطات

التى يربطها بها العالم رباطا بعد الآخر . ويحاول الانسان أن يسأل ويستفسر ويصلى حتى يساعده الرب على تقطيع رباطات العالم وايضاح الطريق اكثر فاكثر . منتظرا اليوم الذى ينطلق فيه الى البرية ليحيا مع الله بلا مانع ولا عائق .

حالة الانسان هذه تشبه حالة بنى اسرائيل عندما كانوا فى مصر يئنون من عبوديه فرعون والمصريين . ويقول الكتاب « جعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم ... فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل . كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفا (خر ١ : ١١ - ١٤) » . ومن جراء ذلك وتنهد بنو اسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم الى الله من أجل العبودية . فسمع الله أنينهم .. ونظر الله بنى اسرائيل وعلم الله (خر ٢ : ٢٣ - ٢٥) » .

صعوبة الخروج من العالم :

لما جاء ملء الزمان والوقت المحدد من قبل الرب لاخراج بنى اسرائيل من مصر الى البريه أرسل لهم موسى لاقناعهم ثم لقيادتهم وارشادهم فى خروجهم وسيرهم وعبادتهم فى البرية وقال الرب لموسى « فان سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له « الرب اله العبرانيين التقانا فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا . ولكن اعلم أن فرعون لا يدعوكم تمضون ولا بيد قوية (خر ٣ : ١٨ ، ١٩) » .

هكذا الانسان المؤمن حينما يرسل له الرب الاقتناع والتصميم والراحة الداخلية بأن طريق الرعبنة هو طريقه والخروج الى البرية هو مساره ويبدأ أن يستعد للخروج يقوم عليه الشيطان « فرعون العقلى » ويضع العراقيل فى طريقه والمثبطات والمخاوف فى افكاره وهكذا يحاول بكل حيلة الا يدعه يمضى الى البرية ولا بيد قوية .

الأخ الذى يود أن يخرج الى البرية سعيا لخلاص نفسه كأنه يعمل جريمة فى اعين الناس الذين حوله . واهله يضغطون عليه ويضايقونه . واصدقاؤه يتهمونه بالجنون أو الدروشة ويثبطونه . الكل يتكاتفون ويتضافرون لكى يثنوه عن عزمه ويحاولون بكل حيلة الا يدعونه يمضى الى

البرية ولا يبيد قومه . على مثل هؤلاء الأهل والأقارب ينطق قول الرب يسوع « واعداء الانسان أهل بيته (مت ١٠ : ٣٦) ، ولشدة الصعاب التي يجتازها الأخ طالب الذهاب الى البرية والتي يحتاج لاجتيازها نعمة خاصة ومعونة خاصة من الله قال أحد الآباء لا تعجب من انسان يترك الدير ويذهب الى العالم بل اعجب من انسان يترك العالم ويذهب الى الدير ... ووجه العجب هنا كيف أن هذا الانسان استطاع أن يتغلب على كل مغريات العالم ومباهجه ثم على المعقدات الكثيرة التي وضعها له الشيطان عدو كل بر لكي يمنعه من الخروج الى البرية ثم على المضايقات والمثبطات التي وضعها له أهله لكي يثنوه عن عزمه المقدس هذا . انه بلا شك عمل الهي قوي ويقول المرنم ، كثيره عي أعوال البحر . الرب في العلى هو أقدر (مز ٩٣ : ٤) » .

قوة الله تسند الانسان في خروجه من العالم :

عندما طلب موسى من فرعون أن يترك بني اسرائيل ليذهبوا الى البرية ليعبدوا الههم رفض فرعون واصدر اوامره لسخرى الشعب قائلا « لا تعودوا تعطون الشعب تبنا لصنع اللبن كامس وأول من أمس . ليذهبوا هم ويجمعوا تبنا لأنفسهم ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه امس وأول امس تجعلون عليهم . لا تنقصوا منه فانهم متكاسلون لذلك يصرخون قائلين نذهب ونذبح لالهنا . ليثقل العمل على الناس حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا الى كلام الكذب (خر : ٧ ـ ٩) » .

وعندما شكا موسى الأمر للرب قال له الرب « الآن تنظر ما انا أفعل بفرعون فانه بيد قوية يطلقهم (خر ٦ : ١) » .

نفس الأمر يتكرر مع الانسان الذي يريد الخروج الى البرية بقصد الرهبنة وحياة العبادة لله ، ويحاول الشيطان بكل قوته أن يعرقله . يبدأ الناس بأن يكيلوا له الاتهامات بانه يريد الذهاب للدير هروبا من المسئولية ، يتهمونه بالكسل وانه يريد الذهاب الى الدير هروبا من العمل وانه محب للكسل والتراخي ، واكثر من ذلك يتهمونه بانه يتبع أكاذيب وخرافات واوهام اسمها الرهبنة أو البرية وانه مخدوع من آخرين أو انه تحت تأثير أفكار معينة ما هي الا خرافات وخزعبلات ، فينصحونه بأن

يعيش فى العالم يعمل ويكسب ويتمتع بحياته تماما كما قال فرعون أن يزيدوا العمل على بنى اسرائيل ، حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا الى كلام الكذب (خر ٥ : ٩) ٠

وحينما يجد الانسان نفسه فى ضيق من جراء هذه الاتهامات ويطلب الى الله أن يتدخل يقول له الرب « قف وانظر خلاص الرب » ويبدأ الرب يعمل بيد قوية وذراع ممدودة ، فيخزى الشيطان ويزيل كل افكاره الرديئة المشوشة التى تمرر نفس الأخ ، ثم يعطى الأخ نعمة فى عيون الناس لكى يوافقوه على رأيه ويساعدوه على الخروج من العالم ، او يستعمل الله أساليب أخرى كأن يعاقب المعارضين ببعض العقوبات حتى يفوقوا الى أنفسهم ولا يعارضون مشيئة الله ولا يحاولون تعطيل دعوة الأخ للرهبنة ، وحلا ينقلبون من معارضين الى مؤيدين أو على الأقل الى محايدين ويدعون الأخ يتصرف حسب ارشاد الله له ولا يقفون فى طريقه ٠

لايرتبط موضوع خروج الانسان للرهبنة بموافقة اهله فى كل الظروف، وحقا توجد بعض الظروف العائلية الملحة التى تضطر الانسان اضطرارا أن يبقى معهم ونعدد هنا بعض الحالات على سبيل المثال لا الحصر :

١ - ابن وحيد لأمه الأرملة ، كيف يتركها ويذهب الى الدير ، لن يستريح ضميره هناك وسيجد الشيطان ثغرة لاثارة الحرب عليه كثيرا ٠

٢ - ابن وحيد لابوين شائخين ، وهو عكاز شيخوختهما ، كيف يتركهما ويذهب الى الدير ، سيظل يفكر فيهما طويلا ، وهذه التفكيرات تفسد عليه علاقته بالله ٠

٣ - اخ اكبر لاخوة بنات غير متزوجات وأبوهم متوفى ، كيف يتركهن ، وكيف يعتنى من بعده ، هل تلذ له العبادة بينما أخواته يتسولن ماذا يكون حاله لو سمع بانحرافهن ٠

٤ - أخ أكبر لاخوة صغار ما زال يصرف عليهم فى تربيتهم وتعليمهم، كيف يستطيع أن يبعد بهدوء واخوته محتاجون ، وبعضهم قد يفشل ، أو لا يستطيع أن يكمل تعليمه لضيق الحال ٠

+ فى مثل هذه الحالات لا يليق بالانسان أن يتسرع فى تنفيذ فكرة الرهبنة ما دام أهله محتاجين لرعايته ماديا أو اجتماعيا او معنويا ،

اذا خرج مثل هذا الانسان للرهبنة لا تكون رهبنته ناضجة بل وينطبق عليه قول الرسول ، ان كان أحد لا يعتنى بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الايمان وهو شر من غير المؤمن (اتى ٥ : ٨) » . على الأقل يؤجل موضوع الرهبنة الى أن تتحسن الأحوال أو تتغير .

أما اذا كان أهل الانسان الذى يريد ان يترهب ليست لهم أية حاله من الحالات السابقة وليسوا محتاجين لرعايته لا ماديا ولا اجتماعيا ولا معنويا ويستطيعون ان يعيشوا بدونه لأن والدهم حى ولأن حالتهم المالية مستريحة وحالتهم الاجتماعية مستقره ، ثم بعد ذلك يضعون العراقيل ويعملون الضغوط على ابنهم الذى يريد ان يذهب لا لشىء الا لأنهم يحبونه جدا ولا يريدون أن يفارقهم أى بسبب علاقات وروابط اللحم والدم والمحبة الطبيعية أو لغرض سيطرتهم عليه وتوجيهه فى الوجهه التى يريدونها هم كأن يتزوج ليفرحوا به مثلا أو يعمل ويصير غنيا ويزيد من دخلهم وثروتهم ورفاهيتهم وكمالياتهم أو لعدم ايمانهم بالطريق الرهبانى وسموه أويكونوا أناسا عاليين غير متدينين ولا يهتمون بما هو لخلاص النفس والحياة الأخرى ويريدون أن يجرفوه معهم فى هذا التيار الخطير او لأى سبب آخر .

فى مثل هذه الحالات ينطبق على مثل هؤلاء الأهل قول الرب « اعداء الانسان أهل بيته (مت ١٠ : ٣٦) » لأن الد أعداء الانسان هم اعداء خلاصه مهما كانوا اقارب او اصدقاء . جاء الرب وقال «جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد امها والكنة ضد حماتها (مت ١٠ : ٣٥) » . ومعنى قول الرب انه يفرق الانسان المؤمن أو الروحى ضد الأب غير المؤمن أو غير الروحى وهكذا فى حالة الابنة مع امها والكنة مع حماتها .

مثل هؤلاء الناس تكون محبتهم لابنهم على مستوى الجسد واللحم والدم دون الاهتمام بخيره الروحى وخلاص نفسه ، لقد حذر الرب من مثل هذه المحبة بقوله « من أحب أبا أو أما اكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابنا أو بنتا اكثر منى فلا يستحقنى ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى (مت ١٠ : ٣٧ ، ٣٨) » .

فى مثل هذه الحالة لا يجب على الأخ الذى اشتعل قلبه بمحبة الله وشعر بدعوة الله له للخروج للرهبنة ، لا يجب عليه أن يذعن لنصائحهم ، ولايرضخ لتهديداتهم ، عليه ان يترك كل شىء ويتبع المسيح فى باب الرهبنة

الضيق ولسان حاله يقول « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس (أع ٥ : ٢٩) » . « ونحن من الآن لا نعرف أحدا حسب الجسد (٢ كو ٥ : ١٦) » .

ليخرج مثل هذا الأخ للرعية وقلبه غير منقسم وضميره غير متشكك من ناحية عدم رضاء والديه أو عدم طاعتهم أو ... أو غير ذلك من الأمور التى يحاول الشيطان أن يشككه بها وينقده سلامه .

فترة الاستعداد :

بعد أن تهيأ كل شىء للخروج وجاءت الليلة الحاسمة أمر الرب موسى أن يقول للشعب أن يستعدوا للرحيل وقبل الرحيل يعملون الفصح ويأكلونه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم ويأكلون بعجلة (خر ١٢ : ١١) » .

وشد الأحقاء يرمز الى الاستعداد لترك القديم بما فيه من كسل وتقاعس وشرور وعثرات ثم الاستعداد للسير والجهاد فى طريق الله بلا كلل ولا ملل .

لبس الأحذية يرمز الى الاستعداد الى المسير فى الطريق الالهى والحيدان عن طريق العالم الموحل بالنجاسات والشهوات وكافة الخطايا ، ويقول الرسول « حاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام (أف ٦ : ١٥) » وحمل العصى يرمز الى أن طريق الله شاق وطويل ، والعصا فى اليد هى عكازا ومعاون للرجل أثناء مسيرة الطويل الشاق ، وهى ترمز الى صليب ربنا يسوع الذى يجب أن يتمسك به الراهب أثناء سيره حتى يضمن الوصول الى أرض كنعان بسلام .

وأكل الفصح بعجلة تعبير عن حاسة الجوع الذهم هكذا يجب أن يكون جوع وعطش الراهب الى الله والى البر والملكوت ، ويقول الرب يسوع « طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون (مت ٥ : ٦) » . ويقول المرنم « كما يشتاق الايل الى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى اليك يا الله . عطشت نفسى الى الله الحى . متى أجىء وأتراءى قدام الله (مز ٤٢ : ١ ، ٢) » .

الانسان الذى تسمح له ظروفه العائليه والاجتماعية بالانخراط فى سلك الرهبنه دون ان يخلق مشاكل او متاعب لأهله من بعده ، ويحس بدعوة الرهبنه تعمل فى قلبه بتريث بعض الوقت ، يصلى هذه الفترة أن يكشف امامه الطريق ويجعل الدعوة تتضح فى قلبه اكثر فاكثر ، يزور الاديرة فى اوقات متقاربه حتى يتعرف على الحياة الرهبانية على الطبيعه ، فى الأديره يمكنه ان يجالس بعض البطاركه الروحية مع بعض الرهبان الكبار المختبرين ويطلعه لهم عما فى قلبه وعن استيائه لحياة الرهبنة الجميلة ويطلب ارشاداتهم ونصائحهم ، فى هذه الفتره ايضا يلزمه ان يقرأ كثيرا فى سير القديسين وحياتهم الملهمة واقوالهم المرشده حتى تتزايد نفسه وتجد زادا روحيا يشجعها ويعضدها مضافة ضد محاربات الشيطان واغراءات العالم التى تعمل جاهده لتخطف فكرة الرهبنة من قلب الأخ المحب لله .

يلزمه أيضا فى هذه الفتره ان يتعرف على اهم اركان الرهبنة ويحاول تطبيقها وممارستها فى حياته كنوع من الاستعداد ونوع من الاختبار لنفسه فمثلا :

+ من اهم اركان الرهبنة حياة البتولية والطهارة ، فيحاول الأخ الذى يستعد للدخول الى حياة الرهبنه ان يحيا حياة الطهارة وهو فى العالم اى وهو فى فترة الاستعداد ، فيحافظ على حواسه بصفتها مداخل القلب ومدارات النفس والفكر ، يدقق فى قراءاته فلا يقرأ الا كل ما هو طاهر ونافع روحيا او ادبيا ، ويبتعد عن الكتب والمجلات المرخيصة المثيرة للغريزة الجنسيه .

+ يحاول ان يحيا حياة الزهد فيكتفى بالضروريات فى المأكل والملبس والمظهر ويعدم التعلق بالاموال والمناصب والشهرة وحب الظهور .

+ يحاول ان يزيد فى مقدار صلواته ، فان كان لم يتعلم الصلاة بالأجبية يبدأ ان يتعلم الصلاة بالاجبية ، ان كان يصلى بالأجبية بعض الصلوات يحاول ان يصلى الصلوات الأخرى ، ان كان يختصر من مزامير صلاة الأجبية يحاول ان يصليها كاملة ، وهكذا يتدرب على الصلاة بالأجبية بطول وعمق لأن الصلاة هى محور ومركز الحياة الرهبانية ، كما يحاول ان يحفظ ما يتيسر على حفظه من مزامير

واناجيل وقطع وتحاليل صلوات الاجبية مبتدأ من الأسهل للأصعب كان يبدأ بحفظ صلاة باكر ثم صلاتى الغروب والنوم ثم يكمل حفظ بقية الصلوات ٠

+ ان وجد فرصة لتعليم اللغة القبطية ويستلم بعض أجزاء من التسبحة كالهوسات الأربعة مثلا يكون قد عمل عملا حسنا ، وفى الدير سيكمل الباقى ٠

+ يحاول أن يتدرب على الاعتكاف والخلوة وعدم الخروج من المنزل الا للأمور الضرورية حتى يجد الوقت الكافى للقراءة والصلاة والحفظ والامتلاء ٠

+ يحاول ان يقلل من تكوين علاقات الصداقة حتى لا يتشتت فكره ويضيع وقته فى أمور لا تفيده كثيرا ولا تخدم هدفه الذى يسعى اليه بل بالعكس قد تكون سبب تعطيل وتبريد للفكرة وتثبيط للحماس ٠

+ يحاول أن يتدرب على حياة الصوم فيصوم أصوام الكنيسة المفروضة ، مع فترة انقطاع معقولة وقليلا من المطانيات حسب صحته وحسب ارشاد أب اعترافه أو مرشده ٠ الذى ينبغى ان يطيعه على كل كبيرة وصغيرة من جميع تدابيره فى هذه الفترة بالذات ، لأن فيها كما اختبرنا يكون الحماس للحياة الروحية شديدا جدا وقد يحاول الانسان أن يعمل أعمالا تفوق طاقته اذا سار فى الطريق بلا ارشاد ويسرق من ضربات الشيطان اليمينية وتأتى عليه بعد ذلك بأوخم العواقب ٠ فالمرشد المختبر مهم جدا فى هذه الفترة ، فترة الاستعداد للرهبنة ، ولا سيما ان كان راهبا ٠

+ يتدرب على حياة الطاعة فيزهد فى رأيه وكلمته كما زهد فى ماله وماكله وملبسه ، لأن الطاعة مهمة جدا فى الرهبنة ، ومن الأركان الأساسية فيها ٠ ويتدرب على السهولة ولين العريكة فى معاملاته مع الناس ، ويتدرب على احترام الكبير وعدم احتقار الصغير ، يقتنى شجاعة الاعتذار اذا اخطأ فالآباء علمونا انه بكلمتين صغيرتين فقط يستطيع الراهب أن يحيا فى سلام ويكون محبوبا من الجميع وتسير سفينة حياته فى البرية بلا عواصف ولا تجارب هما :

اذا قيل له يا فلان اعمل كذا • يجيب حاضر !

واذا قيل له لماذا فعلت هذا ، أو كان لا ينبغي ان تفعل هذا يجيب في انضاع ومسكنة ومن كل القلب • اخطات •

وهكذا يجعل الكل يبارك عليه •

+ يتدرب على الصبر والاحتمال وسعة الصدر واحتمال ضعفات وثقال الآخرين لأن هذه الصفة مهمة جدا للراهب في جهاده الرهباني ولانتصاره على حروب الأفكار وغيرها • قلنا في البداية أن في فترة الاستعداد هذه لا يمل الأخ من الصلاة من أجل أن يوضح له الله صحة الدعوة ، ويكلف اخرين من أحبائه الروحيين الذين يثق فيهم أن يشتركوا معه ويؤازروه بالصلاة من أجل هذا الموضوع ، ومع السير في كل التداريب والممارسات السابق الاشارة اليها •

وحينما يتضح الطريق وتثبت صحة المدعوى سواء عن طريق الراحة القلبية او نصيحة وارشاد الأب الروحي أو المرشد لا يجب أن يتأخر الأخ او يتباطأ في تنفيذ الدعوة والخروج الى البرية • ليتذكر كلمات الملاك للوط : اهرب لحياتك • لا تنظر ورائك ولا تقف في كل الدوائر • اهرب الى الجبل لئلا تهلك (تك ١٩ : ١٧) » • ويفعل كما فعل بنو اسرائيل عند خروجهم من مصر اذ أكلوا الفصح بعجلة أي بسرعة ، أحقاؤهم مشدودة واحذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم لئلا يعطلهم شيء عند ساعة الصفر وبدء الرحيل ، ولما دنت ساعة الصفر للرحيل لم يصبر بعضهم ليخبز عجينه بل أخذوه معهم عجينا مصرورا في ثيابهم على أكتافهم (١٢ : ٣٤) •

ساعة الصفر :

الجيش وهو يستعد لدخول أية معركة يجهز نفسه من كافة الوجوه تدريبا وتكتيكا وسلاحا وذخائر وهؤنا وتخطيطا وكل شيء ، ولكن ساعة الصفر اي بدء الهجوم هي أهم وأحرج لحظة وتحتاج من القائد شجاعة نادرة وبراعة هائلة حتى يصدر قراره في الوقت المناسب وفي الحالة المناسبة بلا تسرع ولا اندفاع وبدون خوف ولا ابطاء •

هكذا الانسان الذى يريد الخروج للرهبنة قد يجهز نفسه من كل ناحية ويرتب كل شىء للرحلة الصعبة ، ولا تكون بديه اية متاكل من ناحية اسرته او عمله بل قد يكونون موافقين ويشجعونه على ذلك كما قال فرعون والمصريون مع الاسرائيليين اذ « دعا فرعون موسى وهارون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبى انتما وبنو اسرائيل جميعا واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم . خذوا غنمكم ايضا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركونى ايضا . والح المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلا من الارض (خر ١٢ : ٣١ - ٣٣) » .

رغم كل ذلك قد يقع الاخ طالب الرهبنة فى خوف ورعب من تحديد ساعة الصفر لترك العالم والذهاب الى الدير ، قد يحاربه الشيطان بأن يؤجل أو يتماطل لعله ينلج أخيرا فى تبخير الفكرة من رأسه .

هنا يحتاج الاخ الى دفعة ايمانية عالية جدا والى نعمة وموهبة الهية قوية جدا حتى يحدد ساعة الصفر ويبدأ فى الخروج من العالم ذاهبا الى الدير .

عندما تسنده النعمة الالهية وعندما يتطلع بعين الايمان الى المسرور الموضوع امامه والى قمم الكمال العالية التى يريد أن يصل اليها فى الدير يكتسب قوة جبارة تدفعه دفعا الى البرية ، يحس أن العالم قد صغر وضاق فى عينيه رغم اتساعه ، تتضاءل امامه كل مفاتن العالم ومراكزه وشهواته يحس انه أصبح غريبا عن اهل العالم ، افكاره غير افكارهم ومبادئه غير مبادئهم واهدافه غير اهدافهم وبالجملة قد أصبح غريبا فى وسطهم وكانسان غريب فى وسط المجموعة يكون متعبا وقلقا جدا ، يفتش عن الراحة فلا يجدها الا فى الدير وعن الانسجام فلا يجده الا فى البرية حيث يعيش مع مجموعة من الرهبان الروحانيين الذين لهم نفس هدفه ونفس افكاره ونفس مبادئه . جو الدير هو المناخ المناسب لتنمية بذوله والوصول الى هدفه .

وهكذا يحمل الاخ حاجاته القليلة التى جهزها كبعض الكتب التى يعتز بها وغيرها ويبدأ رحلته الى البرية محمولا على جناحى الايمان وعلى ايدى النعمة الالهية ولسان حاله يقول مع المرنم « ليت لى جناحا كالحمامة

فاطير واستريح . ها اذا كنت ابعد هاربا وابيت فى البرية . كنت أسرع فى نجاتى من الريح العاصفة ومن النوء (مز ٥٥ : ٧ ، ٨) » . فالبرية فيها راحة من كل مشاكل العالم ومشاغله .

هنا يتخذ الأخ ملبس موقف ابراهيم أب الآباء الذى بمجرد أن سمع الدعوة الالهية « اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت ابيك الى الأرض التى أريك (تك ١٢ : ١) » اطاع للتو ، وخرج وهو لا يعلم الى أين يأتى (عب ١١ : ٨) » لم يهتم قط الى اين يذهب لأنه كان خروجا نائيا من مفهومه المكانى . انه خرج ليذهب مع الله الى المكان الذى اختاره الله : ولما استطاع ابراهيم ان يستوطن الله استطاع أن يهجر وطنه ، فاحساس الغربة عن الأرض (وهى فضيلة وعبادية) لا يمكن أن تنشأ فى الانسان قبل احساس الاستيطان فى السماء والا تكون كاذبة وتنشىء ضياعا .

« خروج الانسان من العالم الى البرية يمثل نموذجا حيا للانسانية فى اجمل احاسيسها وهى تتفضل الاستيطان عند الله وتتقرر عمليا ـ وفى ذاتها . حتى فقه النجيلية عامة هى بطلان هيئة هذا العالم ، قبل أن يبطل هذا العالم بالفعل (٢) .

القيمة الروحية لاختيار الراهب فى خروجه من العالم (٣) .

« ان كان لا يوجد فى تاريخ البشرية كلها اختيار مع الله أسوأ من اختيار آدم وحواء وهما يطردان من أمام وجه الله ، والملاك يستحثهما للخروج من جنة عدن ، كذلك لا يوجد فى تاريخ الانسان اختيار مع الله اعذب وأرق من شاب أو شابة خارجين من العالم كل بمفرده وينفتهى حزنه وحسرته عائدا الى الله يتحرق شوقا للحياة مع الله وليستوطن عنده الى الأبد ... »

والطاقة الروحية التى تكون مشحونين بها اثناء خروجنا والتى تظلنا عارة من العالم الى الدير تكون فى حقيقتها ذات وزن روحى عال جدا وهى تساوى فى قوتها وعملها واقناعها وفرحتها كل ما يؤهلنا للحياة الدائمة

---

(٢) مجلة مرقس ـ عدد فبراير ٧٥ .

(٣) مجلة مرقس ـ عدد فبراير سنة ١٩٧٥ ـ ص ٦ .

مع الله ، أى تساوى الحياة الرهبانيه بكمالها وفى انجح صورها ، ولكنها لا تبقى فى مضمونها البدائى كطاقة خروج من العالم واستيطان مع الله بل تتشكل معنا فى الحياة الرهبانية لتمدنا بطاقة ما يلزمنا من القوة للتغلب على الذات وعلى عقبات وعثرات كثيرة وعلى النمو فى الحب والبذل .

لذلك نستطيع ان نقول ان اختيار الراهب فى خروجه من العالم يعتبر الأساس الذى سوف يبنى عليه كل اختياراته المستقبلة مع الله . وخصوصا اذا كان قد وعاه فى البداية واستوعبه جدا وكرمه كعطية من الله ، وظل محتفظا به فى قلبه وفكره يردده أمام الله لكى يحقق كل يوم غريزة العودة الى الله بكل القلب والفكر والارادة ، لاقى نذورى يوما فيوما (مز ٦١ : ٨) ، لأن هذا من شأنه ان يحتفظ لنا بشحنة هذه الطاقة (طاقة الخروج من العالم) بكل دفعتها الأولى على طول الطريق .

الخروج من العالم قامه من قامات ملء المسيح (٤) :

عندما خرج الرب من الأردن وهو ممتلىء من الروح القدس كنا نظن انه يذهب ليكرز بالكلمة ويعلم ويشفى أوجاع الناس لأن هذا مناسب للملء ولكننا وجدناه يتعمق فى براري الأردن منفردا وحده صائما معتزلا العالم والناس والأقارب .

واضح اذن انه لم يعتزل ليمتلىء ، ولا هو اعتزال عن حاجة ولكن خروجه واعتزاله هذا يثبت لنا عن يقين أنه كان قامة اساسية من قامات ملء المسيح كالعمودية ذاتها أو الصليب او القيامة . المسيح فى الأربعين المقدسة أكمل للبشرية قامة معينة من قامات الروح ألزم ما تكون للانسان ، وهى لم تكن قامة للملء بل قامة بعد الملء وفى صميم الملء .

المسيح فى الأربعين المقدسة خرج من العالم لأجل العالم ، اعتزل الناس من أجل الناس ، انفرد عن التلاميذ من أجل التلاميذ . المسيح أخرج البشرية معه - فى ذاته - عن عالمها الذى أضلها ، وخرج بها من موطنها الترابى ليستوطن بها مع الآب فى البرية ، فى عزلة عن شهوة الجسد وشهوة

---

(٤) مجلة مرقس - عدد فبراير سنة ١٩٧٥ - ص ٧

العيون وتعظم المعيشة . وفى هذا الخروج وفى هذه العزلة المباركة سلم للانسان النصرة على الشيطان فى هذه المواضع الثلاثة التى كانت موطن ضعفه وانكساره ..

أن يخرج الراهب من العالم وينجح فى تكميل خروجه معناه انه يكون قد ارتفع فوق العالم . وأن يرتفع الراهب فوق العالم معناه انه قد اكتسب كل القوة اللازمة لأن يجذبه وراءه ويقدمه لله .

كذلك أن يعتزل الراهب أهله وأصدقاءه ومحبيه وأعزاءه جدا معناه انه يكون قد غلب نفسه واهلك ذاته . وأن يغلب الراهب نفسه ويهلك ذاته وينجح فى خروجه من العالم يكون قد نجح فى أن يعتزل نفسه ، وبذلك يتأهل ان يجمع الانسانية كلها فى روحه ليقدمها لله .

كل هذا يتم فى كيان الراهب اثناء تجربة خروجه من العالم ولكنه لا يخص الا هدفها الذى يبدو امامه صغيرا منحصرا فى مجرد التخلص من العالم وارتباطاته .

لذلك يعتبر الراهب وقد نجح فى الخروج من العالم واعتزال الناس صاحب عامه روحية لها وزنها الأساسى والكنسى العالى جدا بسبب فرادتها وندرة الذين يؤهلون لها باعتبارها خاصة من قامات ملء المسيح التى سلمها المبشرية لمواجهة سلطان العالم والشيطان وتحدياته « ... ثقوا انا قد غلبت العالم » ـ « انت لست من العالم » .

الوصول الى البرية :

لما امر الرب بنى اسرائيل بالخروج من مصر وجاءت الساعة المحددة ارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت (خر ١٢ : ٣٧) وصعد بنو اسرائيل متجهزين من ارض مصر (جـز ١٣ : ١٨) وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى ايثام فى طرف البرية وكان يسير امامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضيء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا (خر ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

ولما تبعهم فرعون بجيوشه ومركباته ليحاربهم ويرجعهم . « فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جدا وصرخ بنو اسرائيل للرب ... فقال موسى للشعب . لاتخافوا ،

قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٠ - ١٤) .

ثم أمر الرب موسى بأن يضرب البحر بعصاه ، ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء ، فدخل بنو اسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم (خر ١٤ : ٢١ ، ٢٢) ، وظلوا سائرين حتى وصلوا الى برية سيناء بسلام بينما غرق فرعون وكل جنوده عندما امر الرب موسى بأن يمد عصاه الى البحر فمدها فعاد البحر الى حالته الدائمة ، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر (خر ١٤ : ٢٨) .

هكذا الراهب عند خروجه من العالم يقضى الايام الاخيرة فى العالم بجسده اما عقله فهو فى البرية ، وعندما يركب المواصلات التى ستقله الى الدير يتمنى لو فتح عينيه واغمضها ليجد نفسه فى الدير ، لو ركب قطار" تمنى لو كان سارو خا ولو ركب عربة تمنى لو كانت طائرة حتى لا تستغرق وقتا . يكون ساعتها فى حالة روحية عجيبة والمهم انه حمله على ذراعيها بطريقة غير عادية حتى توصله الى البرية .

الشيطان - فرعون العقلى - لا يسكت ، بل يخرج وراءه بجنوده ومركباته المتمثلة فى الافكار والمخاوف والشكوك ، افكار عن صعوبة الطريق ومخاوف من وعورته وشكوك فى امكانية السير والاستمرار والثبات ...

كان الشيطان احيانا يظهر للرهبان القادمين الى البرية فى شكل شيخ محنك وينصح الاخ بأن يرجع الى أهله الحزانى من اجله ، ويذكره بالتدمير الذين عاشوا فى العالم وتزوجوا وانجبوا ومع ذلك وصلوا الى الكمال مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وداود وغيرهم ، ليطلب الى الرب ان يبعد عنه الشيطان وكل مولاته الشريرة فيلتصق ذلك الخط ليطرد عنه الشيطان ويملأه ثقة وسلاما .

وكما كان احيانا كثيرون يظهر ملاك على صفة انسان مثلا ويرافق الاخ الصياد الى البرية حتى يوصله الى النهر الذى يريده الرب ان يترهب فيه او قلاية الشيخ الراهب الذى اراد الرب ان يسلمه له ليتتلمذ على يديه .

من كثرة تضحيم الأخ لذاته الى الدير ان يعيش فى الجرمة وأى ثمن يدفعونه لبكار كثيرة فيقول مثلا :

+ اذا لم يقبلونى فى الدير فسأظل على الباب لا أغادره حتى يحنن الله قلوبهم على ويقبلونى كما فعل البخيل يوحنا القصير الذى وقف على باب قلاية معلمه الأنبا بموا اسبوعا كاملا حتى تحنن عليه المسيح وادخله .

+ اذا لم يرضوني فسأعيش فى الدير كخادم للرهبان اخدم بركتهم كل يوم وهذا يكفينى .

وتظل مثل هذه الخواطر المضحمة تتوارد على ذهن الأخ طالما كان سائرا فى الطريق حتى يدخل الى أطراف البرية فيشعر بالروح والسلام ويتهيج نفسه بفرح لا ينطق به حتى يصل الى باب الدير ويقف امام باب الملكوت تماما .

يدق ناقوس الباب حسب عادة الاخوة الغرباء فيخرج له الراهب المكلف بالبوابة ويستقبله ويحييه ، بعد ذلك يبلغ الخبر الى رئيس الدير فيأمر له بالدخول حتى يراه ويفحصه .

يأتى الأخ المحب للمسيح الى الأب الرئيس ويضرب له المطانية كما فعل يعقوب ميصائيل عندما جاء الى أنبا اسحق رئيس دير الأنبا صموئيل حينذاك .

يطلب الى أب الدير بكلمات متواضعة ان يقبله عنده ابنا روحيا يعيش تحت ظل صلوات وصلوات الآباء .

يستحى أب الدير حالته بالقاء بعض الأسئلة عليه عن حالته الاجتماعية وموقفه من الخدمة العسكرية وعوامله وسبب مجيئه الى الرهبنة .. الخ.

اذا حاز رضاء يقبله ويسكنه فى قلاية متواضعة ، أخ تحت الاختبار للرهبنة ..

هذا يوم الخروج من العالم للرهبنة ليوم مشهود ، لا ينساه الراهب طول حياته ، يحلو له كل حين أن يجتر ذبه وفى حواسه وفى حالة النعمة والروحانية التى كان فيها فيتعزى ويتذكر مدنه الأول المستقيم

ويكتسب طاقة وقوة تساعده على التغلب على أى عقبة وعلى النهوض من أى كسل فى سبيل الوصول الى هذا الهدف المقدس كما كان يفعل القديس ارسانيوس الذى كان يكرر دائما : ارسانى تأمل فيما خرجت لأجله .

الله نفسه لا ينسى هذا اليوم فيقول لنفس الراهب معزيا ومشجعا « قد ذكرت لك غيرة صباك . محبة خطبتك ذهابك ورائى فى البرية فى ارض غير مزروعة (ار ٢ : ٢) » .

كما يحث الراهب على أن يتذكر هذا اليوم دائما لئلا يفتر ويتنهد عن الهدف فيقول « هى ليلة تحفظ للرب لاخراجه ابراهيم من أرض مصر . هذه الليلة هى للرب تحفظ من جميع بنى اسرائيل فى اجيالهم (خر ١٢ : ٤٢) » . « تكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك لأنه بيد قوية اخرجنا الرب من ارض مصر (خر ١٣ : ١٦) » .

ويقول يوحنا الدرجى فى الخروج من العالم (٥) :

« الابتعاد عن العالم هو أن يبغض الانسان القنية بالمشيئة ويكفر بالطبيعة لكى يجد من هو فوق الطبيعة . الذين خرجوا الى الرهبانية اختيارا ، من أجل كثرة خطاياهم هربوا وملكوت الله طلبوا ، وفى حب الله رغبوا ، أما ان لم يبلغوا شيئا من ذلك فخروجهم باطل ، وواجبهم ان يتمموا سعيهم الذى عليه تكون المجازاة .

وينبغى لمن خرج من العالم أن يطرح عنه ربط خطاياه وان يتشبه بالخارجين الى مثابر أمواتهم ، فلا يكف عن التنهد والبكاء بغير صوت حتى يرى المسيح قد جاءه وأمر فدحرج عن قلبه حجر القساوة وعتق عقله من الموت ، وأمر الملائكة أن يحلوه من ربط خطاياه ويدعوه يذهب الى الراحة من الأوجاع ، والا فلا يتحقق له القصد من خروجه .

فنحن الذين خرجنا من مصر من عبودية فرعون نحتاج الى انسان مثل موسى واسطة بيننا وبين الله (المرشد الروحى وأب الاعتراف) ليجيزنا من بحر الخطيئة او مثل ملاك الله الذى أخرج اللاجين من سدوم،

---

(٥) سلم الدرجى ودرجات الفضائل للقديس يوحنا كليماكوس — اعداد المرحوم حبيب جرجس — ص ٢ .

ولا نرجع بقلوبنا الى مصر لئلا نهلك فى البرية مثل الاسرائيليين ولا نلتفت الى ما مربنا منه لئلا نهلك فى الطريق مثل امراة لوط .

وقال القديس مكاريوس الكبير فى الهروب من العالم (٦) :

« فلنفر نحن ايها الاخوة من العالم كما نفر من الحية ، لأن الحية اذا نهشت سالكاد تبرأ عضتها ، كذلك نحن ايضا ان شئنا أن نكون رهبانا فلنهرب من العالم ، لأن الأوفق لنا ايها الاخوة ان تكون لنا حرب واحدة بدلا من قتالات كثيرة ؟

(٦) بستان الرهبان ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ٢٢٩ .

الفصل الخامس

محك الإختبار الأعظم

في البرية :

« لما اخبر ملك مصر ان الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب ، فقالوا ماذا فعلنا حتى اطلقنا اسرائيل من خدمتنا فشد مركبته واخذ قومه معه واخذ ستمائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنودا مركبة على جميعها . وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني اسرائيل وبنو اسرائيل خارجون بيد رفيعة ، فسعى المصريون وراءهم وادركوهم . جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروت امام بعل صفون (خر ١٤ : ٥ ـ ٩) » .

وهكذا سعى فرعون بقواته لمرد الشعب الاسرائيلي لخدمته وحتى يتمكن من السيطرة عليه واذلاله واستعباده لأنه ندم لانه اطلق اسرائيل من خدمتـــه .

هكذا الحال مع اى انسان يأتى الى الرهبنة ، خصوصا اذا كان أهله غير موافقين على فكرة رهبنته وهو جاء سرا من ورائهم وبدون علمهم .

يأتى الشيطان (فرعون العقلى) ويشرعم عليه ، يحبك لهم الفكرة سواء من ناحية محبتهـــم له وحنانهم عليـــه وعدم مقدرتهم المعيشـــة بدونه ، أو من ناحية خدمتـــه لهم وانتفاعهم بدخله أو مرتبه ولن يستطيعوا المعيشة من بعده وسيموتون جوعا وفقرا ، او من ناحية خوفهـــم عليه من الدخول فى هذا الطريق الصعب المجهول وما فيـــه من حيـــاة النزواء وبعد عن مباهج العالم وما فيه من فقر ومسكنة وتقشف وغير ذلك .

بهذه الأفكار أو بغيرها يحرض الشيطان اهل الأخ الذى جاء للرهبنة أن يسعوا وراءه الى الدير ويرجعوه معهم بأى حال وبأى ثمن .

يأتى الاقارب ويشجعون الاسرة على الذهاب الى الدير لارجاعه باى وسيله ويبدون استعدادهم للذهاب معهم ومساعدتهم فى هذا الامر .

يأتى الجميع الى الدير فراد اسرة الأخ واقاربه وكلهم فى حاله نفسية سيئة ، يدخلون الدير على هذه الحال فيقابلهم رئيس الدير ويحاول ان يهدىء من روعهم ويخفف من ثورة غضبهم باظهار جمال الرهبنة وسمو حياة النعبادة وان ابنهم اذا تركوه ليترهب فيكونون قد قدموا بذلك ذبيحة لله كما كان ابكر يقدم لله فى العهد القديم ليخدم الرب فى خيمة الاجتماع ويبرهن كثيرة يحاول أن يقنعهم بصحة طريق الأخ والواجب عليهم ان يتركوه وشأنه ولا يقفوا فى طريق خلاصه وخيره الروحى لئلا يأخذوا دينونة بسببه .

يطلبون أن يروا ابنهم ليطمأنوا عليه اولا ثم لكى يناقشوا الأمر معه شخصيا ، وفى العادة لا يستطيع الدير أن يقف ضد رغبتهم فيرسل أب الدير يستدعى الأخ ليقابل أهله ويبحث معهم موضوع الرهبنة .

هذا هو المحك الأعظم لارادة الأخ وتصميمه او اهتزازه ، قوة عزيمته على المضى فى طريق الرهبنة او ضعف ارادته لتكميل مشواره .

ينقسم الاخوة عادة فى هذا الأمر الى قسمين : بعضهم يفضل عدم مقابلة أهله لئلا يؤثروا عليه بكلامهم او بدموعهم أو بتوسلاتهم ويلجأ الى الحبس فى القلاية او الهروب الى داخل البرية . وبذلك يتفادى مقابلة أهله حتى يعرفوا انه لا فائدة من كلامهم فيتركونه ويرجعون .

بعض الاخوة يصلى الى الرب فى القلاية ويطلب منه معونة وحكمة لمجاوبتهم ويكلف بعض الرهبان لمساعدته بصلواتهم ليعمل الرب مشيئته معه ، وفعلا يستجيب لولئك الرهبان ويكرمون صلاة خاصة ولو كانت قصيرة فى قلايتهم او بالكنيسه ليتدخل الرب ويعمل مشيئته .

بعد ذلك يذهب اليهم فى مضيفة الدير ليناقش معهم الأمر ويحاول اقناعهم بان يتركوه وشأنه لأن هذا هو الطريق الذى اختاره له الرب والذى استراحت له نفسه ولن يرضى بغيره بديلا وتحتم المناقشات ، وبقدر عزيمة الأخ والنعمة التى يعطيها له الله تكون النتيجة .

وتوجد نوعيات مختلفة من الناس تجاه تقبل هذا الموضوع والتصرف بازائه ٠

+ بعض الاخوة الذين يأتون الى الدير يكون أهلهم طيبين أو متدينين فعندما يعرفون بذهاب ابنهم للدير ، اما يسلمون الأمر لله ولا يسعون وراءه لارجاعه وان جاءوا الى الدير فاقل الاقناع ينفع معهم ويقنعهم بأن يتركوا ابنهم يسير فى طريقه الذى اراده له الرب والذى استراحت له نفسه فيباركون هذه الخطوة ويتصرفون راضين داعين له بالتوفيق ٠

+ بعضهم يكونون غير متدينين ولا صلة لهم بالكنيسة ولا يعرفون شيئا عن الرهبنة فيحتدمون غيظا بشدة ويتهمون الأخ باتهامات كثيرة ٠

+ بعضهم اذا فشل فى أخذ الأخ عند مجيئهم للدير فى أول مرة لا ييأسون بل يترددون مرة أخرى ومرات فى محاولات يائسة للتأثير على الأخ وارجاعه ، وفى كل مرة يأتونه بحجة جديدة ، ففى مرة أمه مريضة جدا وحزينة جدا لفراقه ويجب أن ينزل لئلا تموت حزنا عليه ، ومرة ان ادارة العمل التى كان يعمل فيه ما زالت مستعدة لقبوله مرة أخرى ، ومرة أن والده جاءه السكر وضغط الدم بسبب حزنه عليه وهكذا ٠٠

وهكذا يسلك أهل الأخ مسالك شتى ويتصرفون تصرفات كثيرة اثناء ثورة غضبهم أو ضيقهم من تصرف ابنهم أو لخوفهم عليه وحبهم له محبة عاطفية محضة ليس فيها ذرة من الحب الروحى أو الاهتمام بخلاص نفسه وحياته الأبدية ٠

اذا كانت عزيمة الأخ قوية وارادته صلبة يستطيع ان يفلت من كل هذه الفخاخ وينجو من كل هذه المحاولات فيحق له أن يشكر الله لمساندته اياه ويترنم مع المرنم « نجت انفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ٠ الفخ انكسر ونحن نجونا ٠ عوننا باسم الرب الذى صنع السماء والأرض (مز ١٢٤ : ٧ ، ٨) ٠

بعد هذا الثبات الباهر الذى احرزه الأخ يبدأ ان ينال ثقة الرهبان ويتقبل تهانيهم ودعواتهم له بالثبات المستمر وبالثمر المتكاثر فى حياة

الرهبنة السامية ، يكتسب أيضا تقه ادارة الدير والمسئولين فيه ويعتبرون ثباته هذا نقطة هامة لحسابه تؤهله للرهبنة وتكميل الطريق .

اب الاعتراف والطاعة :

+ يختار رئيس الدير راهبا قديما كاهنا مشهودا له بالتقوى والصلاح ويكون موثوقا فيه ، له خبرة بالجهاد الرهباني والتدابير الرهبانية والحياة الديرية ونظمها ونواميسها ، فيسلم له الأخ الجديد ليكون ابنا روحيا له وتحت ارشاده ، يعلمه الرهبنة ويدبره فى أكله وشربه ونومه وجلوسه وقيامه ومعاملاته مع الرهبان ، كما يلقنه نواميس الدير من ناحيه العمل وصلوات المجمع وغير ذلك .

يتحتم على هذا الراهب ان يحب ابنه الجديد ويدبره بكل امانة وبخوف الرب وانذاره ، يعلمه تدابير الصوم والصلاة والمطانيات والانتصار على حروب الشياطين والافكار ، يفتح له قلبه قبل بابه ليأتى اليه فى اى وقت وبلا مانع ولا عائق ليشكو له من أى مشكلة تقابله أو اى فكر يضايقه أو اى حرب تداهمه ، فيجد عنده القلب المتسع والحل الحاضر السريع السليم والاجابة الشافية الصحيحة المريحة ، فيخرج من عنده وقد نال قوة جديدة وخبرة جديدة لمواجهة حروب الشياطين والرد على الأفكار ، او نال معرفة جديدة فى فن معاملة الناس وكسب محبتهم ورضاهم ونوال بركتهم ، أو حصل على حل ومغفرة وسلام وطمأنينة مما قد يكون قد وقع فيه من خطايا أو أخطاء ، من ضعفات أو هفوات .

يتمثل المرشد فى هذه الناحية ببولس الرسول المرشد العظيم القائل « كيف انى لم أؤخر شيئا من الفوائد الا واخبرتكم وعلمتكم به (أع ٢٠ : ٢٠) متذكرين انى ثلاث سنوات ليلا ونهارا لم افتر عن أن انذر بدموع كل واحد (أع ٢٠ : ٣١) .

يتبقى على الأخ المحب للمسيح أن ينفذ وصية الطاعة بحذافيرها حتى يجعل الكل يبارك عليه ويحبه ، يطيع رئيس الدير ، يطيع امين الدير (الريتيه) وذلك فى أمور العمل وصلوات المجمع ومعاملة الآخرين ، يطيع مرشده الروحى فى تنفيذ تدابيره الرهبانية وقوانينه الروحية التى يعطيها له من صوم وصلاة وعدد مطانيات وقراءة الكتاب المقدس والكتب الروحية

والمسكنة الاخرى ، وبذلك يضمن انه يسير فى الطريق بأمان ، لا يحيد يمنة ولا يسرة ، لا يقع فريسة لضربات الشياطين المتعالية بالانحلال والكسل والتراخى ، ولا للضربات اليمينية بعمل مجهودات فوق طاقته الجسدية او الروحية ، لان آخرة كل منهما الاستكاس والردة الى الخلف وعدم القدرة على اكمال الطريق والاستمرار فيه الى النهاية .

وقد اهتم اباء الرهبنة بفضيلة الطاعة وجعلوها احدى الأركان الأساسية للرهبنة كالبتولية تماما ، وقد أسهبوا فى اظهار اهميتها وفوائدها ، ومن اقوالهم المأثورة بهذا الصدد (٧) :

+ قال الأنبا انطونيوس اب الرهبان : لا تقم بعمل من الاعمال الا بعد استشارة اب الدير .

+ كما قال : ان الطاعة والمسكنة (الاتضاع) يخضعان لنا الوحوش .

+ ومن أقواله أيضا : لا تكن قليل السمع (غير مطيع) لئلا تصبح وعاء لكل الشرور ، ضع فى قلبك أن تسمع لأبيك (تطيعه) فتحل بركة الرب عليك .

+ كما قال : ينبغى للراهب الشاب أن يستشير الشيوخ قبل كل خطوة يخطوها فى تلاميذه وقبل كل نقطة ماء يشربها ، لأنى رأيت رهباننا كثيرين بعد أن تعبوا كثيرا وقعوا فى دعسة عقل لأنهم توكلوا على معرفتهم فقط ، اذ لم يصغوا للوصية القائلة « اسأل اباك فيخبرك وشائخك فيقولون لك .

+ قال الأب ايراسس : ان الطاعة هى فخر الراهب ، فمن اقتناها يسمع الله صوته ، ويقف أمام عرش رب المجد بدالة لأن المسيح من أجل طاعته لأبيه صلب عنا .

+ وقالت القديسة سنكليتكى : اذا كنا فى الكنونيون (المجمع) فانه نفضل الطاعة على النسك ، لان ذلك (النسك) يعلم التعاظم وتلك (الطاعة) تعلم التواضع ، نجب علينا ألا نتعبد لخاصتنا .

---

(٧) بستان الرهبان ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ١٨٣ ـ ١٨٤

بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به ذاك الذى بالأمانة نستودعه سرنا (المرشد الروحى) .

وقال القديس برصنوفيوس : ان لم يترك التلميذ رغباته خلفه ويخضع فى كل شىء ويتضع لن يبلغ مدينة السلام .

+ ومن أقوال الدرجى فى الطاعة (٨) :

+ الذى يطيع أباه مرة ويخالفه مرة ، يطيعه فى شىء ويخالفه فى آخر هو تارة يبنى وتارة يهدم ، فيكون تعبه باطلا .

+ بلا مدبر لا يكون خلاص ، ومن الطاعة الاتضاع ، ومن الاتضاع الشفاء من الأوجاع ، فقد كتب « فى اتضاعنا ذكرنا الرب وخلصنا من أعدائنا » مز ١٣٦ : ٢٣) .

+ لا تطلب معلمين يعرفون الغيب لكن قوما متضعين تستريح لهم فى تدبيرهم ، لا تضجر من هوان أو تعب ما دمت مع معلمك .

موسى النبى مثال رائع للمرشد العظيم :

فى خروج بنى اسرائيل من مصر ومسيرتهم الطويلة فى البرية بهدف الوصول الى أرض كنعان ، أرض الموعد التى تفيض لبنا وعسلا وراحة وغنى وكل خير ، كان موسى عبد الله هو المرشد والأب الروحى لهم جميعا ، فالذين اطاعوه وخضعوا لأوامره نجوا من كل شر وأكملوا مسعيهم بسلام ووصلوا ودخلوا الى أرض الميعاد ، والذين تذمروا ورجعوا بقلوبهم الى مصر ماتوا وهلكوا فى البرية ، ماتوا جسديا وروحيا ، والذين استكبروا وشقوا عصا الطاعة على موسى وعصوا أوامره مثل قورح وداثان وابيرام وجماعتهم فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وماتوا أشنع وأشر ميتة .

هكذا الذى يريد أن يعيش فى البرية فى حياة الرهبنة طالبا للدخول الى أرض الميعاد أورشليم السمائية عليه بالطاعة الكاملة المستنيرة لأبائه

---

(٨) سلم السماء ودرجات الفضائل للقديس يوحنا كليماكوس (الدرجى) ص ١٩ ، ٢٠ .

ومرتحيه فى التدبير ، والا يكون نصيبه التشكل والارتداد والموت الروحى المحـــتم ٠

القديس فيلوكسينوس والطاعة :

يعمل مار فيلوكسينوس مقارنة لطيفة فى هذا الموضوع فيقول :

« ٠٠٠ كذلك انتم ايها الأخوة اظهروا الطاعة لآبائكم الروحانيين فتقبلون البركات وتلبسون سلاح الصلاة منهم مثل يشوع بن نون الذى أطاع الطوبانى موسى فدخل وارثا أرض الميعاد التى تنبع اللبن والعسل للذين يرثونها ، ومثلما أن يشوع بن نون وكالبا بن يفنة كان لهما نصيب فى دخول أرض الميعاد وحدهما من دون ستمائة الف رجل وذلك من اجل طاعتهما لأنهما حفظا كلمة موسى وكملاها كقول الرب ٠

كذلك كل الشعب اضمحل فى البرية من اجل قلة طاعتهم للطوبانى موسى هكذا الذين يكونون غير طائعين فانهم يكونون غرباء عن الهدوء والراحة التى لجلوس الثلاثة تلك التى هى مثال أرض الميعاد والرتبة النفسانية التى فيها يقتل العقل السبعة أوجاع (على مثال السبعة شعوب) التى كانت متملكة أرض الميعاد قبل أن يعبر اسرائيل الى هذه الأرض ٠

ولكن انتم أيها الاخوة اظهروا الطاعة والنشاط فى عمل المجمع المتعب لكى اذا ما تعبتم فى البرية وأظهرتم الطاعة الحقانية وقطعتم كل أهويتكم فان الأفكار الشريرة تموت من قلوبكم ، تلك الأفكار التى تريد أن ترجعكم الى الشر ، فان كنتم تظهرون الطاعة الحقيقية فى عمل المجمع فانكم تعبرون الأردن وترثون أرض الميعاد التى هى الطهارة ، وان لم تظهروا طاعة ساذجة بغير فحص تموتون عن معرفة الله مثل ذلك الشعب الذى كان يغضب الله اذ اشتهى خضروات مصر ولم يطع وصية الله فمات كله فى البرية ولم يدخل أرض الميعاد ، وهكذا انتم يا اخوتى الذين يعملون فى المجمع اميتوا جميع الأفكار التى دخلت معكم من مصر الى البرية ، حتى اذا ماتت

---

(٩) الآباء الحافقون فى العبادة ـ طبع دير السريان ـ ج ١ طبعة ثانية ص ١٣٩ ٠

تلك الأفكار التي من العالم وبادت واضمحلت من أنفسكم فانه يولد بدلها أفكار مستقيمة .

العمل في المجمع :

« وكان لما اطلق فرعون الشعب ان الله لم يهدهم في طريق ارض الفلسطينيين مع انها قريبة لأن الله قال لعلا يندم الشعب اذا رأوا حربا ويرجعون الى مصر (خر ١٣ : ١٧) .

هكذا بالنسبة للأخ الخارج الى البرية حينما يصل الى الدير ويقبل فيه كراهب تحت الاختبار لا يتركه اب الدير او مرشده الروحي يدخل الى حياة الوحدة والجلوس في القلاية طول الوقت تكلا يصيبه الضجر والملل لأنه غير متعود على العيشة بدون عمل جسداني ، بل هو متعود على العمل والحركة ، فان تركوه في القلاية بحجة العمل الروحاني مثل الصلاة والسكون وغيرها فانه لا يحتمل هذا الوضع بل تهاجمه جيوش الأفكار من كل صوب وحدب ، ومن جراء الهدوء والوحدة ترجع اليه اشرطه التذكارات المسجلة في عقله الباطن ، وغالبا ما تكون هذه التذكارات التي تعرض لها في العالم تذكارات غير طاهرة او غير روحية ، فتهاجمه بشدة وتجلده بصعوبة فلا يحتمل هذه الحرب الضروس فيتبعقد من حياة الرهبنة ويرجع ثانية الى العالم .

ودرءا لكل هذه المخاطر وحماية للأخ من حروب الفكر القتيلة يسند اليه اب الدير عملا في المجمع ، يسند اليه في الغالب العمل في مطبخ الدير حيث يقوم مع الراهب المسئول عن المطبخ بتجهيز الطعام للضيوف وللمرضى من الرهبان ، واحيانا لمجمع الرهبان كله اذا كان رهبان الدير يأكلون مع بعضهم في مائدة الدير .

وهذا العمل كما هو معروف يتطلب جهدا كبيرا ووقتا طويلا من الاخ المبتدىء وبذلك لا يقضي في قلايته الا ما يكفيه بالكاد لكي يكمل قوانينه الرهبانية من صلاة ومطانيات وقراءة وتأمل ، والوقت الباقي للنوم لاعطاء جسده قسطا من الراحة لتجديد نشاطه .

بهذه الطريقة الحكيمة في تدبير الأخ المبتدىء لايجد وقتا زائدا يكون متفرغا فيه لمحاكمة الأفكار ولسرد التذكريات الماضية بجيدها ورديئها .

وبذلك لا تثقل عليه حروب الفكر أو الشهوة ، جسده المشغل بالعمل والحركة لا تقوى عليه افكار النجاسة السمجة .

حكمة هذا التدبير :

والاسناد مثل هذه الأعمال الوضعية الشاقة للأخ المبتدىء مهما كان مركزه فى العالم له بعض الحكم الروحية مثل :

١ - يتعلم الاتضاع أو يزداد فيه :

كان فى العالم يخدم ولا يخدم ، وان خدم وهو فى العالم بمركزه المرموق فيخدم الآخرين خدمة السيد للعبد ، يتقبل بعد كل خدمة يؤديها عشرات التشكرات والاحترامات والتقديرات والدعوات .

أما فى الدير فيخدم الآخرين بمحبه واتضاع مهما كان الذين يخدمهم أقل منه علما ومركزا ، وقد يكونون عمالا فقراء . يطبخ لهم الأكل ، يحمله على يديه ليقدمه لهم كما يفعل الخادم مع سادته ، يحمل بقايا الأكل ويغسل الأطباق بنفسه ، ينظف المائدة مسحا وكنسا ، فيمسك المكنسة ويكنس بنفسه بينما كان فى العالم لا يفكر فى ذلك ، ان سنحت له الفرصة لخدمة بعض الآباء الرهبان الشيوخ المسنين أو المرضى أو الحبساء او المتوحدين فليقتنص هذه الفرصة بكل فرح واشتياق لأخذ بركتهم ودعواتهم حسب وصية الأنبا انطونيوس « اجعل الكل يبارك عليك » . يخدمهم بمحبة كابن صغير لهم ، حتى يكسب محبة الكل ويكمل عليه قول الرسول « أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ لأن لنا فرحا كثيرا وتعزية بسبب محبتك (فل ٧) » .

بكل هذه الأمور يتعلم طالب الرهبنة فضيلة الاتضاع ويتعمق فيها وترسخ هى فيه لأن الذى يريد أن يتعلم الاتضاع فليعمل أعمالا متواضعة .

٢ - يتعلم الاحتمال :

حينما يشتغل فى المجمع قد يلاقى بعض المتاعب والمضايقات خصوصا من العمال الذين يخدمهم ويقدم لهم الطعام ، على الأخ أن يحتمل ويسعى لراحة الآخرين وارضائهم بدون ضيق ولا تزمر لأنه هو الخادم وذاك سيده .

٣ - يتعلم الطاعة :

فهو يعمل مع راهب او اخ اقدم منه فى الرهبنة او حتى فى الوصول الى الدير ، عليه ان يطيعه مهما كان اقل منه علما او مركزا ، فالكل فى الدير سواء ، يطيع من هو أقدم منه فى الدير ويحترمه ويعمل بحسب توجيهاته ، لا يلاحجه ولا يفرض عليه سلطانه او كلمته ، فذاك الاكبر وهو الاصغر ، وبذلك يكسب محبته وثقته ولا تحدث بينهما مشاكل .

من المعروف أن اب الدير عندما يود رهبنة الأخ الجديد يسأل أول من يسأل الراهب الذى يشتغل معه الأخ الجديد ، يسأله عن سلوكه وطباعه ومعاملته وطاعته لأنه هو المحتك به احتكاكا مباشرا أكثر من أى راهب اخر فى الدير .

الأخ الجديد مطالب ايضا بطاعته لأمين الدير (الربيتة) المسئول عن كافة الأعمال بالدير ، يعمل حسب توجيهاته ويسير حسب ارشاداته ليثبت بذلك طاعته وانضباعه ومعاملته الحسنة لجميع الذين فى الدير .

٤ - يتعلم فضيلة المحبة واضافة الغرباء :

الأخ الجديد الذى يشتغل فى المجمع او فى اى موقع من مواقع العمل له فرصة ذهبية ليتعلم فضيلة المحبة والعطاء بسرور ، يرى أمامه الكثير من العمال الفقراء المحتاجين ممن يعملون بالدير ، يستطيع ان يعطيهم كل ما يفيض عن حاجته من مأكولات وملابس ونقود وغير ذلك وبذلك يصنع له أصدقاء من مال الظلم كما اوصى مخلصنا الصالح ، وبذلك يذخر لنفسه كنزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب سارقون ويسرقون .

٥ - يتعلم الحياة المنظمة :

فالعمل الذى يؤديه الأخ فى المجمع مع الصلاة التى يصليها فى الكنيسة وفى القلاية تعمل جميعها على تنظيم حياته ونجاح تدبيره ، وكما يقول احد الآباء الأفاضل « المجمع يغذى القلاية والقلاية تغذى المجمع ويكمل احدهما الآخر » .

فى القلاية يمارس حياة الصلاة والتأمل وتفتيش الأفكار ورعايتها ، والتوبة عن كل خطية او خطأ اقترفه عن جهل او ضعف أو عمد أثناء عمله فى المجمع .

والعمل فى الجمع يمتص الوقت الزائد والطاقة الزائدة فى عمل نافع لنفسه وللمجمع ، لئلا يشغلهما الشيطان فى اثارة الحروب الشهوانية والأفكار الردية وذكريات العالم المتعبة ٠

القديس الأنبا أنطونيوس نفسه أتعبته الأفكار جدا من طول وجوده فى الفلاية من غير عمل يدوى فى بدء عزلته وعدم خبرته ، ولما تضايق جدا بدأ يشكو الى الله ويقول : يارب انى أحب أن أخلص ولكن الأفكار لاتتركنى فماذا أصنع ؟ وقام من موضعه وانتقل الى مكان آخر وجلس ، واذا برجل جالس امامه عليه اسطوانه (رداء طويل) متوشحا بزنار صليب مثال للاسكيم وعلى رأسه كوكلس (قلنسوة) شبه الخوذة ، وكان جالسا يضفر الخوص ، ثم توقف عن عمله ووقف للصلاة ، وبعد ذلك جلس يضفر الخوص ثم قام مرة ثانية ليصلى ثم جلس ليشتغل فى ضفر الخوص وهكذا ٠٠

أما ذلك الرجل فكان ملاك الرب أرسله لعزاء القديس وتقويته اذ قال له : « يا أنطونيوس اعمل هكذا وانت تستريح » ٠

من ذلك الوقت اتخذ القديس أنطونيوس لنفسه ذلك الزى الذى هو شكل الرهبنة وصار يصلى ثم يشتغل فى ضفر الخوص ، وبذلك لم يعد الملل يضايقه بشدة فاستراح بقوة الرب يسوع المسيح له المجد (١٠) ٠

بعض أقوال الآباء فى أهمية العمل للراهب :

قال الأنبا أنطونيوس :

+ اختر التعب فهو يخلصك من جميع النواحش ، مع الصوم والصلاة والسهر لأن تعب الجسد يجلب طهارة القلب ، وطهارة القلب تجعل النفس تثمر ٠

+ لتكن متعبا فى شغل يديك فيأتيك خوف الله ٠

وقال الأنبا موسى الأسود :

+ أعم أسلحة الفضائل هى أتعاب الجسد بمعرفة (بتدر وبافراز أما الكسل والتوانى فيولدان المحاربات ٠

---

(١٠) بستان الراهب ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ٦ ٠

+ اتعب جسدك مثلا تخزى فى قيامة الصديقين ٠

+ لا تحب الراحة ما دمت فى هذه الدنيا ٠

+ اياك والبطالة لئلا تخزى ، احرى بك ان تعمل بيديك ليصادف المسكين عنك خبزه ، لأن البطالة موت وسقطة للنفس ٠

+ قال القديس فيلس :

ان البطالة هى مصدر رداءة الأعمال ، لا سيما لأولئك الذين قد عدموا الأب ، لأن اليهود لم يكن لهم فى البرية عمل يشتغلون به خرجوا من البطالة الى عبادة الأوثان ، فعلينا الا نفارق عمل اليدين لأنه نافع جدا ومهذب ٠

+ وقال مار اسحق :

يتقدم كل الفضائل احتقار الانسان للراحات ، والذى يغذى جسده بالراحة فى بلد السلام فانه ينضغط بالضيقة ، والذى يتنعم فى شبابه يكون عبدا فى شيخوخته ، وفى الآخر يتنهد ٠

+ وقال احد الآباء :

ان آباءنا الروحانيين جعلوا عمل اليدين مثل قانون محدد وليس من أجل الشره ، وحسبوه كأحد الفضائل للأسباب الآتية :

١ - لأنه يخفف عن الانسان الثقل والملل ٠

٢ - لكى يكسب قوته ويعطى منه أيضا صدقة للآخرين ٠

٣ - لكى يمنع عن نفسه الشرور التى تتولد من البطالة ٠

انتصار يشوع على عماليق مثال لانتصار الراهب على الشيطان :

قصة انتصار بنى اسرائيل على عماليق فى البرية تثبت لنا بجلى بيان أهمية الصلاة والعمل فى كل زمان ومكان للانتصار على الشيطان وحروبه وعلى الجسد وغرائزه ، فكما انتصر اسرائيل بفضل صلوات موسى وهو رافع يديه فوق الجبل الى غروب للشمس وبفضل عمل يشوع بن نون وجهاده هو وجيشه ضد الأعداء ٠ هكذا الانسان الذى يريد ان يغلب فى جهاده

عليه بالصلاة وشغل وقته بالعمل والجهاد حتى لا يجد العدو أى ثغرة فى حياة الانسان يدخل منها ويتغلب عليه .

أقوال القديس فيلوكسينوس فى فضائل المجمع :

وللقديس فيلوكسينوس أقوال هامة عن الفضائل التى يجب ان يقتنيها العاملون فى المجمع ، وعن الرذائل التى يجب أن يأخذوا حذرهم منها لئلا يسقطوا فيها .. يقول :

« وتبدأ بعمل البرية التى هى شبه عمل المجمع ، فالفضيلة الأولى التى يجب على الذين يقبلون هذا الشكل الطاهر هى الاتضاع الذى منه تولد الطاعة التى هى من ثمار الروح كما يقول المسيح ، التى منها تتولد جميع الحسنات .

ان الطاعة تتولد من الاتضاع كما قال الرسول بولس الطوبانى ان ربنا وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، وكما ان الموت قد دخل الى العالم بواسطة قلة طاعة آدم ، وهكذا دخلت الخطية على جنس البشر ، هكذا ان طاعة الحق تعد لمن يقتنيها جميع الأفراح والنعيم الروحانى .

والطاعة التى هى بنت الاتضاع ليست أن يصنع الانسان ما يشاء ولكن هى بالحقيقة عمل الذين فى المجمع ، وهى أن يقطع الانسان جميع هوى نفسه ويعمل هوى (ارادة) الذى ائتمنه على نفسه يعنى الأب الروحانى دفعة واحدة ، حتى وان كان القلب لا يشاء من اجل اعوبة الجسد التابعة له .

خذ لك مثالا للطاعة الحقيقية أيها الأخ الذى تعمل فى برية المجمع وتريد أن ترث أرض الميعاد التى تنبع العسل واللبن لساكنيها كما صنع يشوع بن نون وكالب بن يفنه اللذان أطاع الطوبانى موسى العظيم ، ومضيا كأمره وتجسسا أرض الميعاد ، ومن أجل طاعتهما الحقيقية ورثا وحدهما أرض الميعاد من دون ستمائة رجل خرجوا على يد موسى من مصر ، واولئك الذين لم يطيعوا هلكوا هناك فى البرية وتبددت جثثهم .

انظر أيها الأخ المطيع العمال فى فلاحة المجمع ، الذى يشاء أن يتزود بالبركات والصلوات من اخوته (وآبائه) الروحانيين حتى يخرج ويسكن فى القلاية التى هى شبه أرض الميعاد (١١) .

أقواله عن الأوجاع والرذائل التى تقاتل المبتدئين :

« الأوجاع التى تقاتل الذين فى المجمع هى هذه : المماحكة - اقامة الهوى - قلة الطاعة - الكسل - الكلام الفارغ - قلة الحياء - الكذب - الحواس غير المرتبة - الاهتمام الزائد عن حاجة الجسد - التهاون - العين الحسودة - كثرة النوم .

وأشر من جميع هذه الأوجاع التى ذكرت هو المزاح والضحك غير المرتب واتساع البطن ووجع الزنا الذى يفسد شعاع أنفس الذين يطيعونه.

كل هذه الأوجاع تحارب الذين يتعبدون فى برية المجمع ويتمنون أن يقطنوا ثمرة الطهارة التى هى كمال الرتبة الجسدانية ، ويتحاربون مع الشعوب الغريبة (الأنكار) حتى اذا غلبوهم بقوة معونة ربنا يقبلون البركات والصلوات من آبائهم الروحانيين مثل يشوع بن نون الذى قبل الروح القدس بوضع يد الطوبانى موسى العظيم (مثال صلوات تكريس الراهب) وعبر الأردن وورث ارض الميعاد .

هكذا التلاميذ الحقيقيون الذين يعملون عمل مخافة الله فى المجمع يقبلون البركات والصلوات من آبائهم ويعبرون الأردن ويرثون ارض الميعاد (١٢) .

---

(١) الآباء الحاذقون فى العبادة لمار فيلوكسينوس - اصدار دير السريان - الطبعة الثانية - ص ١٢٨ .

(١٢) الآباء الحاذقون فى العبادة - ص ١١٠ .

الفصل السادس

الواجبات الروحية للأخ تحت الاختبار

قبيل خروج بنى اسرائيل من مصر كانوا يقولون (ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتى ذاتى الى هناك (خر ١٠ : ٢٧) .

وبعد أن خرجوا وعبروا البحر الأحمر وجاءوا الى البرية بدأ الرب يعلمهم طرق العبادة ووسائلها المختلفة وطقوسها حتى يعبدوه وفق مسرته ولا يمارسون شيئا ضد ارادته فيجلبون على انفسهم غضبه بدلا من رضاه فاعطاهم الشريعة المكتوبة بأصبعه الالهى وأراهم مثال الخيمة وامرهم أن يعملوا خيمة الاجتماع حسب المواصفات التى أراها لهم لتكون مكانا للعبادة والتعبد كما أمرهم بتقديم الذبائح المختلفة للشكر او للتكفير عما يقدمونه من أخطاء أو خطايا فى البرية .

١ ـ الشريعـــة :

استغرق تلقين الشريعه للشعب عدة اصحاحات من سفر الخروج وشدد الرب كثيرا على وجوب حفظها والمهذيذ الدائم بها وتنفيذها فيقول:

« ولتكن هذه الكلمات التى أنا اوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم ، واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم ابواب بيتك وعلى ابوابك (تث ٦ : ٦ ـ ٩) » . وذلك لاهمية الشريعة كقانون ينظم علاقتنا مع الله ومع أخينا الانسان .

فالشريعة هى كلمة الله كتبت بأصبعه (خر ٣١ : ١٨) وحفظها يحفظ حافظها من الخطأ والتعثر أثناء سيره فى البرية (سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى) (مز ١١٩ : ١٠٥) .

وهى لذة النفوس الطاهرة فى البرية ، فى ناموسه يلهج نهارا وليلا (مز ١ : ٢) واتلذذ بوصاياك التى أحببت (١١٩ : ٤٧) أحببت شريعتك اليوم كله هى لهجى) مز ١١٩ : ٩٧) .

وهى تعطى فطنة وحكمة لمن يدرسها ويتفقه فيها ، أكثر من الشيوخ فطنت لأنى حفظت وصاياك (١١٩ : ١٠٠) .

وهى تنقى قلب الانسان وتعطيه حياة ، انتم أنقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به (يو ١٥ : ٣) ، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة (يو ٦ : ٦٣) .

عندما يستقر الأخ الجديد فى البرية ينظم له مرشده الروحى طريقة واسلوب القراءة فى الكتاب المقدس بعهديه ويظهر له أهمية الكتاب المقدس فى حياة الراهب كمركز ومحور لكل تأملاته وصلواته وروحياته عموما . والأخ حسبما يتوفر له من وقت وفرصة مع هدوء البرية وهدوء البال يقرأ ويقرأ فى كتاب الحياة ويغوص فى تأملات عميقة حسبما يعطيه الروح .

قراءة الكتاب المقدس بالنسبة للأخ الذى تحت الرهبنة أو للراهب عموما هى بمثابة غذاء يومى لروحه . تجد فيها الروح وجبة غذائية دسمة تشبعها وتسندها وتنميها وتهز وتجتر فيها اليوم كله ، وكما أن الانسان لا يأكل فى وجبته طعاما واحدا فقط بل يعمل على تنويع طعامه هكذا قارىء الكتاب المقدس يجب أن يعمل على تنويع قراءته من العهد القديم والاناجيل والرسائل وهكذا ..

قراءة الكتاب المقدس تعطى للراهب كقانون يومى واجب الأداء كصلوات المزامير أو المطانيات ، والتقصير فيه يعتبر اهمالا غير مرغوب فيه ، وذلك لأن قراءة الكتاب المقدس بروح الصلاة أمر مهم جدا للراهب يساعده على الاتصال بالله والتقرب اليه ، فالكتاب المقدس ليس هو كتاب عن الله فحسب انما هو مكان نلتقى فيه مع الله ، وتوجيهات الله للانسان كثيرا ما تأتى اثناء قراءة الكتاب المقدس أو سماعه عندما يكون الانسان فى حالة خشوع وصلاة والقلب مفتوح باتضاع لتلقى الهامات الله وارشاداته .

يختلف قانون الراهب اليومى فى قراءة الكتاب المقدس بين شخص وآخر حسب طاقته ووقته وميوله ، فيوجد من يواظب على قراءة اصحاحين

من العهد القديم واصحاح واحد من العهد الجديد يوميا ، ومن يقرأ اصحاحا من كل منهما يوميا ويوجد من يقرأ اكثر من ذلك وهكذا ..

بجانب الكتاب المقدس ينصح الآب الروحى الراهب بكتب روحية أخرى لقراءتها وبالذات الكتب النسكية مثل سير الآباء وأقوالهم لأنها ترطب النفس وتليينها وتعطيها نوعا من المح الروحى لتطهيرها من أوجاعها وتنشيطها فى جهادها ..

ولمار اسحق قول مشهور فى هذا الشأن ، يقول : « شهية جدا هى أخبار القديسين فى مسامع الودعاء كشرب الماء للغروس الجدد » .

وقد أسهب الآباء فى نصائحهم بضرورة المواظبة على قراءة الكتاب المقدس والكتب الروحية الأخرى وأظهروا فوائدها ومنافعها ، ومن أقوالهم (١٣) :

قال القديس انطونيوس :

+ اتعب نفسك فى قراءة الكتب فهى تخلصك من النجاسة .

+ اتعب نفسك فى قراءة الكتب واتباع الوصايا فتأتى رحمة الله عليك سريعا .

+ اذا جلست فى خزانتك (قلايتك) فلا تفارق هذه الأشياء .. القراءة فى الكتب ، التضرع الى الله ، شغل اليد .

+ وسئل مرة : كيف أنت ثابت فى هذه البرية وليس لك كتب تتغذى بها ؟

فأجاب : ان كتبى هى شكل الذين كانوا قبلى ، أما اذا أردت القراءة ففى كلام الله أقرأ .

قال شيخ : قراءة تقوم العقل الطواف .

وقال آخر : تعب الجسد بكثرة القراءة ينقى العقل .

وقال الأنبا أبيفانيوس :

---

(١٣) بستان الرهبان ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ٤٢١، ٤٢٢

ان الجهل بما فى الكتب جرف عظيم السقوط وعوته عميقة ٠

وسأل أخ الأنبا سيصويص الصعيدى : قل لى كلمة ٠٠

فقال : أى شىء لى لأقوله لك : اننى أقرأ فى العتيقة ثم أرجع الى الحديثـــة ٠

قال الأنبا موسى الأسود : « كن مداوما لذكر سير القديسين كيما تاكلك غيرة أعمالهم ٠

وقال شيخ آخر : القراءة فلتكن فى قصص الشيوخ وتعليمهم لأن بهذا يستنير العقل نحو العمل ٠

وقال الآباء :

المناظرة فى الآراء والقراءة فى العقائد المختلفة والكلام فى الايمان من شأن هذه أن تطرد من الانسان خشوعه ، أما أقوال الآباء واخبار القديسين فمن شأنها أن تنير النفس وتلينها ٠

وقال مار أسحق : الذى لا يداوم قراءة الكتب المقدسة يسير فى التيه لأنه اذا أخطأ لا يشعر ٠

٢ - خيمة الاجتمـــاع :

امر الرب موسى أن يجمع من بنى اسرائيل تقدمات كثيرة متنوعة لصنع خيمة الاجتماع لتكون مكانا للعبادة وموضعا لسكنى الله فى وسطهم « فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم ، بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع انيته هكذا تصنعون (خر ٢٥ : ٨ ، ٩) ٠

« صنع موسى الخيمة على حسب المثال الذى أراه الله فى الجبل ، وكانت على مثال الصليب لأن ذكر الخلاص بالصليب كان فى ذهن الآب منذ الأزل ٠ والخيمة بكل ما فيها هى رمز للتجسد الالهى أى مسكن الله فى وسط البشر ٠

« فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم (خر ٢٥ : ٨) لأن العبادة فى أساسها هى الوجود مع الله لذلك أصبح اصطلاحا فى كل المذاهب ان يسمون مكان الصلاة بيت الله » (١٤) ٠

---

(١٤) مجلة مرقس - عدد سنة ١٩٧٥ - ص ٢٨ ٠

والبرارى حيث يعيش الرهبان فيها بيوت لله كثيرة ، فالدير عموما يسمى بيت الله لانه مبنى فى الصحارى المقفرة ليس للسكنى العادية وانما لسكنى الرهبان المتعبدين لله والمنقطعين لهذه الصناعة الروحانية انقطاعا كاملا ٠

وكل دير مهما كان صغيرا ليس فيه كنيسة واحدة بل عدة كنائس قديمة اثرية جميلة وطقسية وبسيطة فى مبانيها وأدواتها ، مما يبعث فى المصلين فيها روح الصلاة والشعور بوجود الله كما شعر به يعقوب قديما حين قال : « ما ارهب هذا المكان ، ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » (تك ٢٨ : ١٧) ٠

يتمتع الرهبان فى صلواتهم الاجتماعية وتقسيه بالصلاة والعبادة فى هذه الكنائس الروحانية العظيمة الخالية من الأضواء ومن مبهرات الأنظار اذ تضاء بالشموع أو القناديل أثناء الصلاة ، كما أنها خالية من الضوضاء ، فلا أصوات المواصلات المزعجة بخارجها كما يحدث فى كنائس العالم ولا أصوات صخب الأطفال وغيرهم بداخلها ، وهكذا تجرى الصلاة فى هدوء تام ووقار تام مما يساعد على سكون الحواس وجمع العقل لينطلق الى الله بلا مانع ولا عائق ٠

يطالب الآباء الأخ الجديد القادم للرهبنة أن يواظب بكل أمانة على كل الصلوات الجماعية التى تتم فى الكنيسة من تسبحة وعشيات وقداسات وغيرها حتى يتعلم ويتدرب على الوجود فى بيت الله الذى قال عنه داود « مساكنك محبوبة أيها الرب اله القوات ٠ تشتاق وتذوب نفسى للدخول الى ديار الرب ٠ قلبى وجسمى قد ابتهجا بالاله الحى ٠٠ اخترت لنفسى أن أطرح على باب بيت الله من أن اسكن فى مظال الخطاة (مز ٨٤ : ١ ، ٢ ، ١٠) ٠

وقال الأنبا انطونيوس : اذا دق الناقوس فلا تتوان عن الحضور الى الكنيسة ٠

وقال آخر : كن فى الكنيسة كمن فى السماء ٠

هذا من ناحية العبادة الجماعية ، أما من ناحية العبادة الفردية التى يؤديها الراهب فى قلايته ، فان القلالى فى الأديرة تصمم وتبنى بحيث تكون مناسبة وملائمة للعبادة الخاصة ، فكل راهب له قلاية خاصة لا يشاركه فيها أحد ، وكل قلاية مقسمة الى حجرتين من داخل بعضهما ، الحجرة

الداخلية وتسمى المحبسة لأن الراهب يحبس فيها نفسه بارادته ليمارس فيها انشطة العبادة المختلفة ويقول مار اسحق « الذى يحب الله يحب الحبس والجلوس فى القلاية » ومحبسة الراهب مخصصة للصلاة والطلبات والقراءة والكتابة والتاملات ثم للنوم لاعطاء الجسد راحته بعد عناء الجهاد اليومى . اما الحجرة الأخرى الخارجية فتخصص دائما للمطبخ حيث يجهز الراهب طعامه ويأكل لقمته ، كما يستقبل فيها الراهب اخوته الرهبان حينما يزورونه فى ظرف خاص أو عام أو لأجل محبة هادئة .. الخ .

٣ - الذبائـــح :

كان فى خيمة الاجتماع مذبحان :

١ - مذبح المحرقة : موجود عنـد مدخل الخيمة وعليه تقدم الذبائح . لانه لا يمكن دخول الخيمة (الأقداس) للقاء مع الله بدون تقديم الذبيحة والتصالح مع الله أولا « وتصنع المذبح من خشب السنط . طوله خمس أذرع . وعرضه خمس أذرع . مربعـا يكون المذبح .. وتغشـيه بنحاس (خر ٢٧ : ١ - ٨) .

٢ - مذبح البخور : كان فى القدس اى مـكان العبـاده حيث ترفـع الصلوات امام تابوت العهد وكان يفصـل بينهمـا الحجاب الفاصـل بين القدس وقدس الأقداس « وتصنع مذبحا لايقاد البخـور .. وتجعـله قدام الحجاب الذى امام تابوت الشهادة .. فيوقد عليه هارون بخورا عطرا كل صباح حين يصلح السرج يوقده ، وحين يصعد هارون السرج فى العشـية يوقده ، بخورا دائما امام الرب فى اجيالكم (خر ٣٠ : ١ - ٨) .

على هذين المذبحين كان الشعب فى البرية يقـدم كل فروض العبادة من صلوات وبخور وذبائح بكل انواعها مثل ذبيحة المحرقة (لا ١) وذبيحة الخطية (لا ٤) وذبيحة الاثم (لا ٥) وذبيحة السلامة (لا ٧) وتقدمـة القربان (لا ٢) « وذلك لتقديم التـوبة والاعتراف والشكر والتسـبيح ونرضى وجه الله العظيم الذى أحسن اليهم وأخرجهم من مصر بيد عزيزة وذراع قـوية » .

الانسان حينما يخرج من العالم الى البرية للرهبنة ، تاركا العالم وكل ما فيه طالبا الله وحده ، ينحل عن الكل بقصـد الارتبـاط والاتحـاد

بالواحد ، هذا العمل فى حد ذاته ذبيحة محرقه كاملة فيها يقدم الانسان ذاته لله بكاملها ، لا يشاركه فيها احد ، لا أهل ولا زوجة ولا أسرة ولا غير ذلك ، يقدم نفسه لله بكليتها على مذبح المحبة الالهية متلذذا بها محبة الله عن آخرها .

هذا ما كان يحدث تماما عند تقديم ذبيحة المحرقة ، تذبح الذبيحة امام الرب ويقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديرا على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع (مذبح المحرقة) ويسلخ المحرقة ويقطعها الى قطعها ويجعل بنو هارون الكاهن نارا على المذبح ويرتبون حطبا على النار ويرتب بنو هارون الكهنة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح ، واما احشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن للجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب (لا ١ : ٥-٩) .

ومن المعروف عن ذبيحة المحرقة انه لم يكن يشترك فيها او يأخذ جزءا منها لا الكهنة ولا مقدم الذبيحة كما هو الحال فى بقية الذبائح ، بل توقد كلها بكاملها على مذبح المحرقة رائحة سرور الرب .

وهذه الحالة كما شرحنا سابقا تنطبق تماما على الانسان الخارج من العالم للرهبنة طالب الرب بكل قلبه مكرسا له وحده حياته بكاملها .

الانسان الذى يعيش فى البرية للرهبنة يقدم لله ذبائح اخرى كثيرة اثناء معيشته اليومية فى الدير .

وأول هذه الذبائح ذبيحة الصلاة والتسبيح التى هى ثمر شفاه معترفة باسمه (عب ١٣ : ١) وعجول شفاه سمينة (هو ١٤ : ٢) ، فالصلاة هى العمل الرئيسى والأساسى فى حياة الراهب الساكن فى البرية وهى عمل عظيم يستحق أن يكرس له الراهب حياته حتى يصل الى الدرجات العليا فى حياة الصلاة .

الأجبية بكل صلواتها هى القانون اليومى للراهب المبتدىء او الاخ الجديد طالب الرهبنة ، يصليها كل يوم ليس مرة واحدة بل مرتين ، مرة مع مجمع الرهبان ويؤدى على فترتين - فترة فى الصباح الباكر فى الفجر حيث يصلى الرهبان مع بعضهم صلاة نصف الليل ثم التسبحة ثم صلوات باكر والثالثة والسادسة (ثم التاسعة فى الأصوام) ومرة فى الغروب حيث يصلون مع بعضهم صلوات الغروب والنوم والستار .

يصلى الراهب الأجنبية كلها وحده كقانون خاص فى قلايته ، يرتب طريقته وأوقات تلاوته مع اب اعترافه وحسب مواعيد عمله ومشغولياته فى الدير ، الى جانب قانون صلوات سواعى الأجبية يطلب الراهب بقانون تلاوة القسبحة يوميا سرا مع اخوته الرهبان فى الكنيسة أو وحده فى قلايته حسب امكانياته .

يعطى للأخ الجديد أو الراهب المبتدئ قانون مطانيات ، عدده يزيد أو ينقص حسب امكانياته الصحية والروحية وعمله فى الجمع .

قانون اصوام الكنيسة المفروضة ينفذه بحذافيره وبطريقه نسكية فى فترة الانقطاع والأكل .

الأخ الجديد يتحتم عليه أن يحضر القداسات التى تقام بالدير ويتناول من الأسرار المقدسة الالهية حسب استعداده وان امكن كل يوم حتى يأخذ من التناول طاقة تساعده فى جهاده مع الشياطين والجسد والأفكار فى هذه الفترة الحرجة من حياته الروحية الصاعدة .

يقدم لله ذبيحة الأيدى المرفوعة فى الصلاة ، لتستقم صلاتى كالبخور قدامك وليكن رفع يدى كذبيحة مسائية (مز ١٤١ : ٢) .

يقدم لله ذبيحة الأيدى المرفوعة فى الصلاة « اليك رفعت عينى يا ساكن السماء (مز ١٢٣ : ١) » « رفعت عينى الى الجبال من حيث يأتى عونى معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض (١٢١:١،٢) يقدم ذبيحة رفع النفس والكيان كله الى الله « اليك يا رب رفعت نفسى يا الهى عليك توكلت فلا تدعنى أخزى ، لا تشمت بى اعدائى لان كل منتظريك لا يخزون (مز ٢٥ : ١ - ٣) .

يقدم جسده ذبيحة بالصوم والتعب والنسك والجهاد حسب وصية الرسول « اطلب اليكم ايها الاخوة برأفة الله أن تقدموا اجسامكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية (رو ١٢ : ١) يقدم لله ذبيحة البتولية والعفة ، فيتسامى بغرائزه ويركز كل عواطفه فى الله وقديسيه ، وكأن جسده مجمرة تحرق فيها كل الشهوات واللذات الجسدية فيشتم الله منها رائحة الطهارة والبتولية كرائحة بخور نقى .

يقدم نفسه ذبيحة طائعة يذبح فيها كل مشيئة وارادة خاصة له ويطيع معلمه والمسئولين فى الدير ، لا تسر بالمحرقات (الذبائح الحموية) فالذبيحة (المقبولة) لله روح منسحق ، القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله (مز ٥١ : ١٦ ، ١٧) .

يقدم ذبائح الصدقة وفعل الخير وخدمة المحتاجين فى الدير سواء من الرهبان أو العاملين بالدير حسب وصية الرسول « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأن بذبائح مثل هذه يسر الله (عب ١٣ : ١٦) .

وهكذا يعيش الأخ الجديد فى الدير حياة ملائكية ، يعيش أيام السماء على الأرض (تث ١١ : ٢١) ، بل وتتحول البرية الى سماء وذلك بواسطة الصلوات والتسابيح المرفوعة فيها من قلالى الرهبان وكنائسهم وبواسطة الحق والنعمة التى تسكن فيها بين جماعاتهم وبواسطة الطهارة الملائكية التى يحيونها . ويقول النبى اشعياء « الى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستانا وبحسب البستان وعرا ، فيسكن فى البرية الحق والعدل فى البستان يقيم ويكون صنع العدل سلاما وعمل العدل سكونا وطمأنينة الى الأبد . ويسكن شعبى فى مسكن السلام وفى مساكن مطمئنة وفى محلات أمينة (اش ٣٢ : ٥ - ٨) . ويقول فى مكان آخر « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس . يزهر ازهارا ويبتهج ابتهاجا ويرنم (اش ٣٥ : ١ ، ٢) » .

وهكذا يعيش الأخ الجديد بين هؤلاء البشر السمائيين والملائكة الأرضيين فى هذا الجو الأكثر تشابها بالسماء منه بالأرض . يعيش مرحا بين أبائه واخوته مسندا بصلواتهم متشجعا بسيرتهم ونصائحهم وتشجيعهم ، يعيش هكذا فى انتظار نعمة الرهبنة .

الفصل السابع

طقس الرهبنة

لما اظهر يشوع بن نون تلميذ موسى طاعة مثالية لمعلمه وانتصاعا امام الله والناس ومحبة وغيرة لوصايا الله وأوامره امر الرب موسى أن يقوم بسيامته أى تكريسه ليخلفه فى قيادة الشعب ، فقال الرب لموسى : خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه . واوقفه قدام العازر الكاهن قدام كل الجماعة واوصه امام أعينهم . واجعل من هيبتك عليه لكى يسمع له كل جماعة بنى اسرائيل .. ففعل موسى كما أمره الرب . أخذ يشوع واوقفه امام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة ، ووضع يديه عليه واوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى (عد ٢٧ : ١٨ ـ ٢٣) » .

هكذا الأخ الجديد طالب الرهبنة يستمر طول فترة الاختبار التى قد تستمر عدة شهور تقل او تزيد حسب استعداد الأخ وتقدمه فى حياة الفضيلة وبالذات حياة الاتضاع والطاعة والبساطة والنشاط فى الخدمة فى هذه الفترة ، وكانت هذه الفترة فى اول عصور الرهبنة تستمر الى ثلاث سنوات . يستمر طول هذه الفترة ـ طالت أو قصرت ـ تحت الميكروسكوب لفحصه والتعرف على شخصيته واستعداداته . يختبره أب الدير عدة اختبارات فى الطاعة والاتضاع ليرى مدى تقدمه فى هاتين الفضيلتين بالذات . يجمع عنه المعلومات من الآباء الرهبان المحتكين به والمتعاملين معه وخصوصا من اب اعترافه ومن الراهب المشرف عليه مباشرة فى العمل الذى يقوم به فى الدير ، ليتعرف على طريقة معاملته مع الآخرين هل فيها أنضاع او كبرياء ، فيها طاعة أم اعتداد بالراى ، فيها بساطة أم خبث ومكر ، فيها نشاط أم كسل ، فيها محبة أم كراهية ، فيها خدمة أم تعالى وعجرفة .

وفترة الاختبار هذه فرصة للاخ نفسه ليختبر فيها ذاته واستعداداته ومقدرته وقوة عزيمته ، فيها يجلس مع نفسه ويحسب حساب النفقة : هل يستطيع أن يعيش فى هذه الحياة عمره كله أم لا .

ان رضى أب الدير شخصيا بحنكته واختباراته الكثيرة فى دراسة نفسيات الناس وشخصياتهم ، وان رأى اجماع الرهبان على مباركة الاخ والشهادة الحسنة له ، ولم تصله اى شكوى على الأخ من راهب أو من اى شخص من المحتكين به . عندئذ يقدم مشيئة الله لرهبنة الأخ وضمه كعضو عامل نافع الى مجمع الدير المعامر .

بعد صلاة الزاميرز فى طقس صلاة العشية يفتح رئيس الدير ستر الهيكل وتوقد شموع المذبح الذى تكون عليه ملابس الرهبنة بقطعها المعروفة .

ينادى للأخ فيأتى ويقف امام باب الهيكل مطاطىء الرأس متضعا . يقول أب الدير موجها الكلام للرهبان : نريد ان نرهبن الأخ ... .

هل يوجد احد له اعتراض على رهبنته .. ؟

ان لم يوجد من يعترض يوجه اب الدير الكلام للأخ ناصحا اياه ببعض النصائح عن الطريق الرهبانى عامة وعن بعض الملاحظات التى لاحظها عليه خاصة ، ويطالبه بالاجتهاد اكثر فاكثر بالسلوك الحسن وحياة الفضيلة .

يعمل الأخ مطانية امام الهيكل ثم امام أب الدير كدليل على طاعته لأوامر الدير وناموسه ، ثم مطانية للرهبان كدليل على خضوعه وبنوته لهم ، ثم يصافح الجميع طلبا للحل والسماح والبركة منهم جميعا .

يقف الأخ امام رئيس الدير الواقف على باب الهيكل ثم يحضر أمين الدير الملابس الرهبانية من على المذبح ويسلمها للرئيس فيأخذها بيمينه ويعطى طرفها للأخ فيمسكانها معا ، يرشم رئيس الدير الملابس الرهبانية بالرشومات الثلاثة المعروفة مصحوبة بالاسم الرهبانى الذى سيعطيه للأخ وغالبا ما يكون اسم احد القديسين المجاهدين حتى يحاول ان يتمثل به فى جهاده ، يقبل الأخ يد أب الدير ثم يأخذ منه الملابس ويتوجه بها الى مقصورة أجساد القديسين الموجودة فى الكنيسة ويضعها عليها بينما يقول خورس الكنيسة لحنا مناسبا . تكمل صلوات رفع بخور عشية

كالعادة ثم يأتى الرهبان الى اخيهم الجديد معانقين ومهنئين بنعمة الرهبنة طالبين له الثبات والنمو والتمر المتكاثر لحساب ملكوت السماوات وخلاص نفسه ، وان يكون سبب بركة للدير خاصة والبرية والرهبنة عامة .

يأتى الأب الروحى للأخ ويهنئه ايضا ثم يجلس معه جلسة روحية خاصة يعترف فيها الاخ بما لم يعترف به من قبل من اخطاء وخطايا ، ويعلمه الأب بعض النصائح والارشادات الخاصة بحياته الرهبانية الجديدة ، يشجعه ويقويه ويدعمه بكل ما هو زرجى وناقع ومفيد لحياته الرهبانية ، بعد ذلك يقرأ له التحليل ، وقراءة التحليل عنا هامة جدا قبل اجراء طقس الرهبنة الذى سيتم فى الصباح حتى يدخل الى الحياة الجديدة جديدا طاهرا من كل دنس أو غضن او اى شىء مثل ذلك ، وبشهادة القديس العظيم الأنبا انطونيوس يقول : ان الرهبنة تشبه المعمودية من هذه الناحية ، فيقول الأنبا انطونيوس (١) : ان الروح الذى يحل على المعمودية المقدسة هو يحل على شكل الرهبنة ، ويظهر الذى يصير راهبا . وشهد قائلا : انه راى وكان نفسه قد خرجت من جسده واعادوها فى الجو وارادوا ان يحاسبوها منذ صغرها واذا صوت من السماء يقول : انى من حين صغره الى ان صار راهبا قد تركت له ذلك وغفرت خطاياه بالرهبنة ... » .

يظل الأخ ساهرا فى الكنيسة لا يخرج منها الا لأمر ضرورى جدا ، يظل ساهرا الى الصباح وحوله الآباء الرهبان فرحين بانضمامه الى مجمعهم المبارك ، ويكون حديثهم طول الليل فى الكنيسة عن الجهاد الرهبانى عامة وفى سير القديسين العظماء أعمدة الرهبنة وبالذات سيرة القديس الذى أخذ الأخ اسمه .

عندما يدق ناقوس نصف الليل يشترك جميع الآباء فى صلاة نصف الليل ثم فى التسبحة ثم يرفع بخور باكر كالمعتاد .

بعد رفع بخور باكر يأتى أب الدير لاتمام طقس الرهبنة ، ويتم اجراء طقس الرهبنة عادة أمام مقصورة أجساد القديسين ، وذلك لكى تحل

---

(١) طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان - ص ٢٢ .

أرواح هؤلاء القديسين المجاهدين الأمناء على الراعب الجديد ومؤازره فى جهاده وذلك على مثال ما فعل موسى مع السبعين شيخا فى البرية ، فقال :

الرب لموسى : اجمع لى سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل .. واقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك . فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك واضع عليهم (عد ١١ : ١٦ ، ١٧) . فجمع موسى سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالى الخيمة . فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه واخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ . فلما حل عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا (عد ١١ : ٢٤ ، ٢٥) .

وكان الأب يطلب ويلح أن تحل عليه هذه الروح لكى تعطيه الأمانة والقوة فى جهاده حتى يسير فى طريق آبائه وينال نصيبهم على مثال ما فعل اليشع عندما رأى معلمه ايليا يرفع الى السماء فى المركبة النارية اذ صرخ بصوت عظيم الى معلمه ، ليكن نصيب اثنين من روحك على (٢ مل ٢ : ٩) .

ويتم اجراء طقس الرهبنة بأن ينام الأخ على ظهره على الأرض أمام أجساد القديسين ويضع يديه على صدره مثل ثوم الميت تماما ثم يغطى بستر كبيرة كما يغطى الميت وهو فى نعشه . لأن الرهبنة فى جوهرها هى موت عن العالم وقراءات طقس الرهبنة تشبه الى حد كبير قراءات طقس الصلاة على الأموات بما فيها من ألحان حزينة مؤثرة .

يبدأ أب الدير بصلاة الشكر ودورة البخور ثم تقال النبوات كالآتى :

١ - من سفر التكوين (تك ١٢ : ١ - ٧) وهى تحض على ترك العالم وطاعة صوت الله والسعى حثيثا فى طلب أرض كنعان كما فعل ابراهيم .

٢ - من سفر التثنية (تث ٨ : ١ - ٩) وهى تحض على حفظ الوصايا والعمل بها حتى يستحق الانسان دخول أرض كنعان ، أرض الموعد .

٣ - من يشوع بن سيراخ (٢ : ١ - ٥) تحض على احتمال التجارب والصبر والالتصاق بالرب حتى ينجح الانسان ويصل الى الحياة الأبدية بسلام .

بعد ذلك تصلى أوشية المرضى ثم بعض قطع من المزامير كالآتى :

(مز ٣٤ : ١١ - ١٥) ويحض على الحيدان عن الشر واتباع الخير وان يطلب الانسان السلامة ويجد فى أثرها ويكون رجل سلام ومحبة على مثال المسيح الذى لم يكن يصيح ولا يخاصم ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته .

ثم القطعة ١٦ من المزمور الكبير (مز ١١٩ : ١٢١ - ١٢٨) ، يطلب فيها الانسان من الله أن يعلمه وصاياه ويصنع معه رحمة ويعاهد الرب ان يرتب حياته بحسب وصاياه وأوامره ويبغض كل طرق الظلم والشر (مز ٥٥ : ٤ - ٨) ويبث فيه المرنم اشتياقه للحياة فى البرية حتى تنجو من نوء واضطرابات العالم المهلكة للنفس .

يرتل البولس بالقبطى باللحن الحزانى المؤثر ثم يفسر عربيا وهو من (أف ٦ : ١٠ - ٢٠) وفيه يناشد الرسول المؤمنين أن يلبسوا سلاح الله الكامل ، ترس الايمان ، درع البر ، خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله لكى يقدروا أن يقاوموا فى الحرب الضروس القائمة بين النور والظلمة ، بينهم كجنود الله وبين جنود الشيطان وقواته

+ تقال اجبوس الثلاثة بلحن الحزن ثم أوشية الانجيل ، ثم يقال الزمور قبطيا بلحن الحزن على طريقة البصخة ثم الانجيل قبطيا بالطريقة الحزينة .

+ يفسر المزمور عربيا (مز ٣١ : ١ ، ٢) طوباهم الذين تركت لهم آثامهم والذين سترت خطاياهم . طوبى للرجل الذى لم يحسب له الرب خطية ولا فى فمه غش .

+ يفسر الانجيل عربيا من (صموئيل ٨ : ٣٤ - الخ) وفيه يحثنا الرب على انكار ذواتنا والاهتمام بخلاص نفوسنا فوق كل اعتبار حتى نستحق الحياة معه فى فردوسه وملكوته فى الحياة المزمعة .

+ يقال طرح يطلب فيه أب الدير الى الله أن يقبل صوم وصلاة وتوبة واعتراف الراهب الجديد ويمنحه قلبا طاهرا وحكمة وعقلا مستيقظا .

+ تقال الأواشى الثلاث الكبار ثم قانون الايمان ثم أوشية الراقدين .

+ تقال صلاة يطلب فيها أب الدير الى الله أن يعطى الراهب الجديد خيرا ونعمة ليهرب بالكمال من الشهوات وينتصر على كل الأرواح الخبيثة الحادة .

+ يقوم الأخ من نومه فيأخذ أب الدير مقصا ويقص شعر رأسه خمسة صلبان بالرشومات المعروفة كما كان يفعل النذير عند وفاء نذره ، يحلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع رأس انتذاره ويأخذ شعر رأس انتذاره ويجعله على النار التى تحت ذبيحة السلامة (عد ٦ : ١٨) .

+ يصلى الرئيس على الملابس الرهبانية ثم يرشمها بالرشومات المعروفة ثم يلبسها للراهب الجديد قطعة قطعة .

+ يلبسه الثوب وهو يقول : البس ثوب البر ودرع النور ، واصنع ثمرة تليق بالتوبة بالمسيح ..

+ يلبسه القلنسوة وهو يقول : البس قلنسوة الاتضاع وخوذة الخلاص واعمل ثمرة صالحة بالمسيح ..

+ يمنطقه بالمنطقة وهو يقول : شد على حقويك بجميع رباط الله وقوة التوبة بالمسيح ..

+ وذلك على مثال ما فعله موسى عند تكريس هارون وبنيه لخدمة الله ، « قال الرب لموسى » ، تقدم هارون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء (رمز التوبة والتطهير وهذا ما يفعله الراهب قبل اتمام طقوس الرهبنة ، يعترف بخطاياه وينال التحليل) وتأخذ الثياب وتلبس هارون القميص وجبة الرداء والرداء والصدرة وتشده بزنار الرداء ، وتضع العمامة على رأسه وتجعل الاكليل المقدس على العمامة .. (خر ٢٩ : ٤ - ٩) » .

بعد ذلك يقرأ التحليل ، ثم يأخذ أب الدير ابنه الجديد بيده الى الهيكل ويوقفه أمام المذبح ويقرأ له الوصية الرهبانية المدونة بالكتاب ومنها « اعلم أيها الأخ مقدار النعمة التى أدركت لانك قد لبست شكل الملائكة ، وأقمت ذاتك جنديا للمسيح ، وتقدمت الى جهاد صالح . أول كل شئ قد تجددت وتنقيت من الأعمال الردية التى للعالم .. والآن أيها الأخ ما قد طهرت من دنس العالم الكثير الأنواع تاحظ نفسك منذ الآن لتكون جنديا صالحا للمسيح ملك الملوك وتقاوم الحرب الخفية التى لابليس وجنوده الأشرار .

احفظ العهد الذى قررته الآن بأن تعبد الله بخوف ورعدة ، وتقف فى المزامير مع سهر الليل وتلاوة الأبصلمودية (التسبحة) وصلاة القنيسة المفروضة ، تكمل ذلك بكل الاجتهاد مع صوم بمقدار الخضوع والطاعة تكملها واحرص أن تسمع لمن يرشدك الى طريق الله وقوصايا القديسة الى حد الموت ، لكى تنال تاج الحياة ، الله وترث ملكوت السماوات ..

+ يحضر القداس ويتناول من الأسرار المقدسة ، وبعد القداس تعمل له زفة الى قصر الضيافة وتدق اجراس الدير فرحا وتهليلا ، وفى القصر يقدم له الرهبان التهنئة والدعوات ثم توزع الشربات فرحا بهذه المناسبة ، ثم ينصرف الجميع بسلام وينصرف الراهب الجديد الى قلايته فرحا شاكرا الرب الذى دعاه وأهله الى هذه الدعوة المقدسة .

+ + +

طرح يمكن ان يقال
عند الاحتفال بالراهب الجديد

افرحوا معنا كلكم اليوم يا آبائي واخوتي من أجل الراهب المكرم (...) الذي لبس ثوب الرهبنة الملائكي ونال الموهبة الصالحة التي يعطيها الرب لمن يشاء ، ويفيض روح قدسه على من يعمل صلاحه ، فقد قال أبونا القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب الرهبان « انني رأيت الروح القدس الذي يحل على المعمودية يحل على الذي يصير راهبا » .

فقد اختاره الرب جل اسمه كما قال معلمنا بولس الرسول لسان العطر ومعلم المسكونة في رسالته الى أهل رومية « ليس ان يشاء ولا ان يسعى بل الله الذي يرحم (رو ٩ : ١٦) وكذلك قال معلمنا يعقوب الرسول « ان كل عطية وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران . شاء فولدنا بكلمة الحق لنكون باكورة من خلائقه (يع ١ : ١٧ ، ١٨) . وكما قال الرب يسوع موضحا طريق الكمال لذلك الشاب الغني « ان اردت أن تكون كاملا اذهب وبع كل اموالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني (مت ١٩ : ٢١) حاملا الصليب (مر ١ : ٢١) .

نمجده تقديسا يليق بمجده ونشكره شكرا على ما وهب لنا من جزيل بركاته ، ونسأله أن يعطينا فهما لكي نفتح أفواهنا اليوم لنتطلق ونتهلل ونفرح بالكرامة التي نالها الراهب (...) الذي لبس شكل الملائكة وصار في طقس الروحانيين .

طوباك ايها الراهب الطاهر اذ نلت هذه النعمة الجليلة والموهبة العظيمة التي انعم بها عليك السيد المسيح له المجد ، ولما لبست شكل الرهبنة المقدس صرخ السمائيون والأرضيون قائلين (أكسيوس ' أكسيوس .

ونحن نسأل ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح أن يحفظ رهبانيتك بالبر والطهارة ويكمل جهادك فى طريق القديسين لكى تفرح معهم فى ملكوت السماوات ، وتسمع من الفم الالهى ذلك الصوت المفرح القائل « نعما أيها العبد الصالح والامين ، كنت أمينا فى القليل فاقيمك على الكثير ، ادخل الى فرح سيدك (مت ٢٥ : ٢٣) .

بشفاعة القديسة الطاهرة مريم أم النور والقديس العظيم الأنبا انطونيوس أب الرهبان وجميع القديسين آمين .

الفصل الثامن

كيف يقضى الراهب يومه ؟

هذا السؤال الهام الخطير كان منذ نشأة الرهبنة ، وحتى الآن ما زال يتردد على افواه الكثيرين : كيف يقضى الراهب يومه او كيف يجيز يومه ؟

يتردد هذا السؤال غالبا على السنة عدة فئات من الناس :

١ ـ الرهبان المبتدئون الداخلون الى الرهبنة بأمانة قلبية وحمية روحية يريدون السلوك فى الطقس الرهبانى على اسلم الطرق واصح التدابير .

٢ ـ الشبان الذين يودون الدخول والانتظام فى سلك الرهبنة ، حتى يقيسوا قدراتهم الروحية وعلى عندهم الامكانيات اللازمة لهذه الحياة الروحية العالية ، لئلا يزجوا بانفسهم فيها دون دعوة الهية او استعداد نفسى فيكون الفشل ، وهذه كانت حالتى انا شخصيا قبل الدخول فى الرهبنة ، كنت اتشوق لقراءة الكتب الرهبانية والتهمتها التهاما . وعندما كان يقع فى يدى كتاب رهبانى اول ما يعنينى فيه واول ما اقرأه فيه ـ الفصل او الفصول التى تتكلم او تشير الى كيف يقضى الراهب يومه فى قلايته او داخل الدير ، خصوصا انني لم اكن قد زرت ديرا قبل ذلك ولا اطلعت على حياة الرهبان على الطبيعة .

٣ ـ الباحثون فى شئون الرهبنة من العلماء والمفكرين لكتابة ابحاثهم ودراساتهم .

٤ ـ عامة الشعب : كنوع من حب الاستطلاع حيث ان حياة الرهبنة رغم انفتاح الأديرة على العالم وكثرة الزائرين من العالم للاديرة ما زالت مجهولة من الكثيرين وغامضة او سرية على غالبية الناس .

وكان الآباء الشيوخ يجيبون على ذلك السؤال الهام كل بطريقته الخاصة حسبما اختبر هو فى حياته الروحيـة أو حسبما استلم من آباء الرهبنة العظام المعتبرين أعمـدة .

فنرى الأنبا بيمين مثلا يقول : ثلاثة أعمال رأيتـها لأنبا بيمـو : صوم الى المساء كل يوم وصمت دائم مع عمل اليدين (١) .

ونحاول هنـا أن نجمـع بعض اجابات الآباء القديسين عن هـذا السؤال حتى نستطيع بنعمة اللـه أن نكون فكرة ولو باهتة عن طريقـة حياتهم وكيفية قضاء اوقاتهم فيما يرضى اللـه ، ثم بعد ذلك نحاول أن نقفى آثارهم ونتلمس طريقهم حتى نسير فيه وفى ذلك يقول أرميا النبى:

« هكذا قال الرب : قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبيل القديمة ، أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحـة لنفوسكم (أر ٦ : ١٦) » .

واذا سرنا فى تلك الطرق القديمة الأبائية سنجدها طرقا معبدة مضمونة واضحة توصلنا الى الراحة الأبدية فى ملكوت ربنا .

فى الأمور العلمية يبحث الناس عادة عن أحدث النظريات العلمية وآخر الاختراعات والانجازات فهى الأحسن دائما ، أما فى الحياة الروحية والنسكية والكنسية عامة نحاول أن نبحث عن أقدم الأقوال وأقدم التدابير وأقدم النصوص وأقدم الطقوس فهى الأصح دائما .

وها هى بعض أقوال الآباء القدامى فى هذا الموضوع :

+ فحينما اجتمع الآباء العظـام فى مجلس خلاصى ليضـعوا القوانين اللازمة ليسير عليها الرهبان ويلتزموا بها تحدث الأنبا بفنوتيوس وقال « يجب على الأخـوة أن يتبعوا النظـام الذى سـأمليه الآن فى أعمالهم اليومية . فيتفرغون للاعمال التقوية من السـاعة التاسـعة (٣ بعد الظهر) فيقـومون بعمل ما يأمرهـم به الرئيس ، ويؤدونه بخضوع ودون تململ كمـا يوصى القـديس بولس « افعـلوا كل شىء

(١) بستان الرهبان ـ طبعة بنى سويف ـ ص ٢٢٠ .

بلا دمدمة ولا مجادلة ، اذ يجب أن يخافوا ذلك التهديد المخيف لهذا الرسول الذى يقول « لا تتذمروا ايضا كما تذمر لناس منهم فأهلكهم المهلك (٢) ·

+ وللقديس العظيم برصنوفيوس اجابات مفيدة عن هذا السؤال ·
س : كيف ينبغى لى أن أقضى يومى ؟

ج : اقرأ فى المزامير قليلا ، واحفظ منها قليلا ، وفتش أفكارك قليلا ولا تجعل ذاتك تحت رباط قانون ، ولكن اعمل بقدر ما قواك الله على عمله ، ولا تترك تلاوة المزامير والقراءة قليلا قليلا ، وهكذا يمكنك أن تقضى يومك بمرضاة الله ، لأن آباءنا لم يكن لهم قوانين ساعات بل كانوا يجتازون اليوم كله فى القراءة ، وقتا وفى تلاوة المزامير وقتا ، وفى تعلم حاجات طعامهم وقتا آخر ·· وهكذا (٣) ·

+ وأعطى هذا القديس ايضا نموذجا آخر لقضاء يوم الراهب فى قلايته فقال : « اقضى بعض الوقت فى الأبصلمودية وبعض الوقت فى تلاوة المزامير وبعض الوقت فى فحص وحراسة الأفكار ، لا تضع لنفسك حدا فى الأبصلمودية والصلوات الارتجالية بل اعمل بقدر ما يعطيك الله من قوة · لا تهمل القراءة والصلاة الداخلية · افعل قليلا من ذلك وهكذا اقضى يومك بطريقة ترضى الله ·

آباؤنا الذين كانوا كاملين لم يكن لهم قانون قاطع جاف ، بل كانوا يقضون كل اليوم باتباع قوانينهم · قليل ابصلمودية ، وقليل تلاوة صلوات بصوت عال (٤) · قليل فحص أفكار · وقليل اهتمام بالطعام وكانوا يعملون كل هذا فى خوف الله لأنه قيل « ان كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شىء لمجد الله (١ كو ١٠ : ٣١) ·

س : اذا سكن الانسان (عاش فى السكون) فما هى الحال التى ينبغى أن يكون عليها فى القلاية ·

---

(٢) كتاب ابيرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ـ ص ١٣٢ ·
(٣) بستان الرهبان ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ٤٢٣ ·
(٤) وقال قديس آخر : لا ترفع صوتك الا فى صلاة الفرائض ·

أجاب القديس برصنوفيوس « المجرب في الصلاة هو أن يتذكر الراهب خطاياه وينوح ويبكي من أجلها . ويتحرز أن لا يسبي عقله ، وان سبي فليجاهد أن يرده .

+ أما القديس فيلوكسينوس فيحدد تدابير الصلاة بالوقت والساعة زيادة في الايضاح فيقول (٥) :

«اذا جاء الصباح فليغسل (الراهب) يديه ويصنع سجدة امام الصليب ليجمع أفكاره عن الطياشة ويحمي قلبه بنار محبة ربنا ويتخشع لربنا بدموع وحرقة (ثم يصلي صلاة قصيرة قبل قراءة الكتاب المقدس) قائلا : يا الله أجعلني مستحقا أن يتنعم ذهني بافهام اسرار ابنك الحبيب الوحيد . يا ربنا اكشف غطاء الأوجاع المسدول على وجه عقلي واشرق نورك الطاهر في قلبي ليدخل ذهني لانظر بعين نفسي الشيرة الأسرار الطاهرة الخفية في بشارتك . اعطني نعمتك واجعلني مستحقا برحمتك ان لا يذهب ذكرك من قلبي ليلا أو نهارا . بعد ذلك يأخذ الانجيل ويقبله ويقرأ منه .

فاذا قرأت في الانجيل أيها الأخ النشيط وتأخذ منه تلك البركة التي تطهر نفسك . اقرأ في رسائل بولس الرسول واعمال الرسل حتى تأتي الساعة الثالثة .

+ اذا جاءت الساعة الثالثة قف أمام الصليب واجمع افكارك من فهم القراءة التي قرأت واصنع مطانية وتخشع لربنا بوجع ودموع ليعطيك فهم تزمير الطوباني داود ، واذا ابتدأت بصلاة المزامير فلا تتعجل على كثرة المزامير بل على فحص الفهم المخفي فيها اذ ليس في ذلك خسارة اذا اشتغل العقل بكلمة واحدة سبعة أيام وسبع ليال لأنه قد قيل لآبائنا القديسين : « ان كلمة واحدة في القرب أخير من الف كلمة في البعد » .

---

(٥) كتاب الآباء الحادقون في العبادة - ج ١ طبعة ثانية - ص ١٤٦ - ١٥٢ .

فى خدمتك وصلاتك اجعل عقلك يرتل بفهم المزامير وفمك ينطق حسبما (بالكلمات) ٠

+ اذا اكملت صلاة الساعة الثالثة مثل القانون والعادة التى وضعها لنا آباؤنا خذ كتاب الآباء واقرأ فيه الى الساعة السادسة واياك أن تبطل ذهنك عن هذيذ الافهام المعقولة للقراءة ٠

+ من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة اعمل عمل يديك ولا تترك قانون المطانيات ، واياك أن تقتشره على عمل اليدين وتترك ذاك(٦)٠ لكن كمل قانون المطانيات مع العمل لأن آباءنا الروحانيين يحسبون عمل اليـــدين الذى يعمله الأخ بمخافة اللـــه فى القلاية كمثل أحـــد الفضائل بحيث لا يقتشره عليها تلك التى هى أم جميع الشرور ٠

واباؤنا الروحانيون جعلوا عمل اليدين مثل قانون محدود وحسبوه كاحد الفضائل لسببين :

الأول :

لأنه يخفف عن الأخ الثقل (الضجر والملل) اذا جاء عليه مثلما حدث لنطوبانى انطونيوس فى البرية ٠٠

الثـانى :

من عمل يديه يعد قوته ويعطى أيضا منـــه صدقة لآخرين لئلا يجد مجالا للخروج من قلايته من أجل العوز فيسبب له ذلك افتقاد الدائم مع العلمانيين فيحرم من الجلوس فى هدوء القلاية فيكون من ذلك سقطة ليس لهـــا قيـــام ٠٠

+ من الساعة التاسعة الى المساء فليهتم الراهب بقوته كما قال اباؤنا الروحانيون بذكر اللـــه من كل القلب مع قانون المطانيات ٠

---

(٦) يقول الرسول بولس : « وليتعلم من لنا أيضا ان يمارسوا اعمالا حسنة للحاجات الضرورية حتى لا يكونوا بلا ثمر (تى ٣ : ١٤) » ٠

+ اذا بلغ المساء فقم باهتمام قلب ويقظة افكار تامة وارفع الشكر للـه على حسن اتمامه لك طول النهار . وليكن لك تحفظ بافكارك فى هذه الساعة اكثر من كل الساعات الأخرى لأن محرقة المساء التامة كانت مقبولة عند اللـه اكثر من كل ذبائح الناموس . كما أن داود النوبانى قال : رفع يدى ليقبل امامك مثل ذبيحة مسائيه .

+ اذا خدمت خدمة المساء مثل العادة فضع المائدة امام الصليب وارفع الشكر للـه وليأخذ جسدك قوتا محسوسا ولتتقوت نفسك قوتا روحانيا . وانظر لئلا تمنع نفسك من قوت الروح بسبب القوت المحسوس . وليكن قوتك متضعا غير مصنوع باطعمة كثيرة . ولا تعطى جسدك قوتا زائدا بسبب اعداء الليل .

+ اذا أخذت القوت مثل العادة فكمل القانون الذى بعد المائدة مثلما وضع الأباء القديسون .

+ جز الليل كله بسهر ويقظة الجسد والنفس ولتقسمه ثلاثة أجزاء : واحد للمزامير والسجود — والثانى : للقراءة .

الثالث : للتسبيحات الشجية الحلوة الموضوعة بالروح القدس لتكون لك تعزية طول الليل .

فالراهب الذى يسهر من العشاء الى الصباح بيقظة الضمير يشبه ملائكة النور الذين يقدسون دائما بسر التقديس المثلث الذى للعالم الجديد . .

انظر أيها الأخ الحمال لا تبطل من تلك التسبيح صلوات الموضوعة بواسطة ابائنا القديسين من أجل حفظ حياتنا الا بسبب المرض لئلا تسلم لأيدى الشياطين لأن ملازمة جلوس القلاية يتطلب منك اكمال تلك الساعات . لأن من يتهاون بخدمة الساعات فباطل جلوسه فى القلاية . .

+ ويقول القديس نيلس السيناوى :

قسم النهار قليل عمل يد . قليل صلاة . قليل درس . وعقلك يهدر ويتأمل كما يقول فى نصيحة أخرى : ليكن لك عدو بمعرفة . قليل عمل .

وقليل صلاة وقليل قراءة مع الصوم الى المساء كل يوم . وخدم النهار والليل بخوف الله (٧) .

+ ويقول القديس اشعياء الاسقيطى فى نصائحه للمبتدئين (٨) :

الزم نفسك بأن تصلى فى الليل صلوات كثيرة لأن الصلاة هى ضوء النفس وفى نصيحة مماثلة يقول : « قبل أن تنام اسهر ساعتين مصليا ومزمرا (٩) .

+ لا تتوان فى صلوات الساعات لئلا تقع فى أيدى أعدائك اجهد نفسك فى تلاوة المزامير فان ذلك يحفظك من خطية الدنس .

+ ادرس فى مزاميرك وصل لله بفكرك .

+ كل مرة واحدة فى النهار واعط جسدك حاجته بقدر . كذلك سهرك يكون بقدر . اسهر نصف الليل فى الصلاة والنصف الآخر لراحة جسدك ، واصنع قانونك بحرص واجتهاد .

+ اذا كنت ساكنا فى قلاية فاجعل لطعامك مقدارا معينا ووقتا معروفا لا تتعداه لأن خراب النفس هو حب البطن .

+ اذا قمت باكر كل يوم فقبل أن تقوم بأى عمل اقرأ كلام الله وبعد ذلك ان كان لك عمل فى القلاية فاعمله بهمة ونشاط . واذا جلست فى قلايتك فاهتم بهذه الثلاثة امور :

١ - ابدا عمل يديك .
٢ - ادرس مزاميرك وصلواتك .
٣ - فكر فى نفسك انه ليس لك شىء فى هذه الدنيا سوى اليوم الذى أنت فيه . بذلك لن تخطىء .

يقول مؤلف كتاب « دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية ص ١٥٣ حرص الرهبان على أن يكملوا الصلوات السبع . اما الصلوات الليلية فشملت صلاة الغروب والنوم ونصف الليل وباكر .

---

(٧) بستان الرهبان - طبعة مطرانية بنى سويف - ص ١٣٦ ، ١٣٧
(٨) المرجع السابق من ص ١٤٣ - ١٥٦ .
(٩) يقول مار اسحق : الليل مفروز لعمل الصلاة .

وادى الرهبان صلاة الغروب وقت مغرب الشمس كما ادوا صلاة النوم قبل أن يركنوا الى فترة قليلة من الغلس فى النصف الأول من الليل حتى اذا ما انتصف الليل استيقظ من نام من الرهبان لتادية صلاة نصف الليل فكانت صلاة الليل لها اهمية خاصه لاستنادها على قول داود النبى « فى نصف الليل اقوم لاشكرك على احكام برك (مز ١١٩) ومن قصر فيها اعتبر مقصرا فى شكر الله وحمده .

+ عند الفجر يصلى الراهب صلاة باكر . وحرم على الرهبان النوم بعد صلاة باكر (كانت تقضى مدة ثلاث ساعات تقريبا فى قراءة الكتاب المقدس والتامل) .

- الصلوات النهارية : اولها صلاة الساعة الثالثة وقام بها الراهب بعد مرور ثلاث ساعات من النهار (٩ صباحا) وفيها يتامل الراهب فى كيفية تالم المسيح ومحاكمته قبل صدور حكم بيلاطس عليه بالموت فى هذه الساعة .

+ صلاة الساعة السادسة وكان يؤديها الراهب فى منتصف النهار باعتبار أن هذه الساعة صلب فيها المسيح وشرب كاس الخل وتالم لمرارته .

+ يختم الراهب صلواته النهارية فى الساعة التاسعة (٣ بعد الظهر) لأن فى هذه الساعه أسلم المسيح روحه ومات على الصليب من أجل خلاص جنسنا .

ويقول مؤلف كتاب « الرهبنة القبطية فى عصر القديس انبا مقار ص ٣٦٢ : « اليوم عند الآباء الرهبان كان يبدأ من بعد نصف الليل مباشرة ، وهو بخدمة تسبيح صلاة نصف الليل » ..

فاذا انتهت تسبحة نصف الليل وهى يتحتم أن تنتهى قبل ظهور ضياء الفجر فان الراهب لا يعود الى النوم بل يتبع الصلاة بالهذيذ فى الكتاب المقدس حتى يبزغ نور الفجر (حسب قول المرنم) « سبقت عيناى وقت السحر لأهج فى اقوالك وذلك تتميما لوصية الأنبا انطونيوس الأولى والعظمى ، أن تصلى دائما وترنم بالمزامير قبل النوم وبعد اليقظة من النوم وأن تهز فى قلبك مقولات الأسفار المقدسة ، فاذا اشرق نور النهار

يهب الراهب نشيطا ليبدأ عملا من أعماله اليدوية (وهكذا بواسطة ترديد مزمور أو فصل من الكتاب المقدس فى هذه الساعة يمنع الفرصة عن الأفكار الشريرة ، اما العمل اليدوى فكان دائما داخل القلاية ، ويقوم به الراهب بلا انقطاع (طول السنة) مع التهذيذ بالمزامير وقطع من الكتاب المقدس بصفة مستمرة اثناء العمل .

فكان الآباء يضعون امامهم القراية وعليها الكتاب المقدس او كتاب المزامير وكانت عيونهم طول الوقت لا تكف عن القراءة اثناء عمل الأصابع (لأن صناعة المخاصف سهلة ولا تحتاج كثيرا من الانتباه) . فكانوا بهذه الطريقة يحفظون كميات هائلة من الأسفار المقدسة بدون اى جهد .

الاستراحة من عمل اليدين :

المعروف عند الآباء الرهبان أن شغل اليد ينتهى ظهرا اى بحلول الساعة السادسة (١٢ ظهرا) فنقرأ فى سيرة ارسانيوس ، وكان من عادة ارسانيوس أن يستمر فى الصغيرة وخياطتها حتى الساعة السادسة من كل يوم ، بعد ذلك يترك للراهب أن يأخذ لنفسه راحة تتناسب مع طبيعته .

وجبة الغذاء وفترة الصوم الانقطاعى اليومى :

وقد أجمع الآباء جميعا على تحديد موعد الوجبة الأولى والوحيدة التى يصرح للراهب أن ياكلها كل ٢٤ ساعة ان تكون فى الساعة التاسعة من النهار (الساعة ٣ بعد الظهر) وكان هذا التحديد نتيجة خبرة عملية انتهى اليها جميع الآباء النساك العمالين بالروح . لذلك لم يكن يسمح للراهب العادى أن يتجاوزها فى التبكير او التأخير .

صلاة الساعة التاسعة :

يقرر بالليديوس أن فى الساعة التاسعة كانت تسمع الأبصلمودية بوضوح من كل القلالى تتردد اصداؤها فى الجبل كله ، ويؤكد كاسيان هذه الحقيقة . اذن فصلاة الساعة التاسعة كان يسبح بها الرهبان قبل ميعاد الافطار .

النـــوم :

بعد صلاة الغروب يخلو الراهب الى النوم وينـام الراهب العادى من الغروب مباشرة حتى ميعاد صلاة الليل ، فيقوم للخدمة داخل قلايته

وعن اهمية القلاية للراهب يقـول مؤلف كتـاب « أصـول الحيـاة الروحية ص ١٠٩ :

+ القلاية حسب تحـديد الآباء هى بمثـابة آتون الثـلاثة فتيـة حيث كانوا وهم فى وسط النار يحدثون اللـه ويرتلون (ويتمتعون بحضـوره فى وسطهم) ، فى وسط النار ينـديهم نسيم النعمة ، نار الجهاد ونـدى الروح .

(سميت قلاية لأنها تقلى الراهب اى تحمصه وتزيل مافيه من طراوة ورخـــاوة) .

+ ليست القلاية موضع استرخائنا بل هى موضـع آلامنـا وافراحنا وصراخنا الى الله ، هى موضع حضور اللـه عندنا وزياراته الينا ، لأن اللـه هكذا يسلك معنا .

+ القلاية هى علامة الحياة النسكية والزهد واعتزال العـالم . علامة الصعود الدائم نحو اللـه (لأنه مكتوب عن الرب يسوع انه « انفرد عنهم وأصـعد الى السـماء (لو ٢٤ : ٥١) فالانفراد عن الناس يؤهلنا الى الصعود الى السماء والتدرج فى سلم الفضائل .

+ سركيان الراهب ليس منظورا ظاهرا بل كائن داخل قلبه وقلايته ، وهدفه دائما هو « انسان القلب الخفى فى النفس العديمة الفسـاد زينة الروح الوديع الهادىء الذى هـو قدام اللـه كثير الثمن (ابط ٣ : ٤) حسب قول المرنم « كل مجد ابنة الملك من داخل . مشتملة باطـراف موشـــاة بالذهب مزينـــة باشـــكال كثيرة (مز ٤٥ : ١٣ ، ١٤) .

+ الدير دير (والقـلاية قلاية) اذا كـان الراهب يعيش فيها كراهب وليس كأى امرىء فى اى بيت .

+ حياة القلاية وحياة الشركة (المجمع) عما مثل جناحين اذا حركهما الراهب بتوافق واستخدمهما معا رفعاه سريعا الى قمم القداسة . وحسب قول أحد الآباء المعاصرين : القلاية تغذى المجمع والمجمع يغذى القلاية .

+ القلاية هى خير معلم للتدبير الرهبانى السليم ، فقد جاء اخ الى الأنبا موسى الأسود وطلب منه كلمة منفعة فقال له الشيخ « امض واجلس فى قلايتك وسوف تعلمك هى كل شىء (١٠) .

واخ آخر نصحه الأنبا ارسانيوس بنفس النصيحة فاطاع ، ولما استمر ثلاثة أيام كما أمره الشيخ ضجر فأخذ قليلا من الخوص وشققه وبدأ يضفر ولما جاء فكر لفكره : « لنفرغ من هذا الخوص القليل ثم ناكل » فلما فرغ من الخوص قال : لنقرأ فى الانجيل ثم بعد ذلك ناكل ، فلما قرأ قال : لأصلى مزاميرى ثم بعد ذلك آكل بلا هم .

وهكذا قليلا قليلا بمعونة الله كان يعمل حتى رجع الى سيرته الأولى واخذ سلطانا على الأفكار وكان يغلبها (١١) ..

وبعد كل ما تقدم بما فيه من اختلافات بين تدابير بعض الآباء وبعضهم ، أستطيع أن أضع تصورى الخاص عن كيفية قضاء الراهب يومه فى قلايته فى عصور الرهبنة الأولى فأقول :

+ كان اليوم يبدأ عند الآباء الرهبان من بعد نصف الليل مباشرة أما تحديد الساعة بالضبط فهى متغيرة فى الصيف عنها فى الشتاء ، ويحددها كاسيان عموما بصياح الديك الأول (حوالى الساعة ١٢) وهكذا يهب الرهبان من نومهم فى هذا الوقت من الليل وكان لسان حالهم يردد مع الرسول « لسنا من ليل ولا من ظلمة . فلا ننم اذن كالباقين بل لنسهر ونصح (أتس ٥ : ٥ ، ٦) » .

وكان الرسول ينفذ قوله هذا عمليا ، فبينما كان مسجونا مع زميله فى الخدمة الرسولية سيلا انرسول فى سجن فيلبى وقد لقاهما السجان فى السجن الداخلى وضبط ارجلهما فى المقطرة ، نحو نصف الليل كان

---

(١٠) بستان الرهبان ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ٤١٣ .

(١١) بستان الرهبان ـ طبعة مطرانية بنى سويف ـ ص ٤١٢ .

بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما (اع ١٦ : ٢٥) . وكان من نتيجة هذه الصلاة القوية ان « حدثت بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت اساسات السجن فانفتحت فى الحال الابواب كلها وانفكت قيود الجميع (أع ١٦ : ٢٦) .

+ يبدأ الراهب يومه بصلاة نصف الليل حسب قول المرنم « فى نصف الليل اقوم لاشكرك على أحكام برك (مز ١١٩ : ٦٢) .

+ يتبعها بصلاة السحر التى سميت بعد ذلك بصلاة باكر بحيث ينتهى من صلاة باكر حوالى الساعة ٦ صباحا .

+ بعد ذلك يعمل قانون مطانياته بانسحاق وتذلل .

+ يقرأ فى الكتاب المقدس قانونه اليومى من العهدين العتيق والحديث بانتباه وتأمل وكان يخصص يوم الأحد للقراءة فى العهد الجديد فقط .

+ بعد ذلك يبدأ فى عمل داخل القلاية ويستمر فيه حتى الساعة السادسة (١٢ ظهرا) .

وللرسول بولس وصية هامة فى هذا المجال فيقول : « أن تحرصوا أن تكونوا هادئين وتمارسوا اموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم كما اوصيناكم لكى تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج ولا تكون لكم حاجة الى أحد . (اتس ٤ : ١١ ، ١٢) .

+ خلال هذا الوقت يحين موعد صلاتى الثالثة والسادسة . فيمكن للراهب أن يصليها اثناء عمله اذ أن العمل بسيط وسهل ولا يحتاج لتركيز ذهنى كبير يمنع الراهب من الصلاة اثناء العمل .

اما اذا فضل الراهب أن يصلى هاتين الساعتين واقفا ومتفرغا للصلاة فيترك عمله حين يحين موعد الصلاة ليقف ويصلى حسبما علم الملاك الأنبا انطونيوس « فقد رأى الأنبا انطونيوس الملاك جالسا يضفر ثم توقف عن العمل وقام ليصلى وبعد ذلك جلس يضفر الخوص ثم قام مرة ثانية ليصلى ثم جلس ليشتغل فى الخوص وهكذا ، وسمع صوتا يقول له : « افعل هكذا فتستريح (١٢) .

---

(١٢) بستان الرهبان - طبعة دار النسخ والتحرير ص ٦ .

+ أما اثناء العمل فيستطيع الراهب أن يردد صلوات قصيرة سهمية مثل صلاة يسوع او أى صلاة اخرى وفى ذلك ينصح القديس انطونيوس قائلا « ان جلست فى خزانتك قم بعمل يديك ولا تخل اسم الرب يسوع بل امسكه بعقلك ورتل بلسانك وفى قلبك وقل : يا ربى يسوع المسيح ارحمنى .. يا ربى يسوع المسيح اعنى .. اسبحك يا ربى يسوع المسيح » (١٣) .

+ ينتهى العمل اليدوى فى الظهيرة حوالى الساعة ١٢ وبعد ذلك مسموح للراهب أن يأخذ فترة راحة تتناسب مع طبيعته ، وقد ينام قليلا أثناء حر القيلولة بعد التعب المضنى فى الصلاة والقراءة وعمل اليد ما يقرب من ١٢ ساعة متواصلة .

ويورد لنا بستان الرهبان القصة التالية عن القديس العظيم يوحنا القصير : « أتى الى قلايته أحد الشيوخ فوجده نائما فى حر النهار وملاكا واقفا عنده يروح عليه ، فانعزل عنه منصرفا ، فلما استيقظ قال لتلميذه : أتى الى هنا انسان وأنا نائم ؟ !

فقال له نعم . فلان الشيخ ، فعلم حينئذ ان ذلك الشيخ معادل له وأنه أبصر الملاك (١٤) .

+ بعد الراحة القليلة يقوم الراهب ليجهز طعامه ان كان محتاجا الى تجهيز .

+ بعد ذلك يصلى صلاة الساعة التاسعة التى تنتهى فى تمام الساعه التاسعة (أى ٣ بعد الظهر) ويقرر بلاديوس أن فى الساعة التاسعة كانت تسمع الأبصلمودية بوضوح من كل القلالى تتردد اصداؤها فى الجبل كله .

+ بعد ذلك أى عند حلول الساعة التاسعة (٣ بعد الظهر) يضع الراهب طعامه أمامه ويصلى صلاة الشكر الخاصة بالمائدة ثم يأكل بنسك وشكر .

---

(١٣) بستان الرهبان - طبعة دار النسخ والتحرير ص ١٠
(١٤) بستان الرهبان - طبعة مطرانية بنى سويف - ص ٧٦ .

+ بعد ذلك يبدأ يقرأ فى الكتب الروحية أو كتب سير الآباء وأقوالهم مسموح ايضا فى هذه الفترة ان يزور الراهب معلمه اذا كان فى حاجة شديدة وملحة اليه طلبا لكلمة منفعة أو اذا تعرض لحرب فكرى عنيف أو اى سبب قوى آخر ٠

+ عند الغروب أى حوالى الساعة الخامسة يصلى الراهب صلاتى الغروب والنوم معا ويستمر فيهما وقتا طويلا حتى ميعاد النوم ٠

+ مسموح للراهب أن ينام النصف الأول من الليل أى حوالى ٦ ساعات متصلة حتى ميعاد صلاة نصف الليل فيقوم ليبدأ بقية اليوم الجديد فى مرضاة الله وخوفه ٠٠ وهكذا ٠

أما فى زماننا هذا فلا يوجد قانون رهبانى ملزم واضح يلتزم كل الرهبان بالسير بمقتضاه فى تدبير حياتهم وقضاء يومهم داخل الثلاية ،

والذى يحدث الآن فعلا هو أن يتدرب كل راهب فى قضاء يومه وممارسته الروحية بالاتفاق مع أب اعترافه وفقا لظروفه الخاصة مثل العمل الذى يقوم به فى الدير وظروفه الصحية والنفسية ونحاول هنا بقدر الامكان أن نصف يوما كاملا لراهب داخل الدير ملتزم بعمل الجمع وصلواته وكل ممارساته ٠

+ يقوم الراهب من نومه فى حوالى الساعة الرابعة صباحا على دقات جرس نصف الليل فيذهب الى الكنيسة حيث يصلى مع أخوته الرهبان صلاة نصف الليل بخدماتها الثلاث ، ثم يشترك بعد ذلك فى التسبحة التى تعقب مزامير نصف الليل وتنتهى التسبحة عادة فى حوالى الخامسة والنصف صباحا تقريبا اذا كان يعقبها قداس فتنتهى عادة فى الساعة السادسة والنصف حيث يصلى بعدها صلوات باكر والثالثة والسادسة فى أيام الافطار وتزاد التاسعة فى أيام الأصوام ٠

+ بعد انتهاء التسبحة اذا كان على الراهب دور صلاة القداس سواء أكان كاهنا أو شماسا او يريد أن يتناول فى ذلك اليوم من الأسرار المقدسة يبقى فى الكنيسة حتى انتهاء خدمة القداس والتناول من الأسرار المقدسة ، وينتهى القداس عادة ما بين الثامنة والتاسعة صباحا ٠

+ أما اذا كان دور الخدمة ليس على الراهب ولا رغب هو فى حضور القداس للصلاة والتناول ، فى هذه الحالة يرجع الى قلايته بعد انتهاء التسبحة ليصلى قوانينه الخاصة ، فيصلى صلاة باكر والثالثة والسادسة ، ويجتهد دائما وبصفة عامة أن تكون صلواته متقدمة عن ميعادها ولو قليلا حسب نصيحة مار اسحق القائلة ، كن متقدما على الدوام فى صلواتك قبل وقتها لكى تكون خفيفة عليك ، لانه ليس لك عمل آخر ضرورى لتفعله أفضل من الصلاة .

+ يعمل مطانياته فى جو الصباح الباكر الخاشع .

+ يقرأ فى الكتاب المقدس قانونه اليومى من القراءة فى العهدين القديم والجديد ، مع التأمل ومحاولة كتابة أو حفظ بعض الآيات المختارة للهذيذ فيها كلما أمكن ذلك .

+ ينتهى الراهب من تناول هذه الوجبة الروحية الدسمة المركزة فى حوالى الخامسة مثلا حيث يكون القداس قد انتهى ، وبدأت الأعمال فى الدير ، حيث أن الأعمال لا تبدأ فى الدير عادة الا بعد انتهاء القداس يوميا .

+ الراهب الذى حضر القداس وتناول من الأسرار المقدسة يرجع بعد انتهاء القداس الى القلاية حيث يصلى صلاة شكر قصيرة بعد التناول ، يحاول أن يتلامس فيها مع الضيف الالهى الذى حل فى هيكله ويرحب به طالبا منه أن يجعل التناول من جسده ودمه الأقدسين لا للدينونة ولا للوقوع فى دينونة لكن لنوال المجد وطهارة النفس والجسد والروح وللاتحاد به والثبات فيه .

+ بعد ذلك يغير ملابسه فيلبس الملابس الخاصة بالعمل وينزل الى محل عمله .

+ الراهب الذى قضى فترة الصباح فى القلاية ، ينزل أيضا فى مثل هذا الوقت لتأدية عمله المنوط به فى الدير ، وأحيانا يحتاج الراهب لفترة راحة قصيرة اذا أحس بالتعب والارهاق بسبب قيامه المبكر جدا عن النوم فيستريح قليلا ثم يقوم ليكمل قوانينه فيتأخر قليلا فى الانتهاء منها والنزول الى عمله ، مع العلم بأن هذه الراحة تغنيه عن راحة أو نوم فترة الظهيرة .

+ الأعمال التقليدية فى الدير تكون غالبا ، الكنيسة ، المكتبة ، المخازن (النجو) ، المضيفة (المجمع) المخبز - معمل الألبان ان وجد ، الباب ، الحديقة ، الزريبتيه (امانة الدير) ، ولا يعمل الرهبان الآن اعمالا تدر عليهم دخلا او ربحا لأن الدير يتكفل بكل احتياجاتهم من اكل وملابس وعلاج ومصاريف اخرى وذلك من دخل أوقاف الدير المختلفـــة .

+ يوضع الرهبـان المبتدئون عادة فى الأعمال المتعبـة نوعا أو التى تستغرق وقتا طويلا ، لأن الراهب المبتدئ لا يكون عادة قد تمرن على الوجود فى القلاية وقتا طويلا ، بينما تعطى الأعمال الأقل مشقة للرهبان الأقدم منهم قليلا بينما يعفى الرهبان القدامى والشيوخ من الأعمال نهائيا .

- بعض هذه الأعمال يستغرق ساعة وبعضها يستغرق معظم النهار للاحظتها والاشراف عليها .

+ اثناء العمل يجب على الراهب ان يتلو المزامير والصلوات حسب نصيحة الآباء القائلة « ان عملت بيدك فليكن اللسان مزمرا والعقل مصليا لأن اللـه يحب ان تذكره دائما » (١٥) ولأن المزامير والصلاة تحفظ العقل من الطياشة فى الأفكار العالمية أو الأفكار الشريرة .

+ لذلك يلزم الراهب الذى يساعده عمله على التـلاوة اثنـاء العمل ان يتلو ساعتين من سواعيه أثناء العمل ولتكن السادسة والتاسعة مثلا لأن احيانا لا يستطيع أن يصلى الساعة السادسة فى الصباح اما لضيق الوقت أو التعب أو لانشغاله فى حضور القداس ، فيلزم ان يصليها اثناء العمل .

أما ان كان عمله لا يساعده على التركيز فى الصـلاه فيستطيع ان يردد صلاة قصيرة سهمية مثل صلاة « يا ربى يسوع المسيح ارحمنى أنا الخاطئ » أو صلاة « اللهم التفت الى معونتى يا رب أسرع وأعنى » .

+ فى ميعاد الأكل المحدد بمعرفة أبيه الروحى يهيء مائدته ليأكل طعامه بعد صلاة المائدة المعتادة .

---

(١٥) بستان الرهبان - ص ١٣٨ .

+ بعد الاكل يستريح قليلا او ينام بعض الوقت لراحة جسده وعقله حتى تتجدد قواه الجسدية والعقلية ، أما ان كان قد نام فى فترة الصباح فلا داعى هنا للنوم ثانية ٠

+ يقوم من النوم ليصلى صلاة الساعه التاسعة والغروب والشوم قبل صلاة الجمع وذلك حسب نصيحة الأنبا انطونيوس القائلة « صل دائما صلاة فى قلايتك قبل صلاتك مع الأخوة » ٠

+ بعد ذلك يقرأ فى اى كتاب روحى أو رهبانى مثل كتب سير الآباء واقوالهم حتى يدق جرس صلاة الغروب فيذهب ليصلى مع مجمع الرهبان ، وتكون صلاة الغروب دائما فى الساعة الرابعة او الخامسة مساء ٠

+ فرصة القراءة والاطلاع اثناء النهار تتوفر فى الصيف فقط أما فى الشتاء حيث يكون النهار قصيرا والليل طويلا جدا تكون القراءة والاطلاع وكتابة التأملات واحيانا تجهيز حاجيات القلاية من تنظيف وغسيل وغيره فى فترة الليل ٠

+ بعد انتهاء صلاة الغروب بالمجمع تبدأ فترة نستطيع أن نسميها جولة حرة ، فيمكنه أن يزور اى راهب خصوصا اذا كان ذلك الراهب لم يحضر صلاة الغروب حتى يطمئن عليه ، أو يزور راهب مريض أو يخرج الى الجبل للتمشية والترويح عن النفس والتأمل ويمكنه ان يصلى اثناء مشيه فى الجبل صلاة الستار وجزءا من صلاة نصف الليل أو كلها ان امكن ٠

+ يمكنه مثلا أن يستلم دروس الحان او تسبحة او يتعلم لغة قبطية أو غير ذلك ٠

+ يستطيع أن يزور أحد الآباء الكبار طلبا لكلمة او تعزية او غير ذلك ٠

+ بعد انتهاء جولته السابقة فى زيارة بعض الآباء او فى خلوته داخل الجبل يرجع الى قلايته فيتناول طعام العشاء ويكمل بقية صلواته الى آخر صلاة نصف الليل بخدماتها الثلاث ، أما فى ليل الشتاء الطويل فيمكنه بعد ذلك الاطلاع والقراءة وغير ذلك ٠

+ يأوى الى فراشه فى حدود الساعة العاشرة مساء لينام حوالى ٦ ساعات يقوم بعدها فى الساعة الرابعة صباحا على دقات جرس نصف الليل ٠

+ اذا لم يستطع أن يصلى صلاة نصف الليل قبل النوم يمكنه ان يستيقظ قبل جرس نصف الليل بساعة مثلا وذلك بواسطة منبه أو غيره (١٦) حتى يصلى صلاة نصف الليل ذات القيمة العظمى والأهمية الكبرى عند الرهبان جميعهم ٠

+ فى الأديرة التى تكون فيها نهضات معمارية ضخمة تختلف كيفية قضاء الراهب يومه قليلا نتيجة انشغاله بالاشراف على العمال ونظام سير العمل ٠ ولكن المهم انه يجب أن يكمل قوانين صلواته ومطانياته وقراءاته للكتاب المقدس على اكمل وجه ٠

ونقول أن فترات التعمير الضخمة فى الأديرة ليست دائمة وانما فى فترات بسيطة ثم يعود الرهبان الى سكونهم واعمالهم التقليدية وممارساتهم الروحية العادية بعد انتهاء فترات التعمير ٠

+ هذا عن راهب المجمع بينما يوجد فى كل دير آباء رهبان كبار قدامى فى الرهبنة يكونون حبساء أو متوحدين فى قلالى منفردة خارج الدير أو فى مغائر بعيدة نوعا عن الدير ، هؤلاء لهم طقسهم العابى الخاص الذى لا نستطيع أن نصفه لأننا لم نختبره أو نسير فيه ٠

+ ليت الرب يعطينا نعمة وحكمة فى تدبير حياتنا واستثمار اوقاتنا لكى نسلك كما يحق للرب فى كل رضى مثمرين فى كل عمل صالح ونامين فى معرفة الله ، متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول اناة بفرح (١ : ١٠ ، ١١) ٠

---

(١٦) بعض الأديرة تدق الجرس مرتين عند نصف الليل ، جرس يدق الساعة ٣ صباحا ليقوم الرهبان ليؤدى كل واحد قانونه فى قلايته ثم يدق الجرس ثانية حوالى الساعة ٤ لينزل كل الرهبان الى الكنيسة للاشتراك فى صلاة نصف الليل والتسبحة ٠

ان الوقت وزنة قد اعطيت لنا لنستثمرها ونربح والا كانت سبب دينونة لنا . لقد صدق القائل : « ان الوقت كالسيف ان لم تقطعه يقطعك .

+ اننا نطلب من الله كل يوم فى تحليل صلاة باكر ان يعطينا التدبير الحسن والسلوك الصحيح حتى لا نقع فى العثرات التى تكون دائما من التدبير الردىء والسلوك السيء فنقول : « اجعلنا يا سيدنا ان نكون بنى النور وبنى النهار لكى نجوز هذا اليوم ببر وطهارة . وتدبير حسن ، لكى نكمل بقية أيام حياتنا بلا عثرة » ..

وفى التحليل الآخر نقول : « هب لنا فى هذا اليوم الحاضر أن نرضيك فيه وأحرسنا من كل شيء ردىء ومن كل خطية ومن كل قوة مضادة بالمسيح يسوع ربنا هذا الذى انت مبارك معه مع الروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل أوان والى دهر الدهور . آمين .

الفصل التاسع

حياة الوحدة في الرهبنة

الوحدة هي درجة عالية في الرهبنة يصل اليها الراهب بعد أن يكون قد مر بفترة المجمع واختبر حروبه واكتسب فضائله .

« والمتوحد هو الراهب الكامل الذي وصل الى درجة الرهبنة الكاملة بمعناها الدقيق اذ أن الكلمة القبطية اليونانية « مرناخوس » الذي يترجمونها عادة بالكلمة العربية « راهب » هي في الواقع تفيد حرفيا كلمة « متوحد » ، مما يدل على أن هدف الرهبانية الحقيقي هو التوحد المطلق .

والمتوحد هو طراز من الرهبان صار يحب الوحدة والعزلة التامة عن الناس وحتى عن اخوته الرهبان ، ويسمى أحيانا « الراهب المحبوس » لأنه يحبس نفسه في قلايته عن حب ورغبة صادقة عارمة في الوحدة والانفراد والاختلاء التام بالله أياما قد تصل الى أسبوع أو أكثر ، وقد يترك الدير باذن من مرشده الى مغارة في الجبل ليمارس فيها حياة الوحدة، ويعود الى الدير في فترات متباعدة ، ويزداد شيئا فشيئا في نسكه وتقشفه واكتفائه بأقل القليل من الطعام والشراب والنوم ، كما ينمو في حياة السكون والصلاة بلا انقطاع ، وتزداد نفسه وقلبه صفاء ونقاء (١) .

يقول مار اسحق عن المتوحد « يبعد الانسان ذاته ويحدد لنفسه قانونا انه في مدة الأسبوع لا يخرج بالكلية من قلايته ، وبعد ذلك يخرج الى سكون اعلى الذي هو كل الأيام ، وان اراد واستطاع أن يكمل حياته بالسكون الكلي والانقطاع الدائم فحسنا يفعل .

ويقول مار اسحق أيضا « يحتاج الذي يجلس في الوحدة والحبس والسكون الى هذه الأشياء الثلاثة : الى الغرض المستقيم والى تكميل خدمة الأوقات والى المرشد .

---

(١) كتاب « انتخاب البطريرك » لنيافة الأنبا غريغوريوس ـ ص ١٩ .

القصد المستقيم مهم لأن بدونه جميع عمل الفضيلة باطل وليس له مكافأة . والقصد المستقيم هو انه من أجل الله ومن اجل محبته يسكن المتوحد في الهدوء والحبس ولا ينتظر بفكره ان يأخذ اجر أعماله شيئا من هذا العالم ، لا نياحا جسديا ولا ربحا بشريا ولا رياسة ولا تجبيرا ولا مدحا ولا مجدا أو لا كرامة ، بل يكون كل قصده أن يؤهل لحب ربنا الكامل ولنظره بالروح » (٢) .

ثمار الوحدة والسكون

« المتنسك الذي يتغصب ويصبر مدة في السكون والوحدة بالاحتفاء عن الوجوه تبطل عنه العوائد والتدابير الأولى والتخيلات التي هي رباطات النفس .

هي مدة من الزمان تمحى من القلب الصور والرسوم والتذكارات الغريبة التي هي خارجة عن سيرة السكون وتتصطبغ النفس بالفضائل الكبار التي هي السلام والاتضاع والهدوء والمحبة والوداعة والفرح والعزاء الروحي ، وهذه الفضائل ترسم في النفس الصلاة الروحانية ، ومن موافقة هذه الفضائل يؤهل المتوحد بالرحمة الالهية الى اتحاد العقل بالله (٣) .

شروط السكون والوحدة

١ - الصوم والهذيذ :

الصوم ينقي العقل ويلطف الجسم ويجعل الانسان قادرا على الصلاة الدائمة والهذيذ بلا انقطاع ، ويقول مار اسحق « السكون هو مبرد الآلام الوحشية ومميت التذكارات الباطلة ومجدد العقل العمال اذا ما عرن به هذان الأمران وهما الصوم وهذيذ العقل على الدوام باسرار العالم الجديد وربط الضمير بلا انقطاع بذكر الله » .

---

(٢) مذكرة « فلسفة السكون كما يشرحها مار اسحق اسقف نينوى لقداسة البابا شنوده الثالث - ص ٥ .

(٣) مذكرة فلسفة السكون كما يشرحها مار اسحق اسقف نينوى لقداسة البابا شنوده الثالث - ص ٥ .

٢ - جمع العقل :

جمع العقل عن الأمور الخارجة عن تدبير المتوحد واهتمامه بحياته الخاصة مهم جدا فى الوحدة ، ويقول مار اسحق ، كذلك ايضا نجمع عقلنا من الاهتمامات الجسدانية ومن ملامة الغريب والحقد عليه ، وعلى الدوام نسهره على الصليب ونحرص الا ينحل من هناك ، ونضبط حواسنا من الطموح فى الأفعال التى تطيش العقل وتشتته لكى نتمكن من جمع فكرنا بداخل قلبنا بذكر ربنا ونظر مجده » .

٣ - غلق الأبواب الثلاثة :

يقول مار اسحق « ثلاثة ابواب مفتوحة اذا ما اغتنمها وكانت تحت سلطاننا نجد داخلها المسيح الملك : باب القلاية وباب الحواس وباب القلب الجوانى ، يحفظ حقانى (٤) .

كيف يحفظ السكون

يحفظ السكون بالبعد عن الخلطة وبالصمت والتجرد وحفظ الحواس وجمع العقل ، وهذا يستلزم الحبس فى القلاية والمسكن البعيد المنفرد ، وفى الواقع ان كل هذه الوسائط مرتبطة بعضها ببعض كأنها سلسلة واحدة .

لأنه لا يمكن أن يحفظ السكون بدون جمع العقل من طياشة الأفكار ومن كثرة الاهتمامات ليتركز فى الله وحده ، ولا يمكن جمع العقل بدون حفظ الحواس لأن الحواس لطائشة تجلب له مناظر وسماعات وأفكارا وحروبا واهتمامات كثيرة ، ولا يمكن أن يحفظ الانسان حواسه ان كان جسده طائشا من مكان الى آخر فلا بد له اذن من الحبس فى القلاية ، ويشترط للحصول على الخفعة من حبسه البعد عن الاختلاط بالآخرين ، لأنه حسبما يختلط الجسد يختلط الفكر ويتشتت من عمله الالهى (٥) .

---

(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق - ص ١٨ .

● **أمثلة للوحـــدة والسكون :**

من حيـــاة القديسين

١ - القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب الرهبان :

يقول قداسة البابا شنوده الثالث « لا نستطيع أن نتأمل فى حيـاة الأنبا انطونيوس دون أن نتذكر حياة الوحدة والسكون التى عاشها وثمار هذه الوحدة فى حياته وفى تعاليمه .

لقد ذكر عنه القديس اثناسيوس الرسولى انه قضى ثلاثين سنة فى وحدة كاملة لا يرى فيها وجه انسان .

فى هذه الوحدة اختبر ثمار السكون وأمكنه ان يفرغ ذهنه من تذكارات العالم واخباره وشفاعاته لكى يملأ هذا الذهن بالله وحده فلا يفكر الا فيه » (٦) .

وقد انعكست حياته فى الوحدة والسكون على نظامه الرهبانى وفى تعاليمه لتلاميذه فى رسائله ونصائحه .

٢ - القديس الأنبا مكاريوس الكبير :

حفر سردابا فى قلايته ووضع فيها مخبأ ذا طول مناسب يمتد من قلايته الى بعد نصف ميل ، وعند نهايته حفر مغارة صغيرة ، وعندما كانت تأتى اليه جموع كثيرة من الناس وتعكر وحدته كان يترك قلايته سرا ويمر فى السرداب دون أن يراه أحد ، ويمكث فى المغارة منفردا مصليا (٧) .

٣ - الأنبا ارسانيوس معلم اولاد الملوك :

كان محبا للوحدة والصمت والهروب من الناس ، وكان يسكن فى مغارة تبعد عن الدير ٣٢ ميلا ، ووضع فى فمه حجرا صغيرا ، ربطه ، لكى

---

(٦) كتاب تأملات فى حياة الأنبا انطونيوس لقداسة البابا شنوده الثالث - ص ٥٨ .

(٧) وستان الرهبان - طبعة مطرانية بنى سويف - ص ٣٠ .

٣ سنوات حتى يتقن الصمت ، وقال مرة « كثيرا ما تكلمت فندمت اما عن السكوت فلم أندم قط » . وقد رأى أحد الآباء الرهبان في رؤيا سفينة تسير في البحر سيرا عاديا وبداخلها انبا ارسانيوس وروح الله معه » (٨) .

٤ ـ مار اسحق السرياني :

تاسك عظيم سرياني الجنس كان محبا للوحدة والسكون وقضى اواخر حياته متوحدا ببرية شيهيت ، ووضع كتابا ضخما عن نفس الوحدة في الرهبنة يعتبر من روع الكتب في هذا الموضوع ، وهاك بعض مقتطفات منه

+ السكون هو عمل الراهب ، فاذا فقد السكون اختلت حياته كراهب .

+ الجوهر يصان في الخزائن ونعيم الراهب داخل السكون والهدوء .

+ السكون الدائم مع تحبير العقل لا يبطىء كثيرا ان يوصل الانسان الى ميناء الحياة والفرح .

+ لتحب الوحدة فهي التي توصلنا الى عدم الخطأ .

+ ان افضل صلاح يمكن ان يفعله الانسان في هذا العالم هو الصلاة الطاهرة .

+ كيف يذوق المتوحد حلاوة السكون ان لم يسبق ويذوق مرارته .

+ اذا اردت ان تجد الحياة غير الفاسدة في هذه الحياة القصيرة ادخل السكون بافراز ، وفتش وافحص عن عمل السكون ولا تجرى على الاسم فقط ، بل تعمق واهتم بلجاجة لتدرك مع جميع القديسين ما هو ارتفاع هذا العمل وعمق هذه السيرة الطاهرة .

+ كممثل عيني النوتي ترصد النجوم هكذا المتوحد نظره شاخص داخله في كل تحبير سيرته حسب القصد والغرض الذي وضعه في فكره منذ اليوم الأول الذي بذل فيه نفسه للسير في بحر السكون الحرج الى ان يجد الجوهرة التي من اجلها القى نفسه في لجج هذا البحر الذي ليس له قرار ، وانتظار الوصول الى اصله يهون عليه ثقل العمل والضوائق والصعوبات التي تصادفه .

---

(٨) المرجع السابق ـ ص ٥٨ .

الفصل العاشر

الرهبنة و الكتاب المقدس

ان كان الكتاب المقدس لم يذكر صراحة كلمة « رهبنة » و « رهبان » ذلك لان فكرة الرهبنة لم تكن قد تبلورت بالمعنى المفهوم حاليا . لكن الكتاب المقدس قدم لنا بعض الابطال الذين قدموا حياتهم كلها كذبيحة حية مرضية على مذبح العبادة والنسك ، احبوا الصلاة وحولوها الى حياة ، عشقوا الهدوء والسكون وحياة الالتصاق بالله ، كما عاشوا بالبتولية والطهارة كل ايام حياتهم ، وهذه الفضائل هي من اهم مقومات الرهبنة واركانها الاساسية ، لذلك احبهم الله واجزل لهم النعم وحباهم بالبركات ومنحهم روح النبوة وعمل العجائب والمعجزات .

اولا العهد القديم :

فاذا القينا نظرة على العهد القديم نجد ان بعض الانبياء عاشوا بالبتولية والعبادة والتقشف وسكنى البرارى ، تماما كما توصى نواميس الرهبنة وقوانينها . فمثلا :

ايليا النبى :

+ عاش القديس ايليا النبى بتولا ، فلم يذكر الكتاب المقدس انه تزوج .

+ عاش حياة التجرد ، فحينما حل القحط بارض اسرائيل امره الرب ان يختبىء عند نهر كريت ، وكان الرب يعوله بواسطة الغربان ، وكان يشرب من ماء النهر ، وبعد ان جف النهر امره الرب ان يذهب الى صرفة صيدا ، وهناك كان الرب يعوله بواسطة امراة ارملة مدة طويلة من الزمان .

كان ايليا يحب سكنى الجبال ، حيث الهدوء والشركة مع الله ، وكان لا ينزل الى المدينة الا بناء على أمر الهى لأداء رسالة معينة ، فعندما قتل اخاب الملك نابوت اليزرعيلى وورث كرمه « كان كلام الرب الى ايليا التشبى : قم انزل (أى انزل من على الجبل) للقاء أخاب ملك اسرائيل الذى فى السامرة ، هو ذا هو فى كرم نابوت الذى نزل ليرثه » (١ مل ٢١ : ١) .

ولما مرض اخزيا الملك ابن اخاب ، أرسل الى ايليا النبى رئيس خمسين مع الخمسين الذين له ، فصعد اليه واذا **هو جالس على رأس الجبل** (٢ مل ١ : ٩) ، ولما توسل الملك اليه ثلاث مرات ان يأتى اليه ، قال ملاك الرب لايليا انزل معه لا تخف منه ، فقام ونزل معه (أى مع رئيس الخمسين الثالث) وجاء الى الملك ، (٢ مل ١ : ١٥) .

وحتى لما هددته ايزابل الملكة بالقتل واراد ان يهرب من وجهها ، لم يهرب الى اية مدينة او قرية نائية ، بل هرب الى البرية ومشى على قدميه أربعين نهارا واربعين ليلة صائما حتى أتى « الى جبل الله حوريب ودخل هناك المغارة وبات فيها (١ مل ١٩ : ٩) » . وهناك فى المغارة فى أعماق البرية ظهر له الرب فى الصوت المنخفض الخفيف وكلفه بمهام جديدة خطيرة ليؤديها .

+ كانت هيئة ايليا هيئة رجل جبال ناسك ومتقشف ، فعندما وصف رسل آحاز شخصية ايليا لملكهم قالوا : انه رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه (٢ مل ١ : ٨) فعرفه الملك على التو ، وقال : هو ايليا التشبى .

+ كان ايليا رجل صلاة وعبادة ، وكانت له شركة قوية مع الله ، فعندما اصعد الذبيحة على جبل الكرمل وصلى للرب «... استجبنى يا رب استجبنى ... فسقطت نار الرب واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة » (٢ مل ١٨ : ٣٧ ، ٣٨) . وكان يوما مشهودا كاد فيه ايليا ان يقضى على عبادة البعل نهائيا من اسرائيل .

بعد ذلك صعد الى رأس جبل الكرمل وخر الى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه وصلى للرب سبع مرات حتى اسودت السماء من الغيم والريح وكان مطر عظيم » (١ مل ١٨ : ٤٥) .

وبصلاة ايليا النبى ايضا نزلت النار وأكلت رئيسى الخمسينين اللذين أرسلهما اليه الملك أخزيا مع جنودهما (٢ مل ١) ٠

ولصلته النبوية مع الله ودالته العظيمة عنده وصلاته المستجابة لديه اقام الرب ابن الأرملة التى كان النبى نازلا عندها من الموت : فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش » (١ مل ١٧ : ٢٢) ٠ فقالت المرأة لايليا هذا الوقت علمت انك رجل الله وان كلام الرب فى فمك حق » (١ مل ١٧ : ٢٤) ٠

اليشع النبى :

وقد اقتدى اليشع بسيرة معلمه ايليا النبى ، هذا حذوه وسار سيرته النسكية ٠

+ فقد ظل اليشع بتولا لم يتزوج طوال حياته ٠

+ كما احب عيشة الجبال مثل معلمه واتخذ جبل الكرمل مقرا دائما له، والى هذا المقر كان يأتى كل من يطلب مقابلة النبى (٢ مل ٤ : ٢٥)، وما كان ينزل الى المدينة الا لمهام خدمته كنبى ومعلم للشعب ولبنى الأنبياء ٠

+ عاش اليشع النبى حياة التجرد والزهد مثل معلمه ، فلم يكن يقتنى فى مسكنه شيئا ، فقد اجتمع عنده مرة بنو الأنبياء ولم يكن فى مسكنه ما يقدمه لهم ، فخرج الغلام وجمع يقطينا بريا ملء ثوبه وطبخه لهم فأكلوا (٢ مل ٤ : ٣٨ - ٤١) ٠

وكان يعيش على صدقات المؤمنين وعطاياهم ، فقد جاء رجل من بعل شليشة وأحضر لرجل الله خبز باكورة عشرين رغيفا من شعير وسويقا فى جرابه » (٢ مل ٤ : ٤٢) ٠ واذ كان عنده شعب كثير وليس لديه ما يقدمه لهم أمر أن تقدم هذه الأرغفة القليلة للشعب ليأكلوا ، فقال خادمه : ماذا ، هل أجعل هذا أمام مائة رجل ؟ فقال اليشع : اعط الشعب ليأكلوا لأنه هكذا قال الرب يأكلون ويفضل عنهم ٠ فجعل أمامهم فأكلوا وفضل عنهم حسب قول الرب » (٢ مل ٤ : ٤٣) (١) ٠

---

(١) هذه تماثل معجزتى اشباع الجموع من الخبز القليل والسمك القليل اللتين صنعهما الرب يسوع المسيح له المجد ٠

وعندما شفى نعمان السريانى ببركة صلواته وأراد أن يقدم له شيئا قائلا : « والآن خذ بركة من عبدك » (٢ مل ٥ : ١٥) امتنع اليشع ولم يأخذ شيئا ولح عليه نعمان ان يأخذ فأبى (٢ مل ٥ : ١٦) مؤمنا ان الرب الذى خلقه لا ينساه .

+ كان اليشع رجل صلاة وعبادة وله شركة قوية مع الرب ، وكان يحلو له دائما أن يقول « حى هو الرب الذى انا واقف أمامه » (٢ مل ٥ : ١٦) .

وقد عمل بصلاته الكثير من المعجزات مثل ابراء المياه فى أريحا (٢ مل ٢ : ٢١ ، ٢٢) وتكاثر الزيت فى بيت الأرملة (مل ٤ : ١ - ٧) واقامة ابن المرأة الشونمية من الموت (٢ مل ٤ : ٢٠ - ٣٧) وابراء الطعام مما فيه من موت (٢ مل ٥ : ٣٨ - ٤٢) واشباع الجموع من خبزات قليلة (٢ مل ٥ : ٤٢ ، ٤٣) وابراء نعمان السريانى من برصه (٢ مل ٥ : ١٤) . ومعجزات أخرى كثيرة كان الرب يكملها بصلاة صفيه اليشع .

وارميا النبى ايضا :

تحلى بالكثير من الفضائل الرهبانية الجميلة :

- **فقد عاش بتولا طول حياته ، وقد صدر له الأمر الالهى بذلك صريحا واضحا قائلا « لا تتخذ لنفسك امراة ولا يكن لك بنون ولا بنات » (أر ١٦ : ١ ، ٢) .**

+ كما كان ارميا محبا للسكنى فى البرارى ، ولو انه لم تتح له هذه الفرصة ، وكان يقول « يا ليت لى فى البرية مبيت مسافرين فاترك شعبى وانطلق من عندهم » (أر ٩ : ٢) . وذلك كما قال قبله الرنم فى اشتياق حار لسكنى البرية والتمتع بما فيها من الخلوة مع الله والتمتع بالجلوس عند قدميه « ليت لى جناحا كالحمامة فاطير واستريح ، ها انذا كنت أبعد هاربا أبيت فى البرية . كنت اسرع فى نجاتى من الريح العاصفة ومن النوء (اى من الهموم والاضطرابات التى فى العالم **والتى كثيرا ما تنسى الانسان امر خلاصه وابديته**) » (مز ٥٥ : ٧ ، ٨) .

+ كان ارميا محبا للتواضع والصمت والهدوء والتوبة ، وهذه فضائل رهبانية عالية ، اسمعه يقول « جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه. يجلس وحده ويسكت لأنه وضعه عليه . يجعل فى التراب فمه لعله يوجد رجاء . يعطى خده لضاربه ، يشبع عارا لأن السيد لا يرفض الى الأبد فانه ولو أحزن يرحم حسب كثرة مراحمه (مرا ٣ : ٢٧ - ٣٤) . ثم يقول « لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع الى الرب . لنرفع قلوبنا وأيدينا الى الله فى السموات » (مرا ٣ : ٤١ ، ٤٢).

+ كان ارميا رجل صلاة ودموع من الطراز الأول ، ومن يقرأ سفر المراثى الذى نظمه هذا النبى الباكى لرثاء أورشليم عند خرابها بواسطة جيوش الملك نبوخذ نصر يعرف مقدار حساسية نفس هذا النبى العظيم وتقاوة قلبه وكثرة دموعه . أسمعه يقول « يا ليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فابكى نهارا وليلا قتلى بنت شعبى ، (أر ٩ : ١) . وكان دائم الصلاة لله ويكرر عبارة « ثم صليت الى الرب » (أر ٣٢ : ١٦) ، وكان الرب يكلمه فما لفم ، وكثيرا جدا ما ترددت فى سفره عبارة « ثم صارت كلمة الرب الى ارميا » .

العهد الجديد :

واذا تصفحنا العهد الجديد من الكتاب المقدس نجد أيضا شخصيات بارزة عاشت بالبتولية والعبادة والتأمل ، وهى من أهم أركان الرهبنة مثل ذلك :

القديسة الطاهرة مريم العذراء :

الحمامة الحسنة الهادئة ، اليمامة النقية الطاهرة ، فيخبرنا تاريخ حياتها أن والداها قدماها الى الهيكل عندما أصبح سنها ثلاث سنوات ، ومكثت بالهيكل عابدة بأصوام وصلوات وخادمة للمقادس الالهية فى وداعة وهدوء ، وكانت تأكل خبزا من أيدى الملائكة يحضرونه لها فى الهيكل (٢) بدل أكلها الذى كانت توزعه على الفقراء .

---

(٢) الأبصلمودية الكيهكية طبعة اثناديوس لبيب ص ١٥٦ .

وظلت هكذا الى أن أصبح سنها اثنتى عشرة سنة ، فسلمها الكهنة الى يوسف النجار كخطيبة له ، وظلت العذراء مريم فى بيت يوسف النجار الفقير بتولا طاهرة عابدة الى أن بشرها الملاك بميلاد مخلص العالم منها . ونلاحظ غالبا فى الصور والأيقونات التى تمثل لحظة البشارة أن مريم كانت واقفة تصلى ، كانت فى وضع صلاة حين دخل اليها الملاك وبادرها بالتحية العجيبة قائلا ، السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة انت فى النساء » (لو ١ : ٢٨) .

ولما ظهر لها الملاك وبشرها لم تضطرب من منظره أو رؤياه لأنها كانت متعودة على رؤية الملائكة منذ كانت تخدم فى الهيكل ، ولكن الكتاب يخبرنا أنها ، اضطربت من كلامه ، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية لأن اتضاعها لم يحتمل تحية مثل هذه من الملاك .

والتسبحة التى قالتها العذراء فى بيت زكريا الكاهن خير دليل على روح الصلاة والعبادة والاتحاد بالله التى كانت تتمتع بها .

وحينما ولدت العذراء طفلها الالهى العجيب ، لم يحل ميلاده بتوليتها ، ولكنها كما تعلمنا قسمة الميلاد « ولدته وهى عذراء وبتوليتها مختومة » (٣) وذلك تقديرا من الرب للبتولية واكراما لجدها العظيم .

عند ميلاد المخلص رأت العذراء وسمعت الكثير من العجائب والمعجزات ، ولكنها احتفظت بصمتها وهدوئها ، مصلية شاكرة الرب على نعمة الخلاص الذى أرسله الى العالم ، وعلى تلك النعمة الخاصة التى حباها بها الله أن جعلها أما لذلك المخلص الآتى لفداء العالم ، ويخبرنا عنها الكتاب المقدس قائلا « وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها » (لو ٢ : ٥٢) .

« كانت العذراء تعيش مع الرب حوادثه متتالية ، وكان وقتها كله مستغرقه فى لذة تأمل ومتابعة أحداث الخلاص المجيد ، ولم يبق لديها وقت تتكلم فيه أو تحدث الناس عن نفسها » (٤) .

---

(٣) قسمة الميلاد بالخولاجى المقدس .

(٤) العذراء فى اللاهوت الروحى للقس يوسف اسعد ص ٢٤ .

وحتى بعد صلب الخلص وقيامته من الأموات وصعوده الى السموات وحلول الروح القدس عليها وعلى بقية التلاميذ للكرازة والتبشير اما هى فبقيت فى بيت يوحنا عادئة عابدة مصلية متأملة الى ان تنيحت بسلام وانتقلت الى الأمجاد السماوية .

حنة النبية بنت فنوئيل :

كذلك نسمع عن كوكب آخر من كواكب الصلاة والعبادة المضيئة والتكريس الكلى لهذا الغرض المقدس هى حنة بنت فنوئيل من سبط أشير ، فقد مكثت تلك القديسة **نحو ٨٤ سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا** (لو ٢ : ٣٧) حتى استحقت أن تأخذ روح النبوة . كما استحقت أن تنظر الطفل الالهى يسوع المسيح حينما أتى به أبواه الى الهيكل ليصنعا عنه كما يجب فى الناموس ، فهى « فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم » (لو ٢ : ٣٧) .

مريم أخت لعازر :

هى مثل واضح وعظيم لحياة العبادة والهدوء ، فنراها جالسة عند قدمى الخلص تستمع لكلامه العذب الهب للقلوب والمعزى للنفوس والمغذى للأرواح (لو ١٠ : ٣٩) .

لقد قال المرنم عنها وعن أمثالها « الصديقون يحمدون اسمك . **المستقيمون يجلسون فى حضرتك** » (مز ١٤٠ : ١٣) .

ولا تعوزنا الشهادة على أن هذه الحياة ، حياة العبادة والتأمل والسكون مقبولة لدى الرب ومفضلة عنده جدا ، فالرب نفسه عندما جاءت اليه مرثا معاتبة « يا رب أما تبالى بأن أختى تركتنى أخدم وحدى فقل لها أن تعيننى » (لو ١٠ : ٤) أجاب يسوع اجابة كلها تأييد لموقف مريم ودفاع ورضى عن تصرفها « قال لها مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة الى واحد ، فاختارت مريم (التى تمثل مئة العباد والنساك) النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » (لو ١٠ : ٤١ ، ٤٢) .

والنصيب الصالح الذى اختارته مريم ولاينزع منها ابدا **هو التأمل**. كل الأعمال والممارسات الأخرى ستنتهى بموت الانسان أو بزوال العالم ، **لكن التأمل فى الله وحياة التسبيح والصلاة فهى تبقى معنا فى الأبدية ولا تنزع منا** . بها نشارك الملائكة والقديسين فى التسبيح الدائم لله والتأمل فى شخصه وفى رؤياه .

لما رأى يسوع مريم تبكى عند قبر اخيها لعازر ، شاطرها البكاء . بكى يسوع ، (١١ : ٣٥) وذلك كما قال عريس النشيد ، حولى عنى عينيك فانهما قد غلبتانى ، (نش ٥ : ٦) .

نفس هذا التأثير القوى على الرب الحنون يكون من عيني العابد المتطلع دائما الى الرب والرافع اليه عينيه كأعين العبيد الى أيدى مواليهم وكعيني الأمة الى يدى مسيدتها . لا يستطيع الرب الا أن يحفظ هذه الدموع فى زق عنده كشىء ثمين لا يجب ضياعه ، ثم يقوم الرب ليعطى تلك النفس كل طلبتها ويتمم كل مشيئتها كما فعل مع مريم وأقام لها اخاها الحبيب لعازر بعد موته ودفنه باربعة أيام كاملة .

وفى مساء ذلك اليوم ، صنعوا له هناك عشاء وكانت مرثا تخدم (كعادتها وحسب الموهبة التى اعطيت لها) (يو ١٢ : ٢) واما مريم فجاءت بقارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن ، سكبتها ودهنت بها قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها ، (يو ١٢ : ٣) .

وتقبل الرب يسوع هذه المقدمة بالامتنان كما تقبل قبل ذلك تقدمات مريم من صلوات وتاملات ولما بدأ البعض فى تعنيفها قال لهم يسوع ، دعوا المرأة فانها قد عملت بى عملا حسنا ... الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر بما فعلته هذه تذكارا لها ، (مت ٢٦ : ١٠ ، ١٣) .

وهكذا علمنا أن أحسن وسيلة بها نحفظ مالنا ووقتنا وجهدنا هى سكبه عند قدمى المخلص فى صلوات وعبادات وتاملات حتى يمتلىء بيت انفسنا من رائحة طيب الفضيلة ويشم فينا الناس رائحة المسيح الزكية.

يوحنا المعمدان :

أعظم مواليد النساء ، والشجاع فى الحق هو أيضا تحلى بالكثير من فضائل وممارسات الرهبنة :

فقد عاش بتولا طاهرا كل أيام حياته ٠

عاش فى البرية وتربى فى احضانها منذ نعومة أظفاره فيخبرنا سنكسار يوم ٣٠ بؤونة أنه ، عندما قتل الأطفال بأمر هيرودس الملك الطاغية أراد الجند أن يأخذوا الطفل يوحنا ليقتلوه فحمله زكريا أبوه وقال لهم علموا معى لأريكم المكان الذى أخذته منه فتأخذونه من هناك ، فجاءوا معه الى الهيكل فوضعه على جناحه حيث بشر به ، فخطفه ملاك الرب الى البرية ، وهكذا عاش فى البرارى الى يوم ظهوره لاسرائيل ، وكان فى البرية ينمو ويتقوى بالروح (لو ١ : ٨٠) ٠

كان ناسكا متقشفا ، فقد كان لباسه من وبر الابل ومنطقة من جلد على حقويه ٠ وما زال الرهبان حتى الآن يلبسون هذه المنطقة الجلدية لتشد وسطهم وتساعدهم على الأصوام وعمل المطانيات ، أما طعام يوحنا المعمدان فكان نوعا من الجراد وبعض ما يجده فى شقوق الصخر من عسل النحل البرى ٠

كان يوحنا فى البرية تحت ارشاد المعلم الأعظم ، ومن المعيشة الخشنة التى عاشها هناك تعلم القوة والشجاعة فى الحق ولو أخذت رأسه ثمنا لذلك ٠ علمته البرية الهدوء والثبات على المبدأ ولو امام الملوك حتى مدحه الرب يسوع قائلا للجموع « ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ٠ أقصبة تحركها الريح ، لكن ماذا خرجتم لتنظروا ٠ انسانا لابسا ثيابا ناعمة ، هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك ٠ ثم ماذا خرجتم لتنظروا انبيا ٠ نعم أقول لكم وافضل من نبى » (مت ١١ : ٧ ـ ٩) ٠

وللحياة المباركة الفريدة التى عاشها يوحنا المعمدان فى البرية ، وللسيرة العالية التى كان يسير بها تحت ارشاد الله المعلم الأعظم ، وللاتحاد والشركة المستمرة مع الله التى كان يتمتع بها طوال هذه الفترة ٠ لكل هذه الفضائل العالية سماه يوحنا ذهبى الفم « رئيس الرهبان وقائدهم » ٠

انظروا الى نهاية سيرتهم وتمثلوا بايمانهم (عب ١٣ : ٧) :

وقد حذا الرهبان القديسون منذ نشأة الرهبنة حذو مريم العابدة الهادئة المتأملة واختاروا نصيبها الصالح ، وتمثلوا بيوحنا المعمدان الناسك العابد ساكن البراري ، فخرجوا سائحين الى البراري والقفار وشوارع الأرض من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح . في البراري حيث السكون والهدوء جلسوا في حضرة الرب وتمتعوا به وعرفوه عن قرب وصاروا أصدقاء ومعارف وأحباء خصوصيين له صارت لهم دالة ومحبة معه . آمنوا بحياة العبادة واقتنعوا بصحتها وسلامتها ، فكرسوا نفوسهم لله في هذيذ دائم ودهش مطلق وفحص مستمر للنفس ومراقبة دائمة لحركاتها وسكناتها حتى وصلوا الى درجات عالية من النقاوة والطهارة وبالتالي الى الاتحاد بالله .

تلذذوا بالرب وطابت لهم العشرة معه حتى نسوا اهلهم وذويهم كما يقول الشيخ الروحاني « محبة المسيح غربتني عن البشر والبشريات » عمروا البراري ببخور صلواتهم وينابيع دموعهم وذبائح أصوامهم وتسكياتهم وانسحاقهم .

الفضائل الرهبانية من الكتاب المقدس :

وبجانب هذه الشخصيات الكتابية العظيمة التي مارست حياة الرهبنة وتحلت بفضائلها دون أن يطلق عليهم اسمها ، بجانب كل هؤلاء ، نرجد في الكتاب المقدس الكثير من الآيات التي تشجع وتحض على حياة البتولية - وما الرهبنة الا بتولية عابدة - كما تحض على حياة الصلاة والصوم والزهد والنسك والطاعة والتجرد ، التي هي أركان الحياة الرهبانية .

أمثلة عن البتولية :

+ يعزي الرب بلسان اشعياء النبي - الخصيان الذين خصوا انفسهم لأجل ملكوت السماوات ، اي البتوليين الذين لم يتزوجوا ، ولم ينجبوا أولادا لكي يكرسوا حياتهم ووقتهم وعالمهم ومواهبهم لله ، يعزيهم الرب بقوله « لا يقل الخصي ها انا شجرة يابسة لانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني

ويتمسكون بعهدى التى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصبا واسمها افضل من البنين والبنات ، اعطيهم اسما ابديا لا ينقطع » (اش ٥٦ : ٣ ـ ٥) ٠

+ كما يرفع الرب يسوع قدر البتولية ويعتبرها صالحة وموهبه تامة نازلة من فوق من عند أبى الأنوار فيقول « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام (أى حياة البتولية) بل **الذين اعطى لهم** » (مت ١٩ : ١١) ٠ ثم أهاب الرب بكل من يجد فى نفسه استعدادا واستيفاءا لحياة البتولية ـ وما الرهبنه الا بتوليه عابدة مصلية ـ ان يقبل هذه الحياة ويعتنقها فقال « من استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ١٢) (٥) ٠ وطوبا له أجره واكليله ٠

+ والقديس البتول بولس الرسول ، لسان العطر ومعلم المسكونة ، مدح البتولية بكل قوته وشجع عليها بكل جوارحه فقال محسن للرجل ان لا يمس امراة (أى لا يعرفها معرفة الزواج) ٠ أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا (أى غير متزوجين) ٠ غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب أما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امراته ٠ ان بين الزوجة والعذراء فرقا غير المتزوجه تهتم فى ما للرب كيف ترضى الرب لتكون مقدسه جسدا وروحا وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها ٠ هذا أقوله لخيركم ليس بكى القى عليهم وعقا (شلا) بل لأجل اللياقه والمثابرة للرب عن دون ارتباك » (١ كو ٧) ٠

+ ويخبرنا سفر الرؤيا عن مدينة البتولية ومركز البتوليين والأبكار فى السماء فيقول الرائى « ثم نظرت واذا خروف واقفا على جبل

---

(٥) البعض لا يستطيع ولا يقبل حياة البتولية والعفة بل ويكفر منها ويبغض المنادين بها ، فهيرودس الشهوانى عندما وبخه يوحنا المعمدان بسبب هيروديا امراة اخيه التى كان عائشا معها بالحرام حنق عليه ثم امر بقطع راسه بعد ان زج به فى السجن (مت ١٤ : ١٣ ـ ١٢) ٠

وفيلكس الوالى المتحير عندما سمع من بولس الرسول عن التعفف والديانة العتيدة ارتعب وامره بالانصراف من أمامه (اع ٢٤ : ٢٥) ٠

صهيون (وهو المسيح حمل الله الذى حمل خطية العالم كله) ومعه مائة وأربعة وأربعون الفا (٦) لهم اسم ابيه مكتوبا على جباههم . وسمعت صوتا من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم . وسمعت صوتا ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثارتهم وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش وامام الأربعة حيوانات والشيوخ ولم يستطع احد ان يتعلم الترنيمة الا المائة والأربعة والأربعون الفا الذين اشتروا من الأرض ، هؤلاء الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم أبكار (٧) . هؤلاء الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب . هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف وفى افواههم لم يوجد غش لانهم بلا عيب قدام عرش الله » (رؤ ١٤ : ١ - ٥) .

وعن الصلاة :

+ اما عن الصلاة التى هى عمل الراهب وواجبه الأول ، فالكتاب المقدس يزخر بالآيات والنصائح التى تدعو اليها وتشجع على ممارستها . فالرب يعرفنا على لسان اشعياء النبى ان الانسان مخلوق لعمل الصلاة والتسبيح لله وتمجيده ، تماما كالملائكة المخلوقين لهذا الغرض عينه ، وبذلك يسعد كسعادتهم ويحيا حياة سمائية كحياتهم. فيقول « لمجدى خلقته (أى خلقت الانسان) وجبلته وصنعته » (أش ٤٣ : ٧) كما يقول « هذا الشعب جبلته لنفسى يحدث بتسبيحى » (أش ٤٣ : ٢١) . أى أن عمله الأساسى والاول هو تقديم التسبيح والتمجيد للخالق العظيم .

+ الرب يسوع نفسه كان مثلا يحتذى فى الصلاة ، فكثيرا ما كان يبيت فى الجبل ويقضى الليل كله فى الصلاة ، وكثيرا ما نصحنا وكرر

---

(٦) عدد رمزى يدل على الكمال ، ويعنى البتوليين الذين ارضوا الله ببتوليتهم وفضائلهم الاخرى .

(٧) « لأنهم أبكار » حسب النص اليونانى الأصلى والنص القبطى. انظر أيضا الحاشية السفلى لنسخة الكتاب المقدس البيروتية ذات الشواهد تحت الاصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا .

النصيحة ان نصلى وان نسهر فى الصلاه منتظرين مجىء الرب الذى سيأتى بغتة ، فيقول فى احد المواضع : « انظروا اسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متى يكون الوقت » (مر ١٣ : ٣٣) . والكلمة « انظروا » فى أول الآية ، جاءت كتنبيه أو لفت نظر ان الوصية التى بعدها فى منتهى الأهمية والخطورة .

+ ورسائل الرسول بولس وبقية الرسل واقوالهم مشحونة بالنصائح المشجعة على وجوب الصلاة بلا انقطاع ووجوب التعقل والصحو للصلوات ، والسهر فيها بالشكر . ويعوزنا الوقت ان أوردناها واحدة فواحدة وتكتفى الآية القائلة « وصنع من دم واحد كل امه من الناس ... لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه » (اع ١٧ : ٢٧ ، ٢٧) (٨) .

التجـــرد :

+ أما عن التجرد أو الفقر الاختيارى الذى هو احد أسس الرهبنه ، فالكتاب المقدس ايضا ملىء بالامثلة والنصائح التى تدعو اليه . فالمسيح نفسه عاش فقيرا ليس له اين يسند رأسه ، ولما طلبوا منه الجزية لم يكن لديه ما يدفعه فامر بطرس أن يصطاد سمكة فيجد فيها استارا فيدفع الجزية عن كليهما (مت ١٧ : ٢٧) وكما زهد الرب يسوع فى الأموال والمقتنيات زهد ايضا فى المناصب والشهرة « فلما علم انهم مزمعون أن يأتوا ليختطفوه ويجعلوه ملكا انصرف الى الجبل وحده » (يو ٦ : ١٥) . وكان بعد كل معجزة يعطيها يختفى بعض الوقت هربا من المجد الباطل .

---

(٨) يظهر من الآية ان غاية الله العظمى من خلقه كل أمة من الناس هى لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه . وتقول الكنيسة فى لحن الهوس الثانى « صنع الانسان كشبهه وصورته لكى يمجده ، ثم تستنهض الكنيسة أولادها لتأدية واجبهم الحتمى فى تسبيح الله قائلة « فلنسبحه ونرفع اسمه ونشكره لأن رحمته كائنة الى الأبد » .

+ وكما عاش هو حياة التجرد دعا المؤمنين به الى هذه الحياة البسيطة فقال « لا يقدر احد ان يخدم سيدين ... لا تقدرون ان تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) .

+ وهكذا علمنا تلميذه الحبيب يوحنا قائلا « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . ان احب احد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة » (١ يو ٢ : ١٥ ، ١٦) .

+ وكما عاش الرب يسوع فقيراً عاش أيضا تلاميذه فقراء فها هو الرسول بولس يقول « كفقراء ونحن نغنى كثيرين » (٢ كو ٦ : ١٠) . كما ينصح تلميذه الأسقف تيموثاوس قائلا « اكرم الأرامل اللواتى هن بالحقيقة ارامل ... التى هى بالحقيقة ارملة ووحيدة قد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلا ونهارا . وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » (١ تى ٥ : ٣-٥) .

الطـــاعة :

+ وبخصوص حياة الطاعة التى هى من اهم اركان الرهبنة والدرس الأول الذى يجب ان يتعلمه كل طالب رهبنة والا اختلت حياته كراهب واثبت فشله وعدم صلاحيته لمثل هذا النوع من الحياة . فقد مدح الكتاب المقدس كثيراً حياة الطاعة ، والرب يسوع نفسه تحلى بها وصار لنا فيها مثالا وقدوة . فيقول « طعامى ان افعل مشيئة الذى ارسلنى واتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) . وكما أن الطعام هو قوام الحياة ومصدر كل حركة ونشاط للجسد ، هكذا كانت طاعة الآب بالنسبة للمسيح هى كل شىء فى حياته . كما يقول أيضا « لأنى نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (يو ٦ : ٣٨) كما قال « لست افعل شيئا من نفسى بل اتكلم بهذا كما علمنى أبى والذى ارسلنى هو معى **ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين افعل ما يرضيه** » يو ٨ : ٢٨ ، ٢٩) .

+ وقد دعانا الرب للدخول من باب الطاعة الضيق لأنه مضمون ومأمون فيقول « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ... ما

أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه » (مت ٧ : ١٣ ، ١٤) ٠

+ ويوضح لنا الرسول بولس طريق الطاعة فيقول « أطيعوا مرشديكم واخضعوا لهم لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم » (عب ١٣ : ١٧) ٠ ويقول ايضا ان المسيح جاء وتجسد وتألم مطيعا لمشيئة الآب « لكى يعتق اولئك الذين خوفا من الموت (أى الهلاك الأبدى) كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية (أى العبودية بالطاعة والخضوع لوصايا المسيح ولأب الاعتراف والمرشد الروحى » (عب ٢ : ١٥) ٠

الموت عن العالم :

+ وعن الموت عن العالم الذى هو شعار الراهب ومنهجه يقول الرسول بولس « صادقة هى الكلمة انه ان كنا قد متنا معه فسنحيا أيضا معه ٠ ان كنا نصبر فسنملك معه » (٢ تى : ١١ ، ١٢) ٠ ويقول ايضا « ان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض **لأنكم قد مقم** وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله » (كو ٣ : ١ - ٣) ٠

فضائل رهبانية متنوعة :

+ يقول المرنم « **أما انا فخير لى الالتصاق بالرب** » (مز ٧٣ : ٢٨) ٠

أية حياة توصل الى هذا الهدف السامى الذى هو الالتصاق بالرب والهذيذ فيه بلا انقطاع أكثر من حياة الرهبنة والوجود فى البرية بعيدا عن العالم واهتماماته المتنوعة التى تغرق الناس فى العطب والهلاك ؟ !

+ الله يفرح بالنفس التى تخرج وراءه فى البرية طالبة الحياة معه والالتصاق به طوال الوقت والعيشة فى كنفه كعروس حقيقية أمينة لعريسها السماوى الذى أحبته من كل القلب ، يقول الرب لتلك النفس « قد ذكرت لك غيرة صباك ومحبة خطبتك وذهابك وراءى فى البرية فى ارض غير مزروعة » (أر ٢ : ٢) ٠

ويعلن دخوله معها فى عهد زيجة روحية مقدسة فيقول « واخطبك لنفسى الى الابد ، واخطبك لنفسى بالعدل والحق والمراحم والاحسان . اخطبك لنفسى بالأمانة فتعرفين الرب » (هو ٢ : ١٩ ، ٢٠) .

وفى البرية تقضى نفس الراهب كل حياتها فى عيشه سعيده هانئه مع عريسها السماوى فيقول الرب فى ذلك « اذا اتملقها واذهب بها الى البرية والطفها » (هو ٢ : ١٤) .

+ يقول الجامعة « ... الهدوء يسكن خطايا كثيرة » (جا ١٠ : ١٤) .

فى اى مكان يستطيع الانسان أن يضبط الهدوء ويجد فرصة للخلوة ليصل الى الهدوء النفسى وفحص الذات للتعرف عليها والوقوف على نقط الضعف والقوة فيها حتى ينتصر فى جهاده ضد الخطية والشيطان ؟ أين يجد كل ذلك اكثر مما فى البرية وداخل اسوار الدير ؟ !

+ يقول اشعياء النبى « لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس اسرائيل : « بالرجوع والسكون تخلصون . بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (اش ٣٠ : ١٥) .

اين تتوفر فرص الرجوع للنفس ومحاسبتها وبالتالى الرجوع الى الله وتقديم التوبة اليه . اين يتوفر السكون والهدوء والطمأنينة التى تساعد على خلاص النفس ونوال القوة الروحية اكثر مما فى البرية حيث العزلة والتأمل فى الله وطلب محبته وتنفيذ وصاياه . ثم فحص النفس وتنقيتها . لذلك سميت برية الأسقيط ايضا « برية شيهيت » وهى كلمة قبطية تعنى « برية ميزان القلوب » وذلك لأنها تساعد الراهب على ان يقتنى حساسية روحية ومعرفة صحيحة للوصية بها يزن حياته الروحية ويتعرف على كل اسرار نفسه وخباياها ، فيعمل بالتالى على تقويم اعوجاجها واصلاح عيوبها حتى يحصل على ثقل روحى ويمتلىء بأثمار الفضيلة فيحصل على الأبدية السعيدة مع الأبرار والتائبين ولا يكون نصيبه الأبدى فى الهاوية التى فوق (مز ٦٢ : ٩) ويتفادى مصير بيلشاصر الشرير الذى قيل عنه « وزنت بالموازين فوجدت ناقصا » (دا ٥ : ٢٧) .

+ يقول اشعياء النبى ايضا « يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبحه فى الأرض » (اش ٦٢ : ٦ ، ٧) .

اليس هذا أمر الهى بالصلاة الدائمة وذكر الرب بلا انقطاع حتى يبتلع القلب (اورشليم النفس) فى التسبيح ، ويصبح هو نفسه تسبحة، ويكمل عليه قول المرنم « أما أنا فصلاة » .

أين يتوفر الوقت للقيام بممارسة تداريب الصلاة الدائمة وذكر الرب بلا انقطاع كأمر الرب « ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » (لو ١٨ : ١) ، وقول الرسول « صلوا بلا انقطاع » (١ تس ٥ : ١٧) - وقوله « تشكر الرب بلا انقطاع » (١ تس ٢ : ١٣) .

أين يتوفر كل هذا أكثر مما فى البرية ، وبين الرهبان المتخصصين والمكرسين لهذا العمل الالهى العظيم ؟ !

+ يقول عريس النشيد مخاطبا عروسه المحبوبة « من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان وبكل أذره التاجر » (نش ٣ : ٦) .

كان الرب يسوع هنا يخاطب نفس الراهب المجاهد فى البرية ، جبل المر (أى جبل النسك والصوم والجهادات الشاقة) وتل اللبان (أى برية الصلاة المقبولة التى تفوح رائحتها كرائحة البخور واللبان » (نش ٤ : ٦) .

نفس الراهب الذى يقضى حياته فى جهادات الرهبنة الشاقة فى البرية تصبح معطرة بالمر واللبان وبكل أذرة التاجر ، أى يشتم الرب منها رائحة الرضا ويتقبل جهاداتها واصوامها التى تؤدى الى مرارة الحلق وتعب الجسم مثل عطور وأطياب المر والسليخة ، ويتقبل صلواتها كرائحة بخور وكذبائح ومحرقات دائمة تقدم له دائما على مذبح المحبة عشية وباكر ووقت الظهر .

+ يقول أيوب الصديق « عهدا قطعت لعينى فكيف أتطلع فى عذراء » (أى ٣١ : ١) .

ويقول الحكيم يشوع بن سيراخ « لا تتفرس فى العذراء لئلا تعثر محاسنها » (سى ٩ : ٥) .

ويقول أيضا « اصرف طرفك عن المرأة الجميلة ولا تتفرس فى حسن الغريبة فان حسن المرأة أغوى كثيرين وبه يلتهب العشق كالنار » (سى ٩ : ٨ ، ٩) .

الراهب لا يتطلع الا الى العذراء الدائمة البتولية القديسة الطاهرة مريم ، فيتعلم من هذه النظرة كيف تكون القداسة وكيف يقتنى الطهارة والعفاف .

+ يقول ارميا النبى « جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه يجلس وحده ويسكت » (مرا ٣ : ٢٧) .

فى أى مكان يمكن تنفيذ وصية النبى « يجلس وحده ويسكت » أكثر مما فى البرية بعيدا عن الخطة والمجتمعات الصاخبة ؟ ! فى البرية يجد الانسان الجو مهيأ والعوامل كلها تساعده على حياة الهدوء والسكون .

+ كما تحتاج الكنيسة للخدام والرعاة لرعاية أبنائها وحمايتهم من الذئاب الشيطانية ولتعليمهم وصايا الرب وانذاراته ولتقديم قدوة صالحة لهم بالقول والعمل ، تحتاج ايضا العباد الذين يداومون احناء الركب ويساعدون بصلواتهم الحارة أولئك الخدام المشغولين بامور الخدمة ويساعدون بتضرعاتهم المؤمنين المشغولين بامور حياتهم المعيشية والعائلية ، **فيكونون للكنيسة كجيش خلفى أو ساتر غير منظور لحمايتها وانعاشها** ، فنقرأ عن ابفراس أحد تلاميذ بولس الرسول ما يلى « يسلم عليكم ابفراس الذى هو منكم عبد للمسيح **مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات** ، لكى تثبتوا كاملين وممتلئين فى كل مشيئة الله » (كو ٤ : ١٢) .

ويقول قداسة البابا شنوده الثالث فى ذلك « تكفى صلاة راهب واحد ، انها تحمى آلافا بل وعشرات الآلاف من الناس اذا كانت صادرة من قلب نقى ملتصق بالله حقا » (٩) .

الرهبنة الحالية تأسست فعلا على بعض آيات الكتاب المقدس :

+ وقد نشأت الرهبنة القبطية خاصة وبالتالى الرهبنة المسيحية عامة على بعض الآيات الكتابية التى سمعها أو تأمل فيها القديس العظيم الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة وأب جميع الرهبان . فتخبرنا سيرته العطرة التى سجلها البابا القديس الأنبا أثناسيوس

---

(٩) مجلة مرقس عدد اكتوبر ١٩٧٣ ص ٨ .

يناجي نفسه ويتأمل وهو سائر كيف ان الرسل تركوا كل شيء الرسولي ، انه بينما كان ذاهبا ذات يوم كعادته الى الكنيسة كان وتبعوا المخلص (١٠) ، وكيف ذكر عنهم اعمال الرسل انهم باعوا ممتلكاتهم واتوا بأثمانها ووضعوها عند ارجل الرسل لتوزيعها على المحتاجين (١١) وكيف وضع لهم رجاء عظيم في السماء .

ثم دعوة يعقوب بن زبدى ويوحنا أخيه اللذين لما دعاهما الرب يسوع ، فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه » (مت ٤ : ٢١ ، ٢٢) .

+ واذ كان يتأمل في هذه الأمور دخل الكنيسة فسمع الرب في فصل الانجيل يقول للغني « ان اردت أن تكون كاملا فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء » (مت ١٩ : ٢١) . فكان الله قد ذكره بالقديسين وكان تلك الفقرة قرئت له خصيصا . فلما خرج من الكنيسة أعطى القرويين ممتلكات آبائه وكانت ثلاثمائة فدان من اجود الأراضي لكي لا تكون عثرة في سبيله هو واخته ، وباقي المنقولات باعها واذ توفرت لديه أموال كثيرة اعطاها للفقراء محتفظا بالقليل لأخته .

---

(١٠) لعله كان يتأمل في دعوة بطرس واندراوس أخيه اللذين لما دعاهما السيد المسيح قائلا : « هلما ورائي فاجعلكما صيادي الناس فللوقت تركا الشباك وتبعاه » (مت ٤ : ١٨ - ٢٠) .

ثم دعوة متى العشار الذي لما قال السيد المسيح اتبعني قام وتبعه (مت ٩ : ١٤) تاركا مكان الجباية بكل ما فيها من أموال وتاركا وظيفته بكل ما فيها من مكسب وغنى ومركز ومكانة اجتماعية .

(١١) لعل القديس انطونيوس كان يتأمل في الآيات التالية ، وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول ان شيئا من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا ... اذ لم يكن أحد فيهم محتاجا لأن كل الذين كانوا اصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند ارجل الرسل فكان يوزع على كل احد كما يكون له احتياج » (أع ٤ : ٣٢ - ٣٥) .

+ دخل الكنيسة ثانية فسمع الرب يقول فى الانجيل « لا تهتموا للغد » (مت ٦ : ٣٤) فلم يستطع البقاء اكثر من ذلك بل خرج واعطى تلك الاشياء أيضا للفقراء ثم أودع اخته فى احد بيوت العذارى ، ثم خرج من قريته وتفرغ للنسك والصلاة » (١٢) ٠

+ خرج القديس انطونيوس لينفذ وصية الانجيل ، وعاش حياة نسكية انجيلية ، وكان يقرأ فى الكتاب المقدس ويجاهد لكى يحول ما قراه الى حياة كما كان ينصح أولاده قائلا « كل عمل تعمله يجب ان يكون لك عليه شاهد من الكتاب المقدس » (١٣) ٠

+ وجاء آباء البرية فى كل جيل يعيشون حياة نسكية انجيلية موضحين بحياتهم وسلوكهم مفهوم الانجيل وروحه ٠

---

(١٢) كتاب حياة الأنبا أنطونيوس بقلم القديس اثناسيوس الرسولى ترجمة القس مرقس داود ص ص ١٧ ـ ١٩ ٠

(١٣) بستان الرهبان اصدار دار النسخ ص ١٠ ٠

الفصل الحادى عشر

الرهبنة امتداد لعصر الاستشهاد

بدأت الرهبنة فى أواخر القرن الثالث ، وكثيرون من الرهبان الأوائل عاصروا فترات الاستشهاد ، ولما لم يكن لهم حظ فيه ولم ينالوا اكاليل المجد عن طريق سفك دمائهم آلوا على انفسهم أن يسلكوا طريق الاستشهاد الارادى البطىء ، وأرادوا أن يتحملوا فى سبيل مسيحهم الذى تألم واستشهد من اجل خلاصهم كل ما يستطيعون أن يتحملوه من جهاد وتعب ، ولسان حال كل واحد منهم يقول مع الرسول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته » (فى ٣ : ١٠) . ومعروف أنه لا يستطيع أحد ان يعرف قوة قيامة الرب الا بعد ان يختبر شركة آلامه ويتشبه بموته . الصليب والجلجثة اولا ثم بعد ذلك القيامة والمجد .

القديس أنطونيوس وشهوة الاستشهاد :

نقرأ فى سيرة القديس انطونيوس ما يلى : (١)

« بعد هذا حل بالكنيسة الاضطهاد الذى حدث أيام مكسيميانوس ، وعندما اقتيد الشهداء الاظهار الى الاسكندرية تبعهم أيضا أنطونيوس تاركا صومعته قائلا : لنذهب نحن ايضا حتى اذا ما دعينا كافحنا او نظرنا المكافحين . وقد شاق الى الاستشهاد ولكنه اذ لم يشأ تسليم نفسه (٢)

---

(١) سيرة القديس انطونيوس الرسولى ص ٦٤-٦٦) .

(٢) كان أحد القوانين التى أصدرها القديس بطرس خاتم الشهداء ينص على الآتى :

« ان الذين ذهبوا بانفسهم أمام الحكام ليعلنوا ايمانهم فاستشاروا غضب هؤلاء عليهم وعلى اخواتهم انما سلكوا عدا المسلك عن غيره ، ولكنها غيرة مشوبة بالجهل ، فهم لذلك مقبولين فى شركة الكنيسة بلا شرط ، على انه يجب أن يعرف المؤمنون ان الرسل وخلفاءهم علمونا ان نقبل الاضطهاد لا أن نسعى اليه بانفسنا (عن كتاب قصة الكنيسة القبطية بقلم ايريس المصرى جـ١ طبعة ثانية ص ١٣٩) » .

خدم المعترفين فى المناجم وفى السجون ، وكان فى شدة الغيرة فى ساحة القضاء لكى يبعث الهمة فى نفوس الذين دعوا للجهاد ، أما الذين دعوا للاستشهاد فكان يقبلهم ويسندهم فى طريقهم حتى يكملوا • واذ رأى القاضى عدم خوف انطونيوس ورفاقه وغيرتهم فى هذا الصدد أمر أن لايظهر راهب فى ساحة القضاء أو يبقى فى المدينة على الاطلاق ، ولذلك وجد جميع الباقين أنه من الأصلح أن يختبئوا فى ذلك اليوم ، أما أنطونيوس فلم يبال كثيرا بذلك الأمر حتى أنه غسل ثوبه ووقف طول اليوم التالى أمامهم فى مكان مرتفع وظهر فى أحسن حال أمام الوالى ، ولذلك تعجب من هذا جميع الباقين ، ورآه الوالى ومر به بلباسه ووقف غير خائف مظهرا استعدادنا نحن المسيحيين . **لانه كما قدمت كان يصلى ان يكون هو نفسه شهيدا ، ولذلك كان يبدوا عليه كانه حزين لعدم حمل شهادته** • على أن الرب حفظه لأجل فائدتنا وفائدة الآخرين لكى يكون معلما للكثيرين عن النسك الذى تعلمه من الكتب المقدسة ، لأن الكثيرين رغبوا أن يقتدوا بطرقه بمجرد رؤيتهم لطريقة حياته •

وهكذا خدم المعترفين ثانية وتعب فى الخدمة كأنه شريكهم فى الأسر •

وعندما كف الاضطهاد أخيرا ونال المغبوط بطرس الاسقف (٣) شهادته انصرف أنطونيوس واعتزل ثانية فى صومعته وبقى هناك مناضلا فى جهاد الايمان وصار نسكه أشد صرامة (٤) لأنه كان دائم الصوم يلبس لباسا من الشعر فى الداخل أما اللباس الخارجى فكان من الجلد ، وهذا احتفظ به الى نهاية حياته » •

عملية تعويض :

وهكذا حذوانطونيوس تلاميذه وأولاده الرهبان من بعده ، أرادوا أن يعوضوا ما فاتهم من فرص ذهبية للاستشهاد باستشهاد من نوع آخر

---

(٣) يعنى القديس بطرس خاتم الشهداء البطريرك الاسكندرى السابع عشر •

(٤) ليعوض ما فاته من استشهاد سفك الدم باستشهاد النسك والجهاد •

يصل بهم الى نفس الهدف . هو الاستشهاد بذبح ارادة الجسد بالتمسك الشديد والجهادات الصارمة فى البرية ، لذلك بدات رهبنتهم بحمية شديدة ورفض تام لكل ما يعيق الروح عن الانطلاق الى غايتها .

لم يفهما الرهبنة كنوع من معيشة عادية أو نظام معين من أنظمة الحياة فى العالم بل فهموها على فلسفتها الحقيقية ، فهموها أنها صلب للجسد مع الأهواء والشهوات ليشتركوا مع الحبيب المصلوب لأجلهم فى صليبه وفى آلامه لأنه ليس العبد أعظم من سيده ولا التلميذ أفضل من معلمه « يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده (مت ١٠ : ٢٥) » .

وهكذا اعتصموا برجاء الصليب وسلكوا طريق الجهاد ، طريق سيدهم ... من الصليب الى المجد .

لباس الصليب :

اذ لم يستطع الرهبان الأوائل تعليق اجسادهم على صلبان خشبية . صلبوها بالأصوام الطويلة والصلوات الكثيرة ، كما صلبوا الأهواء والشهوات ، وعاشوا مجاهدين حتى الموت ضد الخطية حتى أصبحوا كسباع البرية ، حتى كانت الشياطين تخاف من شرار صلواتهم التى كانوا يرفعونها دائما الى الله « عابدين ليلا ونهارا » (أع ٢٦ : ٧) .

« فالرهبنة هى شركة مع المسيح فى حياته الفصحية ، اذ يتفتح قلب الراهب للصليب ، مقدما حياته كلها ذبيحة حية وقربانا مقدسا للمسيح يسوع ، وهى ممارسة باطنية لحياة الاستشهاد اليومى ، هى خبرة تقوية يوميه لحياة فصحية يعيشها الناسك فى بريته كشهيد فى ساحة الاستشهاد لتكميل شدائد المسيح فى جسده ، لهذا دعى الرهبان « **لباس الصليب** » كما يدعون أيضا « لباس الروح » لأنهم مقتادون بالروح لحياة الغلبة والحرية ، لحياة العبور (الفصح) نحو الأبدية المنفتحة فى المسيح المصلوب .

البرية هى حلبة الصراع مع قوات الظلمة ، فتجارب القديس الأنبا انطونيوس كما سجلها القديس اثناسيوس الرسولى لا تقل عن صراع شهيد فى ساحة الاستشهاد » (٥) .

---

(٥) كتاب مقدمات فى علم الباترولوجى للأب القس تادرس يعقوب ص ٥٦ .

وهكذا اذ تغلغت فكرة الصليب والموت والاستشهاد فى حياة الرهبان حتى شملتها كلها كانوا يجدون لذة فى النسك والتعب والجهاد . وبذلك حلت الرهبنة محل الاستشهاد ، حلت الشهادة البيضاء محل الشهادة الحمراء .

+ كان الرهبان يجاهدون ويقاسون التعب بفرح ولسان حالهم يقول « مع المسيح صلبت فاحيا لا أنا بل المسيح (المصلوب) يحيا فى . مما احياه الآن فى الجسد فانما احياه فى الايمان ايمان ابن الله الذى احبنى واسلم نفسه لأجلى (غل ٢ : ٢٠) .

+ وكما كان الشهداء يلجأون الى السراديب والكهوف المظلمة لعقد اجتماعاتهم الدينية ولتقديم صلواتهم لالههم ، هكذا فعل الرهبان « تائهين فى براري وجبال ومغاير وشقوق الارض » (عب ١١:٣٧) .

+ بعوزنى الوقت ان تكلمت عن اصوامهم ونسكياتهم وصلواتهم واسهارهم وصلبهم للعقل وضبطهم للفكر . ونكتفى بما اورده الدكتور منير شكرى فى كتابه « اديرة وادى النطرون » ص ١٣٧ فى سياق حديثه عن رهبان برية شيهيت المقدسة قال :

« ونظرا عن تقشفهم وقمعهم لجسدهم امثلة صارخة لدرجة لا يسعنا الا ان نقرر معها **أن حياتهم كانت استشهادا متواصلا** .

كان هؤلاء النساك المتحمسون يقمعون الفكر والقلب والشهوات والحواس والجسد وكان كل ما فيهم خاضعا لهذه الفضيلة التى تقهر الطبيعة .

كانت الصلاة مستحوذة على الفكر ، كذلك ذكر الرب كان دائما ماثلا امامهم حتى فى وقت العمل ، أما القلب فكان ماخوذا بالطاعة والانطلاق . واما الشهوات فقد حاربوها باليقظة على انفسهم وبما كانوا يستعملونه من القوة فى البعد عنها ، واستخدموا ضد الحواس الوداعة النسكية ، وحاربوا الجسد بالاصوام الطويلة والسهر والقمع العنيف ، يضاف الى ذلك ان برية شيهيت كانت مكانا قحلا ليس فيه اى تعزية عالمية .

شـهادة حســنة :

بعد أن تكلم مؤلف كتاب « الذبيحة ممتدة ومستمدة » عن الاستشهاد كشركة حب لذبيحة الصليب قال : كل ما قلناه عن الشهداء يمكن أن نعيده ترديدا - مع اختلاف بسيط فى النغم - وهو ظهور طبقة الرهبنة والبتولية الخادمة فى الكنيســة .

وأبسط تعبير يمكن أن نقوله **أن الرهبان أسلوب مسيحى اختار الاستشهاد تطوعا** من غير أن يفرضه عليه العالم من حوله .

(وانها لحقيقة نسجلها للتاريخ : ان المسيحية فى بعض العصور تدين للرهبنة التى حافظت على روح الانجيل فى وقت كاد سكان العالم من المؤمنين أن ينحــرفوا عن اســتقامة الاســلوب الانجيلى فى الايمان والســلوك) .

وحسب المؤلف الرهبنة أنها تشكل الانسان نوعا من ذبيحة الحب ، الذى يتفانى ولا يستضخم العطاء ، **ذبيحة كان وما زال قوامها كل حياة الراهب** » (٦) .

ويأتى هذا الكلام تأكيدا لأقوال القديسين الذين اعتبروا الجهاد ضد الخطيئة والشهوات نوعا من الاستشهاد ، وقد قال فى ذلك القديس اثناسيوس الرسول :

« قد يعرض أن يقول أحد أين هو زمان الاضطهاد حتى كنت أصير شهيدا ؟ ! فأقول له أنا : والآن يمكنك أن تصير شهيدا أن أردت ، مت عن الخطية ، أمت أعضائك التى على الأرض وبذلك تصير شهيدا باختيارك . فأولئك الشهداء كانوا يقاتلون ملوكا ورؤساء جسديين ، أما انت فانك تقاتل ملك الخطيئة محتالا عنيدا والشياطين رؤساء الظلام » (٧) .

وينصح القديس اكليمادوس كل راغب فى الدخول الى الحيــاة الرهبانية بالاستعداد لمقاتلة الشياطين والانتصار عليهم بقوة السيد المسيح فيقول « انك ذاهب لتقاتل الذئاب والنمور والسباع والوحوش

---

(٦) كتاب « الذبيحة ممتدة ومستمدة » للدكتور راغب عبد النور ص ٦٢ .

(٧) بستان الرهبان اصدار دار النسخ والتحرير ص ٢٠٨ .

الضارية ، وليس ذلك لأيام ولا شهور ولا لسنين قلائل بل حياتك كلها حتى تظفر بالعدو وتنتصر عليه » .

وقد جاء فى بستان الرهبان القصة التالية : (٨)

« اخبر أحد الشيوخ انه فى أحد الليالى فى ابتداء صلاته وهو فى البرية الجوانية سمع صوت بوق يضرب عاليا كمثل ما تضرب أبواق الحرب ، فتعجب متفكرا بأن البريه مقفرة وليس فيها آدمى فمن أين صوت البوق فى هذه البرية ؟ أترى حرب هنا ؟ ! واذا بالشيطان قد وقف مقابلة وقال بصوت عال : نعم يا راهب هى حرب . ان شئت فحارب والا فسلم لأعداك » .

مثال رائع للشهادة النسكية :

عاش القديسان مكسيموس ودوماديوس فى برية شيهيت عيشة نسكية عالية ، فى صلوات مستمرة وصمت دائم وأصوام لاتنقطع وتجرد فائق ، ولما تنيحا ودفنا كان القديس مكاريوس أبوهما الروحى يعتبرهما شهداء فيقول عنه بستان الرهبان « ولما كان الآباء يجتمعون الى الأب مكاريوس كان يأخذهم الى قلايتهما (حيث دفن جسديهما) ويقول : هلموا بنا نعاين شهادة الغرباء الصغار » (٩) .

---

(٨) بستان الرهبان اصدار مطرانية بنى سويف ص .

(٩) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٣١ .

الفصل الثانى عشر

الرهبنة حياة جندية صالحة للرب يسوع المسيح

الرهبنة حيـــاة جندية صالحة ليسـوع المســيح وتكريس لخدمة بالصلاة والعبادة ، والاحتمال والصبر على البلايا والتجارب التى يطلقها العدو الشيطان على الراهب .

صفات الجنـــدى الصـــالح :

ومن صفات الجندى الصالح المخلص لملكه ولوطنه أن يكون دائما تحت السلاح وعلى أتم الاستعداد للحرب ، ومن صفاته أيضا الشجاعة والاقدام الذى يؤهله أن يدخل الى الحرب بغير خوف أو جبن حتى ينتصر أو يموت وفى كلتا الحالتين يكون له الشرف والتقـدير ، فاذا انتصر نال الفياشين واذا استشهد نال تقدير الوطن والمواطنين وعملوا له النصب التذكارية وخلدوا اسمه وذكره فى سجل الخالدين ، ويقول القديس بولس الرسول الجندى الصالح والرسول العظيم لى الحياة هى المسيح والموت (فى سبيله) هو ربح ، (فى ١ : ٢١) ، وكان يوصى تلميذه تيموثاوس أن يحارب المحاربة الحسنة (١ تى : ١٨) ، وان يشترك فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح وان يتشبه بمعلمه بولس الذى قال وهو لكم لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضا أن تتألموا لأجله اذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فى والآن تسمعون فى ، (فى ١ : ٢٩ ـ ٣٠) .

+ ومن صفات الجندى الصالح أيضا أنه يسهر فى خدمته ، ولا ينشغل عن واجبه المقدس بأمور أخرى لئلا يأتى العدو فى غفلة منه ويضربه ويقتله ويأخذ سلاحه ومكانه فيصير سبب عار وهزيمة لملكه ولوطنه هكذا الراهب الحريص يجب أن لا يغيب عن الهدف المقـدس الذى وضعه أمام عينيه يوم خروجه من العالم للرهبنة ، كما كان القديس أرسانيوس دائما يقول : « أرسـانى ارسـانى .. تأمل فيما خرجت لأجـــله » .

كما يجب عليه ان لا يرتبك بأعمال او مشاغل اخرى خارجة عنه وعن الطريق الذى بدأ بالسير فيه لئلا يتوه عن الهدف الأساسى لرهبنته وهو التوبة ونقاوة القلب الذى يؤدى بدوره الى خلاص النفس ودخول الملكوت ، وفى ذلك يقول الرسول بولس ، ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنده » (٢ تى ٢ : ٤) ، ويقول يشوع بن سيراخ ٠ ٠ ٠ « يا بنى لا تتشاغل بأعمال كثيرة فانك ان اكثرت منها لا تخلوا من ملام » (سى ١١ : ١١) ٠

+ ومن صفات الجندى الصالح أيضا انه يتعلم فن الحرب حتى يضمن النصر ، والغلبة على العدو ٠ هكذا الراهب الأمين لمسيحه ، والحريص على خلاص نفسه يجب عليه أن يعرف الجهاد القانونى والطريق الملوكى لدعوته الرهبانية لئلا يخسر الجعالة ، ويكون سببا فى هلاك نفسه ، ويقول القديس بولس الرسول فى ذلك : ان كان احد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا (٢ تى : ٥) ، ويقول أيضا : « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليثبت فيها » (١ كو ٧ : ٢٠) كما يقول القديس بطرس الرسول « لذلك اجتهدوا ايها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم (١) واختياركم (٢) ثابتين لانكم اذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا ، لانه هكذا يقدم لكم بسعة دخول الى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ بط ١ : ١٠ ـ ١١) ٠

+ ومن صفات الجندى الصالح أيضا الطاعة للأوامر العسكرية ولقواده ورؤسائه الى حد الموت ، هكذا الراهب يجب عليه ان يكون مطيعا لأوامر ونصائح الكتاب المقدس ثم لناموس الرهبنة من ثم رؤسائه وآبائه الروحيين ، ويطيع ليس عن ارغام او عنف أو خوف ولكن عن محبة واتضاع من أجل فائدته الروحية وخلاص نفسه ٠

+ الجندى الصالح يمتاز أن يكون حسن التدريب ويتقن التكتيك العسكرى الى أبعد حد ، كذلك الراهب يجب أن يتعلم من الرسول قوله « انا ايضا أدرب نفسى ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو

---

(١) دعوتكم : التى دعاكم اليها الله ٠

(٢) اختياركم : اى الطريق ونمط الحياة الذى اخترتموه لأنفسكم بناء على دعوة الله لكم ٠

الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) . ويطلب من الرب دائما قائلا « دربني في حقك وعلمني سبيلك لأنك أنت الله خلاصي . إياك انتظرت اليوم كله » (مز ٢٥ : ٥) . فيعطيه الرب سؤل قلبه لأن الرب « يدرب الودعاء في الحق ويعلم الودعاء طرقه » (مز ٢٥ : ٩) وبذلك تصير له الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر ، (عب ٥ : ١٤) . فالحرب الروحية مع الشياطين لها فنون وخبرات خاصـــة !

ملابس الجنـــدى :

والجندى يلبس ملابس خاصة يدخل بها ميدان المعركة لكى تحمى جسده من ضربات العدو الميتة ، فاذا راى جندى من جنود العدو شخصين أحدهما يلبس الملابس العسكرية والآخر يلبس الملابس المدنيـــة ، فإن ما يتبادر الى ذهنه هو أن يقتل أولا الشخص اللابس الملابس العسكريه لأنه جندى من جيش اعدائه المخصصين لقتاله .

هكذا الشيطان يكره ويحارب بكل قوته كل من يلبس الزى المقدس الذى للرهبنة التى هى الجنـدية الصالحة ليسـوع المسيح لأنه عندما يرى هذه الملابس المقدسة على الراهب يغتاظ ويتحرق انتقاما حسب قول المزمور « الشرير يرى فيغضب ، يحرق بأسنانه ويذوب ، شهوة الشرير تبيد » (مز ١١٢ : ١٠) .

وسبب غيظه وغضبه أنه عندما ينظر الملابس الرهبانية يتذكر آباء الرهبنة العظام الذين كانوا بحق سباع الجبال وأسـود البرارى ، الذين كانوا يلبسون هذا الشكل المقدس واوقعوا به (أى بالشيطان) من الهزائم والفضائح ومن الاهانات ما يجل عنـه الوصف ، واخـيرا انتشـوا منه وانطلقوا الى الملـكوت ، وبذلك خسرهـم الشـيطان وخلا منهـم جحيمه المرعب .

فالآن يريد الشيطان أن يثـأر لنفسـه من ابنـاء هؤلاء القديسين المكللين والجنود المحاربين المنتصرين الذين اقتفوا آثار آبائهم ولبسـوا زيهم ، ودانوا بمبادئهم ، ونصبوا أنفسهم جنودا لهـدم مملـكة العدو الشرير ، ولخلاص نفوسهم من سيطرته وشره .

وقد سأل أحد الرهبان شيخا قائلا : يا أبى ان الشيطان يتعب الرهبان أكثر من أهل العالم ؟ ! فأجاب الشيخ : نعم مثل ملك يريد أن يطرد من مملكته قوما ويدخل عوضهم اليها ، فلابد إذن أن يعادى الذين أخرجهم أولئك الذين أبدلهم بهم ، وأجلسهم على كراسيهم ، وبهما قدروا على اتيانه من الشر بهم تعدوه . فالرهبان الآن يجاهدون فى سبيل دخول هذه المملكة السمائية والجلوس على كراسيهم ، فالشياطين (الذين طردوا من السماء بسبب سقطتهم وكبريائهم ، يقاتلون الرهبان بالأكثر . فيجب عليك يا ابنى أن تطيع وتتضع للآباء الروحانيين لئلا تسقط مثلهم (أى الشياطين) فانهم بالمعظمة والمعصية لأبى الأرواح سقطوا وهلكوا (٣) .

قوة الشكل الرهبانى :

وقد أراد القديس الأنبا انطونيوس اب جميع الرهبان وأول من تسلم هذا الزى المقدس من الله ، أراد ان يخبر قوة الشكل الرهبانى ذاتى بدمية وألبسها هذه الملابس النسكية ، عندئذ رأى الشياطين تقف على بعد منها وترميها بالسهام ، فهزأ القديس من سيداجتها وأخبرها انها ترمى دمية ، فأجابته الشياطين : ان الملابس هى التى تغيظها ولذلك تكرهها (٤) .

وسبب كراهية الشياطين لهذه الملابس المقدسة :

أولا : لأن الشياطين أعداء كل بر يكرهون كل شىء مقدس لأنه يذكرهم بالقداسة التى سقطوا وحرموا منها الى الأبد .

ثانيا : لأن هذه الملابس يلبسها عادة الرهبان الذين يغرزون ويتجندون لمحاربة هؤلاء الشياطين الأردياء ، وليعملوا فى الفضيلة ويلبسوا هذه الملابس الخشنة والمكرسة برشومات ، وصلوات كثيرة لتقيهم سر حجمات أعدائهم الشياطين ، فيروى لنا تاريخ القديس العظيم الأنبا انطونيوس اب الرهبان : لما رأى الرب يسوع المسيح كثرة صبره

---

(٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٩٠ .

(٤) كتاب أديرة وادى النطرون الدكتور منير شكرى ص ١٠٣ .

وعظم احتماله أعطاه القنسوة وقال له : « يا انطونيوس بهذه القلنسوة تهزم كرانيس المردة ، وتظفر بنعمتي (٥) » .

وفي سيرة القديس الأنبا يحنس القصير نقرأ هذه الكلمات المملوءة تعزية (وبعد أن بنى الأنبا بموا تلميذه يوحنا بكلمة الله واعده بالشجاعة ليكون مهيأ للقتال مع الأعداء الخفيين ويغلب جيوش المناومين ، حلق شعر رأسه ، ووضع الشكل الرهباني على الأرض وظل يصلي عليه مع تلميذه ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وفي الليلة الأخيرة رأيا ملاكا يرتسم بيده الملابس ثلاث مرات بعلامة الصليب ثم اختفى ، وفي فجر اليوم الأخير ، ألبس الأنبا بموا تلميذه يوحنا الشكل المقدس ، وأمره بالسعي والملازمة على أعمال الفضيلة .

طقس الرهبنة الحالي :

وحتى الآن يتضمن طقس رسامة الراهب أن يهيئوا قلبه أولا بالأقوال الالهية ليكون جنديا صالحا ليسوع المسيح وأن يهيىء هو نفسه للحرب غير المنظورة فيحفظونه من يشوع بن سيراخ هذه الكلمات : يا بني ان تقدمت لتعبد الرب الاله فاثبت على البر واتقوى واعدد نفسك للتجارب . شدد قلبك واحتمل ، أمل اذنك واقبل أقوال العقل ولا تعجل وقت النوائب . التصق بالرب ، ولا تبتعد عنه لتنجوا في آخرتك . اقبل كل ما يأتي عليك بتواضع قلب وطول روح ، لأن الذهب يتجرب بالنار والمختارين من الناس بالهوان .

ومن أقوال بولس الرسول « أخيرا يا اخوتي تقووا في الرب ، وفي شدة قوته . البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس . فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين احقاءكم بالحق ولابسين درع البر . وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام .

---

(٥) ميمر الأنبا انطونيوس بمخطوطة رقم ٢٨٧ ـ مكتبة دير السريان العامر .

حاملين فوق الكل ترس الايمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله مصلين بكل صلوة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين » (اف ٦ : ١٠ - ١٧) (٦) .

وبعد أن يصلوا عليه بعض الصلوات طالبين بركة الرب على نخره ورعبنته لكى تكون سببا فى خلاص نفسه ، بعد ذلك يصلون على الملابس الرهبانية بعض الصلوات ، ثم يرشم أب الدير الملابس بالرشوم المعروفة لتكريسها ثم يلبسها له قطعة قطعة بصلوات معينة :

فيلبسه الثوب وهو يقول :

« البس ثوب البر **ودرع النور** ، واصنع ثمرة تليق بالتوبة بالمسيح يسوع ربنا هذا الذى ينبغى له المجد الى الأبد آمين » .

ثم يلبسه القلنسوة وهو يقول :

« البس قلنسوة الاتضاع **وخوذة الخلاص** ، واعمل ثمرة صالحة بالمسيح يسوع ربنا هذا الذى ينبغى له المجد الى الأبد آمين » .

ويمنطقه بالمنطقة وهو يقول :

« شد على حقويك بجميع **رباط الله** وقوة التوبة بالمسيح يسوع ربنا » (٧) .

وهكذا نلاحظ تكرار بعض الكلمات التى تسمى بها الملابس العسكرية مثل درع ، وخوذة ، وهكذا ...

---

(٦) عن طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان (مخطوطة صغيرة نسخ الراهب ـ افطيخيوس السريانى (غبطة البابا شنوده الثالث) ص ٦ ـ ٧ .

(٧) عن طقس رسامة الراهب بدير السريان ـ (مخطوط) .

الملاك يسلم القديس انطونيوس زى الرهبنة المقدس :

يروى لنا بستان الرهبان هذه القصة :

كان القديس الانبا انطونيوس جالسا يوما فى قلايته فأتى عليه بغتة روح صغر نفس وملل ، وحيرة عظيمة وضاق صدره ، وبدأ يشكو الى الله ويقول : يا رب انى أحب أن اخلص لكن الأفكار لا تتركنى فماذا أصنع ؟! وقام من مكانه ، وانتقل الى مكان آخر وجلس واذا برجل جالس أمامه عليه اسطوانة (ثوب طويل) متوشحا بزنار صليب مثال الاسكيم ، وعلى رأسه **كوكلس (قلنسوة) شبه المذوذة** وكان جالسا يضفر الخوص واذا بذلك الرجل يتوقف عن عمله ويقف ليصلى ، وبعد ذلك جلس يضفر الخوص ثم قام مرة ثانية ليصلى ثم جلس ليشتغل فى ضفر الخوص وهكذا ... اما ذلك الرجل فقد كان ملاك الله الذى أرسله لعزاء القديس وتقويته اذ قال لأنطونيوس : اعمل هكذا وانت تستريح .

من ذلك الوقت اتخذ انبا انطونيوس لنفسه ذلك الذى هو شكل الرهبنة ، وصار يصلى ثم يشتغل فى ضفر الخوص ، وبذلك لم يعد الملل يضايقه بشدة فاستراح بقوة الرب المسيح له المجد » (٨) ، وصار القديس انطونيوس يلبس هذا الزى لكل من يتتلمذ ويترهب على يديه .

قطع الملابس الرهبانية ورموزها الروحية :

قال القديس دوروثيوس ، ان القديسين أفرزوا للرهبنة شكلا فيه رموز لغرضها . اما **القلونية** (اى القصارية) التى ليس لها اكمام فاذا اردنا أن نعمل بايدينا شرا كالسرقة او الضرب او غيره فانها تقصر ايدينا كتقصير كمنا . واما الاشتداد **بالمنطقة** للتفكر والاجتهاد فى خدمة الله (بالعبادة والصلاة) ، وكونها من جلد ميت لتميت أوجاعنا . **واما الأباليون بشبه الصليب** فاشارة الى حمل الصليب واتباع سيدنا . واما **القوقلية** (او الكوكلس اى القلنسوة) فهى شبه الخذق وهو لباس الأطفال والأطفال لا مكر عندهم ولا حقد ولا نجاسة ولا اقامة هوى . وذلك هو اكبر أغراض الرهبنة (٩) » .

---

(١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٢٨ .

الاسكيم المقدس :

والمقصود بالاباليون فى كلام القديس دوروثيئوس هو « الاسكيم » الذى كان الملاك متوشحا به عندما ظهر للأنبا انطونيوس ، واستلمه منه القديس انطونيوس ضمن الزى المقدس .

« الاسكيم » كلمة قبطية معناها « شكل » وهو عبارة عن قطعة من الجلد المصفور تتحلله الصلبان على ابعاد متساوية ، وهو يحيط بالصدر والظهر ، به صليبان كبيران احدهما للصدر والآخر للظهر ثم اثنا عشر صليبا صغيرا وكلها من الجلد المصفور .

وكان يلبسه النساك الذين بلغوا درجة عالية من النسك والتقشف .

وللاسكيم قوانين نسكية عالية وصارمة يجب أن يتبعها الراهب الاسكيمى أى « لابس الاسكيم » منها :

١ - يتلو كل يوم سفر المزامير بأكمله (١٥٠ مزمورا) يقسمها على أوقات الصلوات .

٢ - يتلو التسبحة اليومية .

٣ - يعمل يوميا ٥٠٠ مطانية .

٤ - يلزم السكوت والصمت بحيث لا يتعدى كلامه ٧ كلمات يوميا .

٥ - يقرأ كثيرا فى الكتاب المقدس بعهديه وفى كتب الآباء ، أقوالهم وسير حياتهم .

٦ - يصرف العمر جميعه صوما ، ويصوم كل يوم الى المغروب .

٧ - يقنع بالضرورى من الطعام والشراب والنوم حتى يصل الى الصفاء النفسى والذهنى .

عندما يصل الراهب الى الدرجة التى تؤهله للبس الاسكيم ويطلب هو أن يلبسه يعمل له قداس خاص ، فيه يقوم اب الدير بالباسه الاسكيم .

طقس لبس الاسكيم :

يشبه الى حد كبير طقس رسامة الراهب ، لكن كل الصلوات والرشومات التى كانت تعمل على الملابس الرهبانية تعمل هنا على الاسكيم الجلدى المصغر .

ويقول أب الدير فى احدى هذه الصلوات « نسأل ونتضرع الى صلاحك يا محب البشر اجعله مستحقا للاسكيم الذى هو علامة الصليب الكريم الذى لابنك الوحيد ، وموته المحيى لكى يحيا معه فى الدهر الآتى الى الأبد . آمين » .

ثم يلبسه الاسكيم وهو يقول :

« البس الخاتم الذى لمربون ملكوت السموات الذى هو الاسكيم المقدس . **احمل على ذراعيك مثال الصليب الكريم** . اتبع المخلص ربنا يسوع المسيح الاله الحقيقى لكى تورث نور الحياة الأبدية بقوة الثالوث المقدس . الآب والابن والروح القدس » (٩) .

وبعد اتمام بقية صلوات لباس الاسكيم وقراءة الوصية الخاصة به يشترك الراهب الاسكيمى فى القداس الالهى ويتناول من الأسرار المقدسة .

ثم يبدأ فى الجهاد العظيم الخاص بلباس الاسكيم ويصبح يحق من « لباس الصليب » .

قطع ملابس الرهبنة :

والمستعمل حاليا فى طقس الرهبنة العادى من قطع ثياب الرهبنة هى الثوب الطويل والقلنسوة وكلاهما من القماش الأسود ، ثم منطقة الجلد ويكون مضفورا عليها ثلاثة صلبان من الجلد ايضا .

« وكان من عادة الآباء الرهبان المصريين أن يحافظوا على الملابس التى حصلوا بواسطتها على الشكل المقدس الى أن يتنيحوا فيدفنوا فيها ، اما فى حياتهم فكانوا يلبسونها فى يوم الرب فقط لأجل التناول ثم

---

(١) مخطوطة رقم ٦٥٣ أ طقوس بمكتبة دير السريان العامر .

يخلعونها بعد ذلك مباشرة ، وكان غرضهم من ان يحفظوا فيها هو ان يبعدوا الشيطان عن اجسادهم . كما كان غرضهم من لبسها عند التناول أن ينقوا شر هجماته التى كانت تزداد عنفا فى ذلك الوقت ، (١٠) .

وما زالت بعض هذه العادات موجودة بين الرهبان حتى الآن ، فبعض الرهبان يحتفظون ببعض ملابس الرهبنة التى تسلموها يوم رسامتهم لتكون وسيلة دائمة لتذكيرهم بيوم رهبنتهم وموتهم عن العالم وعفهم المقدس الذى نزعموا من أجله . ثم لكى يحفظوا فيها عند نياحتهم .

أما بخصوص التناول فبعض الرهبان الذين لا يلبسون القلنسوة فى حياتهم اليومية العادية يلبسونها عند مباشرة خدمة القداس والتناول .

ولأهمية هذه الملابس ـ خصوصا المنطقة والقلنسوة ـ فى حفظ الراهب من هجمات العدو وأفكاره الشريرة قد نصحنا الآباء والشيوخ وسلمونا أنه يجب رشمها بعلامة الصليب على اسم الثالوث الأقدس قبل لبسها ، وذلك فى الحالات التالية :

١ ـ عند وقوع المنطقة أو القلنسوة على الأرض .

٢ ـ بعد غسل القلنسوة ، عندما تجف ويريد الراهب أن يلبسها .

٣ ـ اذا تركت المنطقة أو القلنسوة لسبب ما مدة من الزمن لم يلبسها الراهب ثم أراد لبسها .

وللمنطقة الجلد التى يلبسها الراهب على حقوية منفعة روحية وجسدية عظمى أما المنفعة الروحية فتكمن فى الصلبان المصفورة فيها وفى الرشم الذى يرشمها به الكاهن فحينما يتمنطق بها الراهب فى وسطه تقع تماما على كليتيه فى مقابل مركز الغريزة الجنسية فبقوة الرشوم والصلبان يحتفظ الراهب بطهارته ولا تثور عليه الشهوات الجنسية بشدة . أما المنفعة الجسدية التى للمنطقة فهى انه عندما يتمنطق بها الراهب فى وسطه تساعده على الصوم وتحمل الجوع كما تساعده فى عمل المطانيات والسجدات المتواترة .

---

(١٠) كتاب أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ص ١٠٢ .

المنطقة فى الكتاب المقدس :

وقد وردت بخصوص المنطقة تعاليم كثيرة فى الكتاب المقدس ، فالرب يسوع ينصح تلاميذه قائلا ، **لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة** ، (لو ١٢ : ٣٥) وذلك يعنى الاستعداد والسهر للعمل والجهاد فى الدعوة التى دعوا اليها ، تماما مثل الجنود الذين يلبسون فى وسطهم ، الدابش ، عندما يكونوا فى خدمة ، حتى اذا جاء سيدهم ووجدهم يفعلون هكذا ، يتمنطق هو ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم ، (لو ١٢ : ٣٨) يكرر الرسول بطرس نصيحة السهر والجهاد ، لا بلبس هذه المنطقة المنظورة فقط بل بلبس منطقة أخرى غير منظورة فيقول ، **منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين** ، (١ بط ١ : ١٣) .

وكانت المنطقة فى حياة الرسل تعنى أيضا التقشف والنسك وعدم اقتنية ، فيقول لهم الرب ، لا تقتنوا لكم ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ، (مت ١٠ : ٩) .

وكانت المنطقة التى يلبسها حرون الكاهن اثناء خدمته والمصنوعة من الكتان النقى ترمز للعفة والطهارة (لا ١٦ : ٤) لأن الكتان النقى كلما ذكر فى الكتاب المقدس يرمز لهذه الفضيلة العالية .

القلنسوة :

اما القلنسوة بشكلها البسيط فهى عبارة عن شريط طويل رقيق ، يكون طوله بالتقريب ٧٠ أو ٨٠ سم وعرضه ٥ أو ٧ سنتيمترات ، يعمل عند طرفيه صليبين مطرزين ، يضع الراهب أحد طرفى هذه القلنسوة على رأسه تحت الطاقية بحيث يكون الصليب فوق مركز المخ تماما ، فيعمل على حفظ العقل من الأفكار الشريرة ، وتتدلى القلنسوة على الظهر حتى تصل الى ما بعد المنطقة المشدودة فى الوسط فتعمل معها تقاطعا على شكل صليب ، يتلوه الصليب المطرز على الطرف السفلى للقلنسوة .

وقد انتشر أخيرا فى بعض الأديرة ، وبشكل يكاد يكون جماعيا لبس قلنسوة تشبه الى حد كبير تلك القلنسوة التى كان يلبسها القديس انطونيوس ، والتى نراها على رأسه فى الأيقونات الأثرية الخاصة به ، وهى تغطى الرأس كلها ثم تتدلى على القفا الى الكتفين فقط ، وهى تشبه

غطاء راس الاطفال تماما ، وهى بذلك تشير الى روح البساطة التى يجب ان يتحلى بها الراهب .

وبالجزء العلوى من هذه القلنسوة وهو الجزء الذى يغطى الراس ، مرسوم بالتطريز اثنا عشر صليبا ، ستة صلبان من كل ناحية ، وهى تشير الى تلاميذ المسيح الاثنى عشر . اما فى وسطها فيوجد مزق يبدأ من اولها فوق الجبهة حتى يصل الى ثلثها تقريبا ، وهذا المزق مخاط بطريقة عمل الشبكة بعرض قيراط تقريبا بحيث يظهر المزق واضحا ، وقطعتا القلنسوة متباعدتان عن بعضهما قليلا ، وتربط القلنسوة فى الرقبة من الامام بشريطين رفيعين .

والقلنسوة بشكلها الحالى الذى يشبه الخوذة التى يلبسها الجندى فى الحرب لوقاية راسه التى هى اهم جزء فى جسده من سهام العدو القاتلة ترمز الى « خوذة رجاء الخلاص التى نصح بولس الرسول المؤمنين ان يلبسوها ضمن الأسلحة الروحية الكثيرة التى ذكرها لهم » (اف ٦ : ١٠ ـ ٢٠) وهى تفيد أن يتعلق لابسها دائما برجاء الخلاص المعلن لنا فى المسيح يسوع المصلوب على الصليب المقدس .

البابا شنوده الثالث وطقس الزى الرهبانى :

واول من استعمل هذه القلنسوة فى عصرنا الحديث هو قداسة البابا شنوده الثالث قبل أن يصير بطريركا ، وما زال يستعملها ويظهر بها كثيرا حتى بعد أن صار بابا وبطريرك الكرازة المرقسية ، خصوصا حينما يكون قداسته موجودا فى الدير بين ابنائه الرهبان ثم انتشر استعمالها فى بعض الأديرة وخصوصا دير السريان والأنبا بيشوى واصبحت هذه القلنسوة تسلم للراهب الجديد عند رسامته ضمن الزى الرهبانى بدل القلنسوة القديمة الرقيقة والطاقية .

ويرجع تصميم هذه القلنسوه بالشكل الذى وصفناه سابقا خصوصا المزق الواضح الموجود فى وسطها الى القصة المتواترة بين الرهبان والتى تروى أن الشيطان عندما اغتاظ من القلنسوة التى كان يرتديها الأنبا انطونيوس أب الرهبان والتى كانت تغطى راسه كله وتشبه الخوذة اراد الشيطان أن ينزعها من على راسه بالقوة ، وعندما امسكها ليخطفها من

على رأس القديس أمسكها القديس انطونيوس بقوة ، ولما شدها الشيطان بعنف لتخليصها من بين يدى القديس انمزقت فى وسطها وهى بين أيديهما. ولما استعان القديس بالرب ورشم ذاته بعلامة الصليب انحلت قوة الشيطان وأصبح كالدخان وولى هاربا تاركا للقديس قلنسوته المهزقة . فأخذها القديس وخاطها بالابرة الغليظة التى يخيط بها الضفائر (الحلة) ثم لبسها .

ويوجد لهذه القصة أصل فى سيرة القديس أنطونيوس ، فيروى لنا ميمر خاص بالقديس انطونيوس ضمن مخطوطة رقم ٢٥١ ميامر بمكتبة دير السريان العامر القصة التالية ، ننقلها ببعض التصرف والايجاز :

« كان القديس انطونيوس نازلا الى الريف ليبيع شغل يديه من الضفائر . وفى الطريق وقعل خداع الشيطان صانع شر ماء وعلى الشاطىء امرأة جالسة ، بابهة عظيمة وحولها جواريها ، وكان هو الشيطان متشبها بامرأة ملكة عظيمة ، فلما أبصرها القديس ولى هاربا ، فناداته المرأة قائلة : قف أيها الرجل من اجل الله لأن لى زمانا طويلا أطلبك لكى تعلمنى طريق الخلاص وتربح روحى . عندئذ وقف القديس لتتكلم معها ، فأخذت تحدثه عن مملكتها العظيمة وغناها الكثير وعبيدها وجواريها ، ثم أخذته الى المدينة العظيمة التى تملك عليها وتسوس اهلها وجعلته يشاهد كل مجدها وعظمتها . ثم أخبرته عن زوجها الملك التقى الذى مات ، وقد عرض عليها كثير من الملوك الزواج منها فرفضت لأنهم لم يكونوا فى درجة زوجها الملك الراحل فى التقوى ومخافة الله وعمل المعجزات ، ثم عرضت على القديس الزواج منها لأنه انسان تقى وخائف الله وصاحب معجزات مثل زوجها المتوفى تماما ، وأنه هو ضالتها المنشودة وأنه اصلح رجل للزواج منها ليرث ويتمتع بكل ما رآه من ملك وعظمة وجاه وبهجة كملك عظيم ، وبذلك يستطيع أن يعمل الخير على أوسع نطاق ويوزع من الأموال ما يشاء على المساكين والمحتاجين ، فيرث بذلك ملكوت السموات وذلك بدل شقاء البرية وتعبها وحروبها ومخاوفها الكثيرة كانت تغويه وتميل قلبه لسمع مشورتها الرديئة الشيطانية .

ولما لم يرضخ القديس لكلامها الشيطانى اختفت منه جدا وتقدمت اليه وشممته روائح طيبها وعطرها ، ثم وضعت يدها على القلنسوة تريد أن تنزعها من على رأسه ، فأمسكها القديس بيده وصرخ قائلا : الحق

قول لك ليس انك تجعلينني ملكا على هذه المدينة وأرضها بل وكل ممالك العالم بأسرها لا أرضى بها بديلا عوض هذه القلنسوة التي قال لي سيدي يسوع المسيح عنها انك بهذه القلنسوة تكسر قوة العدو ، وبها تهدم كراديس الشياطين المردة ، وبهذه القلنسوة الطاهرة تبدد عظمة الشيطان وتشتت سائر جنوده . فاذا خلعت هذا السلاح فلا يبقى لي شيء أحارب به اعدائي . لا يكون هذا ابدا ولا أفارقها ابدا . فابتدا الشيطان المتشبه بالمرأة يخلعها عنه غصبا ، فرسم القديس على وجهه بعلامة الصليب المقدس وصرخ قائلا : قد علمت بالحقيقة انك أنت العدو ، ثم صرخ قائلا : يا رب يسوع المسيح أعني ، حينئذ صارت تلك المرأة قدامه كجبل عظيم اسود يخرج منه نيران ودخان ، واجتمع الشياطين حوله قائلين : قد غلبتنا أيها الشيخ المسوء الردي، الترابي الضعيف وزعزعت اساسات قلوبنا وابطلت كل قوتنا وحيلتنا وكسرت كل فخاخنا ، ثم هموا بضربه وجرجرته فصرخ الى الرب فظهر له السيد المسيح ، فتفرقت وهربت من حوله الشياطين ثم عزاه الرب وقواه وصعد الى السماء بمجد عظيم .

ولما افاق القديس الى نفسه وجد ذاته في البرية القفرة وضفادع الخوص بجواره ، فاخذها وعاد راجعا الى قلايته شاكرا الرب الذي خلصه من هذه التجربة الصعبة التي تعرض لها ... .

وكان القديس انطونيوس يهتم جدا بقلنسوته اكثر من اي شيء آخر ، فيروى لنا نفس المؤرخ في مكان آخر منه أن الشياطين تجمعوا مرة حول القديس واخذوا يضربونه ضربا شديدا ، وجرجروه من فوق الجبل الى اسفل وهم يقولون : امض من ارضنا أيها الترابي والا سلبناك واعدمناك حياتك ، وخاف القديس على قلنسوته فامسكها بشدة وهو يقول : « لا تنزع يا رب عني اكليل التعب والنعمة الذي توجتني به ارحمني يارب وأعني » فهربت الشياطين من صلاته الملوءة اتضاعا .

من كل ما تقدم نعرف مقدار عظمة ملابس الشكل الرهباني ومدلولاتها الروحية وفوائدها للراهب الذي هو جندي صالح للرب ، تماما كبذلة الميدان وعدة الحرب التي يلبسها الجندي في ميدان القتال .

الفصل الثالث عشر

الرهبنة أفضل من المملكة

قال شيخ : « كما ان الانسان الذى ترك المملكه وترهب يمدح من كل العقلاء والفضلاء ، لان الرهبنة افضل من كل ما تركه اذ هى تؤصل الى المملكة السمائية الدائمة . كذلك اذا ترك انسان الرهبنة وصار ملكا فانه يذم من كل الفضلاء » (١) .

وتاريخ الرهبنة ملىء بالقديسين الذين تركوا الممالك والعروش ونزحوا الى البرارى والقفار وترهبوا وعاشوا غرباء مساكين من اجل محبتهم فى الملك الحقيقى يسوع المسيح وملكوته الأبدى الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل المحفوظ فى السموات لأجلنا .

فكلنا نعرف سيرة القديسين العظيمين مكسيموس واخيه دوماديوس ابنى الملك قسطنطينوس اللذين تركا قصر ابيهما وكل ما فيه من مجد وكرامة وكل ما ينتظرهما من ملك وعرش وعظمة ، وترهبا فى سورية عند القديس اغابيوس ولما تنيح بابا روما فى ذلك الوقت رشحوا مكسيموس خلفا له ولما شعر القديسان بذلك هربا من سوريا وجاء الى برية شيهيت عند القديس مكاريوس وفى الأسقيط عاشا عيشة الزهد والنسك والغربة والمسكنة الى أقصى الحدود حتى اكملا جهادهما وتنيحا بسلام وورثا مع المسيح الملكوت الأبدى بدلا من الملك الزمنى (٢) .

وهذه القديسة ايلارية ابنة الملك زينون التى تركت القصر الملكى بكل ما فيه من التنعم والعظمة وتزيت بزى الرجال وجاءت الى برية شيهيت بديار مصر وكان عمرها وقتئذ ٢٨ سنة وهناك سكنت فى مغارة

---

(١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٢٥ .

(٢) سنكسار ١٤ طوبة ، ١٧ طوبة .

لمدة ٢٠ سنة تحت تدبير الأنبا بمو ، عابدة بأصوام وصلوات ليلا ونهارا حتى نالت نعمة اخراج الشياطين (٣) .

والقديسة انسطاسية التى كانت من اعرق العائلات بمدينة القسطنطينية ولكونها كانت جميلة الخلق والخلق طلبها الملك يوستنيانوس ليتزوجها لتصبح ملكة ، فأبت مفضلة أن تكون عروسا لملك السماء والأرض الرب يسوع فسافرت سرا الى مدينة الأسكندرية ، وهناك بنت لها دير خارج المدينة سمى باسمها ، ولما علم الملك بأمرها ارسل فى طلبها فهربت الى برية شيهيت متشبهة بأحد الأمراء ، وهناك سكنت فى مغارة منعزلة تحت ارشاد الأنبا دانيال قمص البرية ، واقامت على هذه الحال ٢٨ سنه عابدة بأصوام وصلوات وجهادات مضنية حتى يبس جسمها من شدة النسك ، ثم تنيحت بسلام وذهبت بتولا طاهرة الى عريسها الحقيقى الرب يسوع لترث معه فى ملكوت السموات الى الأبد(٤) وقد قال لها معلمها الأنبا دانيال عند نياحتها : مغبوطة انت لانك اهتممت بهذه الساعة ورفضت المملكة الأرضيه (٥) .

وليس أمراء وأميرات فقط تركوا التصور الملكية ليترهبوا فى البرارى المقفرة بل وملوك بالفعل تركوا عروشهم برضاهم وسلموها لآخرين بمحض ارادتهم ونزحوا الى البرارى والأديرة ليحيوا حياة التجرد الكامل والبساطة والهدوء ، عاشوا فى البرارى بعيدا عن الأضواء والعظمة حبا فى المسيح الذى ترك عرش السماء وأمجاد الملكوت ونزل الى الأرض فقيرا معدما ليس له أين يسند راسه وأخيرا صلب على الصليب وشرب كاس الآلام صرفا مترعا من أجل خلاصهم وخلاص كل البشرية .

فيروى لنا التاريخ (٦) سيرة الملك سلمون (٧) ملك النوبة الذى تنازل عن العرش لجورجا ابن اخته لأنه احس برغبة قوية فى الدخول الى

---

(٣) سنكسار ٢١ طوبة .

(٤) سنكسار ٢٦ طوبة .

(٥) كتاب التدبيس الأنبا دانيال قمص برية شيهيت للاستاذ يوسف حبيب ص ٨٤ .

(٦) كتاب قصة الكنيسة القبطية بقلم ايريس حبيب المصرى ج ٣ ص ١١٣ .

الدير . واختار دير القديس الأب نوفر السائح فى الوادى الذى يحمل اسمه الذى يقع على الحدود المصرية النوبية .

وكان والى أسوان اذ ذاك اسمه أسعد الدولة ، فجاءه بعض رجالة يسألونه : أتريد أن نأتى اليك بسلمون ملك النوبة ، ورغم السلام السائد الذى أقر دعائمه بدر الجمالى أجاب أسعد الدولة ان ذلك ليسعدنى فذهبوا خلسة الى حيث يقيم الملك واحتوه على غرة واحضروه الى واليهم . فجاء معهم من غير مقاومة اذ كان قد اختار طواعية ترك أمجاد العالم . وعيا له أسعد الدولة حرس شرف ليرافقه الى القاهرة اذ قد رأى ايفاده الى الخليفة وما أن أشرف على المدينة وسمع رجال الحكم بمقدمه حتى سارع بدر الجمالى الى استقباله بالطبول والدفوف ثم اعد له منزلا مستكمل الاثاث والأوانى وانزله فيه وتقبل الملك سلمون كل مظاهر الحفاوة بدعة وسكون. وكان ذلك فى عهد بطريركية البابا كيرلس الثانى (١٠٧٠ - ١٠٨٤) وكان محبوبا من الوالى وساد السلام والمحبة بين عنصرى الأمة ...

وهكذا كانت اقامة سلمون سببا فى تعزيز صلات المودة والتقدير بين القبط والمسلمين رغم انها لم تدم غير سنة واحدة انتقل بعدها الى دار النعيم ودفن فى دير الخندق (٨) .

وليس الملك سلمون فقط هو الذى ترك الملك والعرش وترهب وانما توجد ملكة امراة قد تركت العرش ايضا وترهبنت وهى القديسة اناسيمون الملكة السائحة .

وقد كانت هذه القديسة ابنة احد ملوك الروم وبعد زيارة والدها الملك وضع الأب البطريرك التاج على راسها وتوجها ملكة مكان ابيها .

ظلت تسوس المملكة سنة واحدة كانت خلالها تمارس الصوم والصلاة والسهر وتبذل الهبات والعطايا للمحتاجين كما اعتادت منذ نعومة أظافرها .

---

(٧) أى سليمان .

(٨) دير الخندق المعروف الآن بدير الأنبا رويس بالقاهرة . ولم يبق من الدير سوى كنيسة صغيرة باسم الأنبا رويس فيها مقبرتان مقبرة الأنبا رويس ومقبرة سليمان (الملك سلمون) .

انفردت ذات ليلة واحدت تفكر فى زوال الملك الارضى وبقاء الملك السمائى الى الأبد ، وكانت تقول يا نفسى لا تغرك زينة الدنيا وبهجتها ولا يخدعك زخرفها ونعيمها فليس للدنيا بقاء بل هى زائلة بكل ما فيها ، اما سمعت قول الرب يسوع فى الانجيل المقدس « كل من لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » .

وللوقت حققت القول بالعمل ونزعت تاج المملكة من على راسها وقالت « لأجل محبتك يا ربى والهى يسوع المسيح رفضت مملكة هذه الدنيا الفانية ، وان كنت انا اعمل كامرأة (ضعيفة) فاعمل انت معى كالله قادر ان تحقق لى مواعيدك الصادقة .

ثم وضعت لباس الملكة على عرش المملكة وكتبت خطابا للاب البطريرك ليدبر المملكة كما يرشده السيد المسيح له المجد . وجاء بخطابها قولها « لأجل سيدى المسيح أودع المملكة التى ورثتها عن آبائى وأجدادى تاركه اياها لأجل محبته العظيمة » .

ثم خرجت متنكرة واخذت تتنقل فى البرارى حتى هداها الرب الى دير للعذارى اسمه « دير أرميوس » به ثلاثمائة راهبة تحت تدبير وارشاد الأنبا دانيال قمص برية شيهيت .

مكثت القديسة اناسيمون فى هذا الدير مدة من الزمان تعمل أحقر الأعمال حتى كشف امر قداستها وفضيلتها فاضطرت للخروج من الدير ، وتاهت فى البرارى حتى وصلت الى رئيسة السواح ، وانضمت الى مجموعة سواح عددها أربعمائة مسافر حتى تنيحت بسلام ونالت اكليل وتاج الحياة الأبدية ، فى الملكوت الأبدى بدل تاج المملكة الأرضية الذى تركته (٩) .

ونقرأ فى سيرة القديس الأنبا بيشوى كوكب البرية القصة الطريفة التالية :

فى ذات يوم مضيت أنا الحقير يوحنا (يوحنا القصير قمص برية شيهيت) لأفتقد الأنبا بيشوى ، فلما بلغت باب المغارة سمعت انسانا فى

---

(٩) عن كتاب القديسة اناسيمون وآخرين للاستاذ نبيه نصر ص ٧ ـ ٢٥ .

الداخل يتكلم مع الشيخ ويبكى . فلمـا قرعت البـاب فتح لى فصليت وجلست معه . ثم قلت له يا أبى من هذا الذى كان يكلمك فى هذه الساعة . مقال لى : هل سمعته . انه قسطنطين الملك العظيم حضر عندى بحزن وقال لى . لماذا لم أعلم بهذه الكرامة المعدة للرهبان لأجل غربتهم وفقرهم على الأرض . حتى كنت أترك ملكى وأترهب انا ايضا . فقلت له ألم يعطك الرب اجرك فى السماء . أجابنى نعم ولكنى لم أبلغ كرامة الرهبان لانى ابصر قوما منهم اذا خرجوا من الجسد لا يكونون مثل الذين يجلسون على الأبواب بل يأخذون أجنحة من نار ويطيرون من فوق الحصون الى المدينة المقدسة اورشليم السمائية .

فقلت له أيحق لك أنت الذى لك الزوجة والأولاد والعبيد والغنى والزينة والملك أن تصير مثل الذين تركوا بيوتهم وجميع اموالهم وعدموا خيرات الدنيا يرقدون على الأرض ويسهرون الليل ويصومون بنسك على أنواع كثيرة معذبين متضيقين متألمين تائهين فى البرارى والمغاير وشقوق الأرض . هؤلاء الذين نطق بولس الرسـول الطاهـر من أجلهـم قائلا ان العالم لم يكن مستحقا لهم . وعندما قلت له هـذا قرعت أنت البـاب . فللوقت صعد الملك قسطنطين الى السماء .

فلما سمعت هذا الكلام من الشيخ الأنبا بيشوى نلت عزاء كثيرا . وقلت مبارك الرب الاله الذى يظهر عجائبه لقديسيه فى كل مكان (١٠) .

وحتى الآن تجـذب الرهبنة بحياتها الهـادئة وطـريقها البسيط المضمون عواقبه ـ بنعمة اللـه ـ أكثر من اى طـريق آخر . تجـذب اليها الكثيرين من علية القوم . تجذب الشباب من اعرق العائلات وأكثرها غنى . تجتذب الشباب الذين وصلوا الى اعلى المستويات العلمية وأعلى المناصب فى العالم . نرى الآن فى الأديرة رهبانا يحملون العديد من الدرجات العليا كما نرى رهبانا كانوا فى الأمس القـريب أطبـاء ناجحين او مهندسين نوابغ أو محامين مقتدرين أو مدرسين علماء ناجحين ...

---

(١٠) كتاب تاريخ القديس العظيم الأنبا بيشوى للمتنيح القس ابراهيم الأنبا بيشوى ص ١١ ، ١٢ .

وقد ترك هؤلاء واولئك عروسهم وسلطاتهم ومناصبهم وزحفوا الى الاديرة والبرارى طلبا لحياة الرهبنة ايمانا منهم بان خلاص النفس بعيدا عن المسئوليات والمراكز الخيالية اسهل بكثير مما لو كان الانسان متنعما أو رئيسا .

قدوة حسنة :

ولنا فى الرب يسوع مثلا عاليا وقدوة حسنة فى الهروب من مجد العالم وغروره فقد هرب من المجد العظيم الذى قدم له وهو الملكة واختار الم الموت وذلك لكى يشترك معه اعضاء جسده فى الهروب من مجد العالم وفى اختيار الباب الضيق والطريق الكرب المؤدى الى الحياة الابدية . ميقول عنه الكتاب « واما يسوع فاذ علم انهم مزمعون ان يختطفوه ويجعلوه ملكا انصرف الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٥) .

وقد رتبت الكنيسة أن تكون هذه الآية هى البداية التى يبدأ بها انجيل صلاة الستار الخاصة بالرهبان فقط ، يصلون به كل مساء ليذكرهم أنهم متنقون لآثار سيدهم وهاربون الى الجبال والبرارى نبذا للعالم الشرير منصرفون عن امجاده كما فعل سيدهم ، مختارون لأنفسهم الطريق الضيق الذى للرهبنة ليوصلهم الى سيدهم فى أمان وضمان .

+ + +

الفصل الرابع عشر

الرهبنة فلسفة المسيحية

قال شيخ :

« لا تكون تحت السماء أمة مثل المسيحيين اذا أكملوا ناموسهم ، كما لا توجد مرتبة جليلة كمثل مرتبة الرهبان اذا حفظوا طقوسهم » (١) .

وقال آخـــر :

« ان المسيحيين الحقيقيين هم أفضل الأمم ، والرهبان هم أفضل المسيحيين » (٢) .

وقال أنبا يوحنا القصير :

« بالرغم من أننا (أى الرهبان) نفر قليلون فى نظر الناس ، لكن دعنا نقدر الشرف الذى لنا أمام الله » (٣) .

تقول مقدمة طقس رسامة الراهب :

« اذا أراد انسان أن يصير راهبـا فانه يقيم ثلاث سنين يتعلم حدود الرهبنة ويعظونه من كتاب البستان الذى لآبائنا القديسين لابسى الصليب **ويرشدونه الى الفلسفة الحقيقية التى هى الرهبنة** » (٤) .

وتقول مقدمة قانون الرهبنة القبطية :

« الرهبنة هى الفلسفة الشريفة المسيحية ، والرهبان هم ملائكة ارضيون وبشر سمائيون تابعون المسيح حسب طاقتهم فى جميع أخلاقهم ، متشبهون برسله فى التجرد من قنايا العالم ورفض شهواته ، ورفض كل شىء حتى نفوسهم من أجل طاعته ومحبته ، عاملون بوصاياه التى أمر بها

(١،٢،٣) بستان الرهبان طبعة بنى سويف ص ١٢٥ .

(٤) عن طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان .

بريدى الكمال ، محبون له وحده اكثر من الاباء والأبناء والزوجة والمال ، انهم مغبطون على الراحة من الاتعاب الحاضرة الاضطرارية والنجاة من عقوبات الآخرة الأبدية ، ومغبطون على ما اعد لهم من اعالى منازل الملكوت السمائية عن اتعاب حقيقية اختيارية » (٥) .

من كل النصوص السابقة نستطيع ان نستنتج حقا ان الرهبنة هى فلسفة الديانة المسيحية . وهى فكرة روحية فلسفية عالية ، يتجرد معتنقها عن كل ما يمت للعالم والجسد بصلة ، اذ يدرك بحكمته الروحية ودراسته للوصية فناء الجسد وكل ملذاته وزوال العالم وكل امجاده . وفى الدير يقوم بالرياضات الروحية المختلفة محاولا ان ينمو دواما فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح (٢ بط ٣ : ١٨) .

ولقد وصل الآباء الرهبان الذين اعتنقوا هذه الفكرة عن اقتناع الى درجة لا تبارى فى القداسة والفضيلة والاتحاد بالله ، فصبحت حياتهم المثل ، وأصبحوا بشرا سمائيين وملائكة ارضيين .

كانت كلمة « النسك » عندهم تعنى التضحية بكل غال ورخيص وكل امل ورغبة مهما كانت بريئة او طبيعية ، لكى لا تقطع عليهم عبادتهم وتأملاتهم المتواصلة بالالهيات .

احسن فلسفة وأحسن فيلسوف :

الفلسفة هى « محبة الحكمة » (فيلوصوفيا) ، والفيلسوف هو « محب الحكمة » يحب الحكمة . ويدرسها ويتضلع فيها .

وبما أن الله هو الحكمة الحقيقية ، المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ، (كو ٢ : ٣) . والذى قال « انا الحكمة » (أم ٨:١٢) .

وبما أن الراهب انسان محب لله يخرج الى البرية طالبا التعمق فى محبته متمنيا التبحر فى معرفة حقيقية شخصية اختبارية ، وفى البرية يلهج نهارا وليلا باسم الله القدوس قائلا « قلبى يلهج بالحكمة » (مز ٢ : ٣) .

---

(٥) كتاب « خلاصة قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية » الصادر عن المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية سنة ١٩٣٧ ص ٢ .

وعندما يقتنى الراهب الله فى داخله بكثرة صلواته وممارساته الروحية ورياضاته التقوية يصبح انسانا حكيما بالله . وهذه أعظم حكمة .

ومن ناحية أخرى يقول أيوب الصديق « مخافة الرب هى الحكمة » (أى ٢٨ : ٢٨) . ويقول المرتل « رأس (بداية) الحكمة مخافة الرب » (مز ١١١ : ١٠) .

أى أن مخافة الرب وهيبته والتخشع أمامه هى أعظم فلسفة ورأس ورأس وبداية كل حكمة لأن الرب يقول « أن كنت سيدا فأين هيبتى » (ملا ١ : ٦)

والراهب من ناحية اللغة هو الانسان الذى يرهب الله ويخافه ويتخشع أمامه . والرهبنة هى حياة مخافة الله والتعبد الدائم له والتخشع المستمر أمامه .

الراهب يقدم لله مخافة البنين وليس خوف العبيد ، كما يقدم له تعب المحبة والتواضع والشكر . تكون مخافة الله عنده دائما ممزوجة بمحبته .

اذن الراهب بهذا المعنى هو أعظم فيلسوف وأحكم حكيم ...

والرهبنة بهذا المعنى هى أعظم فلسفة وأقدس حكمة .

ومن الجدير بالذكر أن القديس انطونيوس أب الرهبان أفحم الفلاسفة بقوة ايمانه المسيحى ومبادئه الرهبانية . فقد جاء مرة اثنان من الفلاسفة وهو فى عزلته فقال لهما . لماذا تحشمتما مشاق السفر لتبصرا رجلا ساذجا فأجاباه انه ليس ساذجا بل حكيما ، فقال لهما اذا كنتما تعتبرانى حكيما فكونا انتما مثلى (٦) وقد برهن لهما عن حكمته الحقيقية بأقواله الرزينة بافراز ، وبمعجزات الشفاء التى أجراها أمامهما بقوة لله .

---

(٦) كتاب « كوكب البرية » للقمص كيرلس الأنطونى (نيافة الأنبا باسيليوس حاليا) ص ١٦٤ .

السكون يولد الافراز والحكمة :

حياة الهدوء والصمت والسكون التى يحياها الراهب ، ثم حياة التأمل والدراسة فى الكتاب المقدس وأقوال الآباء التى يمارسها الراهب تعطيه نوعا من الافراز والحكمة الروحية والاستنارة الالهية ، فتصبح حياته نقية حسب قول الرب يسوع ٠٠ أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به (يو ١٥ : ٣) وتصبح نفسه طاهرة مملحة بملح النعمة والفضيلة حسب قول الرب « ليكن لكم فى انفسكم ملح » (مر ٩ : ٥٠) وتصبح كلماته عادئة سلامية مملحة بملح المحبة والاتضاع حسب قول الرسول « ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد » (كو ٤ : ٦) ٠

وقد مدح القديس الأنبا انطونيوس فضيلة الافراز واعتبرها الفضيلة التى تحمى كل الفضائل الأخرى وتحفظها ٠

« فقد اجتمع ذات مرة جماعة من الآباء عند الأنبا انطونيوس وتباحثوا فى أى الفضائل أكمل وأقدر على حفظ الراهب من جميع مصائد العدو ، فمنهم من قال ان الصوم والسهر فى الصلاة يقومان الفكر ويلطفان العقل ، ويسهلان للانسان التقرب الى الله ، ومنهم من قال انه بالمسكنة والزهد فى الأمور الأرضية يمكن للعقل أن يكون عادئا صافيا من همموم العالم فيتيسر له التقرب الى الله ، وآخرون قالوا ان فضيلة الرحمة أشرف جميع الفضائل لأن الرب يقول لأصحابها كما وجد ، تعالوا الى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم » ٠

وبعد انتهائهم من المباحثة قال الأنبا انطونيوس :

حقا ان كل الفضائل التى ذكرتموها نافعة ويحتاج اليها كل الذين يطلبون الله ، ويريدون التقرب اليه ، الا أننا رأينا كثيرين يهلكون أجسادهم بكثرة الصوم والسهر والانفراد فى البراري والزهد حتى انهم كانوا يكتفون بحاجة يوم واحد ويتصدقون بكل ما يمتلكون ومع ذلك رأيناهم وقد حادوا عن المسلك القويم وسقطوا وعدموا جميع الفضائل وصاروا مرذولين ، **وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا الافراز** » (٧) ٠

---

(٧) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٤٤١ ٠

فالافراز هو عين النفس وسراجها كما ان العين هى سراج الجسد .

الافراز الذى يتعلمه الراهب من شركته المقدسة المستمرة مع الله ثم من دراسته لكلمة الله واقوال الآباء بتأمل ثم من مشورته الكثيرة لأبيه الروحى والاسترشاد برأيه فى كل امر جديد يطرأ وفى كل تدبير روحى او جسدى يريد ان يسير فيه ، كل هذا يعلمه كيف يسير فى الطريق الملوكى المستقيم ، وكيف يحيد عن الطريق الوعر والخطرة .

والافراز هو الذى يعلم الراهب وبالتالى اى انسان كيف يسير معتدلا فلا ينحرف عن الضربة اليمينية بالامساك والنسك الزائد عن الطاقة، ولا ينحرف بالضربة الشمالية بالتهاون والاسترخاء واللامبالاة .

وهذا هو عين الفلسفة والحكمة الروحية اللازمة لخلاص النفس أثمن ما يملك الانسان واعظم ما يقتنى .

وقد قال الأنبا موسى الأسود بخصوص الافراز والحكمة الروحية .

كل الأمور يختبرها الانسان بالافراز ويميزها ، ولن يأتينا الافراز الا اذا اتقنا اسباب مجيئه وهى :

السكوت لانه كنز الراهب ، والسكوت يولد النسك .

النسك يولد البكاء ، والبكاء يولد الخوف .

والخوف يولد الاتضاع ، والاتضاع مصدر التأمل فيما سيكون (أى بعد النظر) وبعد النظر يولد المحبة ، والمحبة تولد للنفس الصحة الخالية من الأسقام والأمراض . وحينئذ يعلم الانسان أنه ليس بعيدا عن الله فيعد نفسه للموت (٨) .

الرهبنة والتأمل فى المطلق :

تهتم الفلسفة بالتأمل فى المطلق وما وراء الطبيعة وما وراء المنظور . كذلك عمل الراهب هو التأمل فى الله المطلق غير المنظور ولا محدود ، كذلك الايمان بالحياة الأبدية المزمعة ومحاولة تذوقها فى هذه الحياة . فحياة الراهب تذوق مسبق لطعم الأبدية .

---

(٨) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٤٤٥ .

التذوق والتلذذ بطعم الأبدية ·

فانعم بحياة الرهبنة من فلسفة عالية توصل الانسان الى هذا

الرهبنة تحل المتناقضات :

حل المتناقضات والجمع بين الأطراف المتباعدة هو عمق التفكير الفلسفي والراهب يحل في ذاته بعض المتناقضات · فمثلا :

الموت والحياة نقيضان ، فيموت الراهب عن العالم وشهواته وكل امور ، وتقرأ عليه فعلا صلاة الموتى ، ثم يحيا لله في حياة عبادة وتأمل واتصال دائم ·

كمال الراهب هو معاينة الله بوجه مكشوف (٢ كو ٣ : ١٨) فكيف يتسنى له ذلك ؟ ان الخليقة البشرية لا تستطيع معاينة الله ، فلكي يقترب الراهب الى الله **يجب أن يموت أولا** كخليقة تعيش حسب مقاييس اللحم والدم لأن لحما ودما لا يقدران ان يرثا ملكوت الله (١ كو ١٥ : ٥٠) يجب أن يكون الراهب مشابها لله بقدر الامكان ·

يحقق الراهب هذه المعاينة عندما يحقق هذا التناقض ، ويحققه بالصليب ، فالصليب خشبتان متعارضتان · سر الصليب هو أن يجمع بين الأضداد ، أي نموت لنحيا ، كنا أمواتا مقضيا علينا ، وبموت الانسان العتيق على الصليب نحيا في المسيح ·

الرهبنة هي طريق اكتساب حياة المسيح بإماتة الموت فينا ، بأن يموت شيئا فشيئا كل ما يجب أن يموت فينا ، لتحيا ايضا شيئا فشيئا حياة المسيح فينا حتى نصل الى قياس قامة ملء المسيح (اف ٤ : ١٣) ونكون مشابهين صورة ابن الله (رو ٨ : ٢٩) ··

تناقض آخر يحيط الراهب في حياته الرهبانية وهو كيف يوفق بين محبة الناس التي هي احدى الوصيتين العظيمتين وبين بغض الوالدين والأقارب الذين هم أقرب الناس اليه واحراهم بالمحبة والعطف ·

فالرب يسوع يقول « ان كان أحد يأتي الي ولا يبغض اباه وامه وامرأته واولاده واخوته واخواته حتى نفسه فلا يقدر أن يكون لي تلميذا » (لو ١٤ : ٢٦) ·

والراهب ينفذ هذه الوصية فيترك والديه واهله وموطنه ويذهب الى الصحارى والجبال ليتعبد لله ، يتخلى عن الكل ابتغاء الارتباط بالواحد .

نقول ان الراهب بهجره والديه واهله وابتعاده عنهم بالجسد هو لا يكرههم ولا يبغضهم بالمعنى المعروف وانما يبغض التعويق الحاصل منهم له فى طريق تقدم حياته الروحية اما هم فى اشخاصهم فيرتقى بمحبته لهم من درجة المحبة الجسدية وارتباط القرابة واللحم والدم التى هى بالضبط انعكاس لمحبته لذاته وتعلقه نحوها ، وهو مطالب ان ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبع الرب . وفى نطاق انكاره لذاته هو مطالب بانكار محبته الجسدية لاهله حسب قول الرسول « نحن من الآن لا نعرف احدا حسب الجسد » (٢ كو ٥ : ١٦) .

يرتقى الراهب من هذه المحبة الجسدية الى محبة روحية ارقى واعمق ، فيحب والديه واهله محبة روحية ، يصلى دائما من اجل خيرهم الروحى وخلاص نفوسهم وفوزهم بالحياة الأبدية وهذه اعظم خدمة يمكن ان يقدمها انسان لآخر ان يساعده فى الجهاد لأجل خلاص نفسه التى هى أعز ما يملك فى الوجود والتى اذا خسرها خسر كل شىء لأنه « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

تناقض آخر يحققه الراهب فى حياته الرهبانية هو : كيف يوفق بين عمل الرحمة التى هى وصية الهية عظيمة وعامة وبين عمل السكون الذى يطالبه به القانون الرهبانى حيث يقول مار اسحق « السكون هو عمل الراهب ، فان فقد السكون اختنقت حياته كراهب » .

ويعرف مار اسحق الراهب بانه انسان ترك العالم بالكلية وكذلك بلده واقاربه وانتقل الى البرارى والأديرة ليجلس فى الهدوء ويعمل بيديه ويثبت نفسه ويعبد الله نهارا وليلا (٩) .

نقول ان الراهب قبل مجيئه الى الرهبنة قد نفذ فضيلة الرحمة وتخصص فيها وتدرج الى كمالها ، رحم الناس بأمواله وبخدمته وبمجهوده ، لان عمل الرحمة يليق جدا بالعلمانيين الابرار الذين اعطوا اولا انفسهم للرب وبعد ذلك صار عليهم ان يعطوا المحتاجين ولو من ضرورياتهم واعوازهم .

---

(٩) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٣٤ .

لما بمجيء الراهب الى البرية يكون قد انتقل الى تخصص آخر ، هو تخصص السكون والصلاة الدائمة والالتصاق المستمر بالرب والانعتاق والتجرد من كل المحسوسات وهذا العمل كما نعرف هو عمل الملائكة فى السماء ، وهو اعلى قدرا من عمل الرحمة مع الآخرين ·

العالم الآن يؤمن بمبدأ التخصص فاصبح يوجد الطبيب المتخصص والمهندس المتخصص والمعلم المتخصص ، وذلك لأن التخصص يعطى صاحبه الفرصة للتعمق والتضلع فى مهنته حتى يجيدها تماما وينبغ فيها ويؤديها على اكمل وجه ·

ومع أن تخصص الرهبان هو السكون والالتصاق بالله والتهذيذ الدائم فيه لكنهم يفعلون ذلك وكلهم رحمة بالخليقة الناطقة وغير الناطقة . يصلى من أجل الكنيسة والعالم ، من اجل السلام والطمانينة والرخاء وعدم الكوارث ورفع غضب الله عن العالم كله ·

اسمع مار اسحق يقول : اننا نحن الرهبان لا نلزم السكون بدون رحمة بل نحاول أن نكون كاملين فى كل وقت داخل الرحمة ، ولسنا نحفظ هذا فقط ولكن متى دعتنا الضرورة الى هذا العمل (اى عمل الرحمة) فما يليق بنا ان نتهاون بالمحبة من اجل السكون · من هو الراهب الحكيم الذى يكون له ملبس او مأكل وينظر اخاه أو قريبه عاريا أو جائعا ويحتمل أن يشفق على شىء مما ذكرنا · او من ذا الذى يشاهد أخاه مريضا وليس له من يفتقده ويريد هو لشهوته فى السكون أن يؤثر قانون التفرد والسكون على ثياب أخيه (اى راحة أخيه) (١٠) ·

الحياة الرهبانية فى الحقيقة هى الحكمة العالية والفلسفة المثالية فصلاة الرهبان رحمة للعالم ، تعاليمهم وكتاباتهم وتاملاتهم خدمة ما بعدها خدمة ، سير حياتهم خير معلم للفضيلة والروحانية ، قدوتهم خدمة صامتة ومثال يحتذى ·

---

(١٠) مجلة الكرازة السنة الثالثة العددان الأول والثانى ص ١٥ ·

الفصل الخامس عشر

الرهبنة حياة توبة

أهمية حياة الرهبنة :

كانت التوبة هى صلب كرازة يوحنا المعمدان ، فحينما أتى الى برية اليهودية كان يكرز لجميع الذين خرجوا اليه من أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن قائلا « **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » (مت ٣:٢) . وقد قبل الناس كرازته واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم (مت ٣:٦) وسميت معموديته « **معمودية التوبة** » (مت ٣:١١) .

وكانت التوبة ايضا هى كرازة ربنا يسوع المسيح ، فنراه عند بدء خدمته قد « **جاء الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله** « **فتوبوا وآمنوا بالانجيل** » (مر ١:١٤، ١٥) . وكان يقول أيضا « لم آت لأدعو ابرارا **بل خطاة الى التوبة** » (مت ٩:١٣) . وقد أرانا مقدار فرح قلب الله وقلوب ملائكته الأطهار بتوبة الخاطىء ـ بينما لا يحس أحد بهذه التوبة من الذين على الأرض ـ فيقول « يكون فرح فى السماء **بخاطىء واحد يتوب** أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون الى توبة » (لو ١٥ : ٧) .

وفى عظته الالهية على الجبل أشار الى التوبة ووصفها بالباب الضيق والطريق الكرب . ونصح الجميع بالدخول منه والسير فيه فقال « ادخلوا من الباب **الضيق** ، لأنه واسع الباب ورحب الطريق **الذى يؤدى** الى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه » (مت ٧ : ١٣ ، ١٤) .

ولعلمه له المجد أنه بدون التوبة لن يخلص أحد . فلا صوم ولا صلاة ولا رحمة ولا خدمة ولا أية فضيلة اخرى تستطيع أن تنفع انسانا غير تائب . لعلمه بكل هذا قال انذاره المشهور « **ان لم تتوبوا فجميعكم تهلكون** » (لو ١٣:٣) . **ولو عملتم كل الحسنات الاخرى بدون التوبة** .

وقد كرر انذاره الرهيب هذا باكثر تشديد فى (لو ١٣ : ٥) .

وحتى بعد قيامته من بين الأموات اوصى تلاميذه وذكرهم بهذا الغرض السامى ، غرض الكرازة بالتوبة لجميع الناس ، فأوصاهم بأنه ينبغى **أن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا** لجميع الأمم مبتدئا من أورشليم » (لو ٢٤ : ٤٧) .

وفوق كل هذا فقد اتخذ لنفسه عند تجسده هذا الاسم « يسوع » أى مخلص ، لأنه **يخلص شعبه من خطاياهم** » (مت ١ : ٢١) .

وكانت التوبة هى صلب كرازة الرسل . فحينما دعا الرب الاثنى عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين للكرازة (مر ٦ : ٧) خرجوا **وصاروا يكرزون للناس أن يتوبوا** (مر ٦ : ١٢) ...

وظلت الكرازة بالتوبة تأخذ اهتمام الرسل سواء فى كرازتهم او رسائلهم ، فبولس الرسول بعد أن ظهر له الرب بالقرب من دمشق ودعاه للايمان به واختاره للخدمة فى كرمة أخذ يدعو النفوس للتوبة ، فنقول فى خطابه وهو واقف مقيد بالسلاسل امام اغريباس « من ثم ايها الملك اغريباس لم اكن معاندا للرؤيا السماوية بل اخبرت ايضا الذين فى أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الامم **ان يتوبوا ويرجعوا الى الله عاملين اعمالا تليق بالتوبة** (اع ٢٦ : ١٩ ، ٢٠) .. وحينما وقف فى وسط اريوس باغوس نادى بأعلى صوته قائلا « الله الآن **يأمر جميع الناس ان يتوبوا متغاضيا عن ازمنة الجهل** » (اع ١٧ : ٣٠) .

وفى رسائله ايضا لا يغفل ان يحث الناس على التوبة كأهم عمل يقربهم الى الله ويجلب لهم رضاه ، فيقول فى رسالته لأهل رومية « أم تستهين بغنى لطف الله وامهاله وطول اناته غير عالم **ان لطف الله انما يقتادك الى التوبة** » (رو ٢ : ٤) . وفى رسالته الى العبرانيين يسمى التوبة مع الايمان « أساس وبداءة تعاليم المسيح » (عب ٦ : ١) .

ويصيح بطرس الرسول فى احدى عظاته قائلا « **توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم** لكى تأتى اوقات الفرج من وجه الرب » (اع ٣ : ١٩) ويقول ايضا فى احدى رسائله « لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس **بل ان يقبل الجميع الى التوبة** » (٢ بط ٣ : ٩) .

وقد تحقق القديسون من كرامة التوبة وتأثيرها المفرح على قلب الله وقلوب ملائكته الأطهار . اغتصبوها لأنفسهم ، واخضعوا ذواتهم لأعمال التوبة الصارمة بحذق ومهارة وكرسوا لها كل حياتهم حتى ظن الناس أن التوبة هي عمل القديسين والندامة هي فعل الأبرار .

مثال رائع للتوبة :

مرض مرة الراهب القديس العظيم الأنبا صيصوى مرض الموت ، وكان الآباء جلوسا حوله فسمعوه يخاطب قوما . فقالوا له ماذا تعاين أيها الأب ؟ فقال ها أنذا أعاين قوما قد جاءوا لأخذ نفسي وأنا أتضرع اليهم ان يمهلوني قليلا حتى أتوب ، فقال له أحد الشيوخ : وان هم امهلوك هل تقدر الآن أن تنجح في التوبة وأنت في هذا السن ؟ فقال : وان كنت لا أقدر أن أعمل عملا فاني أتنهد وابكي . فقال له أحد الشيوخ : ان توبتك قد كملت أيها الأب . فقال لهم صدقوني انى لست أعرف من ذاتي ان كنت قد بدأت الى الآن (بالتوبة أم لا) (١) . ولما قال هذا أشرق وجهه كالشمس مفرغ الذين كانوا حوله ، فقال : انظروا ان الرب قال : ايتوني بثائب البرية . ولوقته أسلم الروح ، وامتلأ المحل (القلاية) من رائحة زكية . (٢) .

وكثيرون من القديسين غيره قضوا حياتهم كلها في أعمال التوبة وجهاداتها الشاقة حتى دعوا بـ « التوابين » ويقول القديس مكاريوس الكبير « طوبى لن لازم التوبة حتى يمضي الى الرب » ومار اسحق يقول « التوبة هي رعدة النفس حتى باب الفردوس » .

أهم مقومات التوبة :

ومن أهم مقومات التوبة ووسائل نجاحها واستمرارها :

الابتعاد عن أماكن العثرات والهروب من أماكن السقوط وإثارة الشهوات :

---

(١) ومعنى قول هذا ان التوبة لا نهاية لها . فهي وسيلة وطريق للكمال المسيحي في أعلى درجاته .

(٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بني سويف ص ٣١٧ .

فيقول الحكيم يشوع بن سيراخ « اهرب من الخطية كمن وجهه لحيه وانك ان تقدمت تقتلك » (سى ٢١ : ٢) ٠

وعن الخطايا الشبابية ينصحنا الرسول قائلا « أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والايمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » (٢ تى : ٢٢) ٠ ويبين سليمان الحكيم سبب الهروب فى تساؤل لطيف فيقول « انيأخذ انسان نارا فى حضنه ولاتحترق ثيابه او يمشى انسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه » (أم ٦ : ٢٧ ، ٢٨) ٠

وقد وجد الآباء الرهبان فى البرارى والأديرة أحسن وأضمن مكان لأعمال توبتهم وضمان استمرارها وعدم رجوعهم للخطيئة مره اخرى ، وقد دعوا البرية وما فيها من أديرة « بلد النقة » ٠

فى البرية يكون الانسان بعيدا عن اماكن الخطيئة ومثيرات الشهوات فلا يرى ولا يسمع وبالتالى لا يشتهى لأنه من المعروف أن « البعيد عن العين بعيد عن القلب » ٠

فى الجبل وبمرور الزمن ينسى الراهب تلك العثرات والمناظر القديمة التى كان يراها ويسمعها فى العالم حيث « كان البر بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوما فيوما نفسه البارة بالأفعال الأثيمة » (٢ بط ٢ : ٢ : ٨) ٠

وهكذا اذ ينسى القديم الردىء ولا يأتى الى القلب الى الحواس شىء جديد من هذا النوع ، واذ يكون للراهب جهاد مقدس وغيرة ملتهبة لحياة التوبة وارضاء الله ، يصل بسرعة الى حياة النقاوة وحلاوة العشرة مع الله لأن الرب يسوع المسيح يقول « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) ٠

من أجمل التسميات والتعاريف التى تقال عن الرهبنة هذا التعريف « الرهبنة هى حياة توبة » وذلك لأن فى البرية يجد الراهب فرصة كل يوم فى السكون والهدوء ليجلس مع نفسه وينتش ذاته ويقدم توبة عن خطاياه وفى ذلك يقول مار اسحق « ان كنت تحب التوبة فأحب السكون لأن بدونه لن تكمل التوبة » ويقول أيضا « التوبة لا تكمل فى السجن » وينصح قائلا « اذا أفرزت نفسك للتوبة فكل يوم لا تجلس فيه ساعة بينك وبين

نفسك تفكر بأى الأشياء أخطأت وبأى أمر سقطت لتقوم ذلك فيه ملا تحسبه من عداد أيام حياتك » .

من النادر الآن فى عالم السرعة المخيفة والمشغوليات الخانقة ان يجد الانسان مرصا سانحة لفحص النفس والتوبة ومراقبة ذاته عن كثب مثلما يجد ساكن البرية البعيد والمتغرب عن كل هذه الأجواء .

من معوقات التوبة أيضا البعد عن حياة التنعم والملذات والمعيشة الرخوة الشهوانية والرسول يقول « وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » (١ تى ٥:٦) . وينذر الله المتنعمين الذين لذت لهم الأرض ولم يفكروا فى السماويات ولا فى الاستعداد للحياة الأخرى بقوله « فالآن اسمعى أيتها المتنعمة الجالسة بالطمأنينة القائلة أنا وليس غيرى ... يأتى عليك شر لا تعرفين فجره وتقع عليك مصيبة لا تقدرين أن تصديها وتأتى عليك بغتة تهلكة لا تعرفين بها » (اش ٤٧ : ٨ - ١١) .

فى البرية يعيش الراهب عيشة التقشف والزهد والتجرد ، يكتفى بالضروريات ولا يلتفت للتنعمات والراحات ، وبالجملة يتغرب عن شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة .

هذه الحياة النسكية كفيلة بأن تحرك فى النفس مشاعر التوبة وطلب الالتجاء الى الله والتمسك به حيث يفوز الانسان بالنعيم الأبدى ليكون مع المسيح الذى من أجله خسر كل الأشياء وهو يحسبها نفاية .

الراهب الجالس فى الهدوء يقتنى حساسية مرهفة ضد الاخطاء والخطايا قد لا يقتنيها العلمانى المشغول دائما فى دوامة مشاغل الحياة .

يقتنى الراهب حياة التدقيق والشدة مع نفسه فى حياة التوبة وأسلوبها ، لا يتساهل مع نفسه أو يدللها أو ينتحل لها الأعذار .

الخطيئة دائما كبيرة فى عينى الراهب ، مهما كانت صغيرة وتافهة ، وذلك بسبب حالة النقاء التى يصل اليها ، وذلك مثل ثوب ناصع البياض سقطت عليه نقطة حبر صغيرة تكون ظاهرة وملحوظة جدا وتعكر صفاءه ، بخلاف اذا سقطت تلك النقطة على ثوب غير أبيض وغير نظيف فانها قد لا تظهر بتاتا أو تظهر بسيطة وليست بذات أهمية .

الانسان العادى يهتم فى توبته واعترافه بالسلبيات التى فى حياته فقط ، اما الراهب فيتوب ويعترف ايضا بالتقصيرات التى يصاب بها فى النواحى الايجابية وعمل الفضائل ، فهو يعتبرها خطية اذا قصر فى تأدية احدى صنوات السواعى أو لم يعمل جزءا من قانون مطانياته ، او سنحت له الفرصة لاظهار طاعة او احتمال او عمل رحمة ولم يستغل هذه الفرصة لعمل الفضيلة المناسبة ... وهكذا .

البرية هى انسب مكان للتوبة :

لكن هل حقا ان البرية هى انسب واضمن مكان لحياة التوبة واستمرارها ؟ نقول وفى غير تردد ، نعم ، ونستدل على ذلك من سير رجال الله القديسين :

فهذا بولس الرسول العظيم :

بعد أن ظهر له الرب بالقرب من دمشق ، وبعد ان آمن واعتمد على يد حنانيا ، يقول هو نفسه ، ولكن لما سر الله الذى افرزنى من بطن امى ودعانى بنعمته ان يعلن ابنه فى لابشر بين الامم للوقت لم استشر لحما ولا دما ولا صعدت الى أورشليم الى الرسل الذين قبلى بل انطلقت الى العربية ، (غل ١ : ١٥ - ١٧) .

والصحراء العربية التى انطلق اليها الرسول هى الصحراء العربية الكبرى الواقعة بين سوريا والعراق ، انطلق الى هناك ليقضى فيها فترة من الزمن يقدم توبة صادقة عما صنعت يداه ، لانه كان قبل دخول الايمان متعصبا للديانة اليهودية تعصبا شديدا ، فكان راضيا بقتل استفانوس أول الشهداء وكان يحرس ثياب الذين رجموه (أع ٧:٥٨) .

وهو الذى اهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم (اسم يسوع) وقد جاء الى هنا (الى دمشق) ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة (أع ٩ : ٢١) ويجعل هو نفسه كل أعمال العنف التى قام بها ضد كنيسة الله بقوله ، انى كنت اضطهد كنيسة الله بافراط ، (غل ١:١٣) .

ذهب الى الصحراء العربية ليصنع توبة عن تعدياته السالفة لانه أيقن ان الصحراء هى انسب مكان يستطيع فيه ان يجلس مع نفسه

يكتشفها ويحاسبها ، ويجلس مع الله يسترحمه ويستغفره . وهكذا لكى يمتلىء شحنة روحية قوية ويستعد للانطلاقة الجبارة التى كان مزمعا ان يقوم بها للتبشير باسم الرب يسوع المسيح بين الأمم .

والقديس موسى الأسود :

بعد أن تشرب الاثم كأناء امتلأ لمعرفة الله ولحياة التوبة ، دبرت له العناية الالهية الذهاب الى برية شيهيت حيث تتلمذ لمقدس ايسيذورس فى الاسقيط ، وهناك فى البرية المقدسة « ميزان القلوب » صنع توبة مثالية ، كان عنيفا فى توبته ، فى جهاده ، فى نسكه ، حتى أصبح من آباء البرية المشهورين والمعتبرين اعمدة ، وأصبح معلما للتوبة والجهاد الرهبانى الصحيح .

والقديسة مريم المصرية :

بعد أن غرقت فى حمأة الخطيئة والفجور سبع عشرة سنة امتلأت فيها شبابا كثيرين ، ثم سافرت الى اورشليم لنفس الغرض متزيد عدد ضحاياها ، وهناك حاولت الدخول الى الكنيسة مثل سائر الداخلين فشعرت أن يدا غير منظورة تمنعها ، كررت المحاولة دون جدوى ، تفحصت نفسها فأخذت تتأمل قبح سيرتها ، فبكت أمام أيقونة العذراء وقطعت عهدا أمام الله بنذر بقية حياتها لعبادته فى البرية ان سمح لها بالدخول والتبرك من خشبة الصليب المقدسة . وفعلا تم لها ما أرادت ، فدخلت الكنيسة وتباركت من خشبة الصليب المحيى ، ثم ذهبت واعترفت بخطاياها أمام أحد الكهنة وتناولت من الأسرار المقدسة ، ثم انطلقت الى برية الأردن ولها من العمر تسع وعشرين سنة ، وبقيت فى تلك البرية سبعا وأربعين سنة فى عبادات شاقة ونسك زائد وقتالات صعبة . حتى استحقت أن تصل الى درجة السواح وأعطاها الله روح النبوة ومعرفة الغيب .

وكثيرون غير هؤلاء وجدوا فى البرية مكانا مناسبا لغسل أدران نفوسهم وتبييض صفحات حياتهم بعد أن اتسخت بالخطيئة والاثم .

لكن ما هي الأسباب ؟

التي جعلت للبرية أنسب مكان لحياة التوبة حتى انجذب اليها الكثيرون من طالبي التوبة مع الله ، وانخرطوا في سلك الرهبنة ، واصبحوا قديسين عظماء وفازوا باكليل التوبة وورثوا ملكوت السموات :

١ - يأتي طالب الرهبنة الى البرية ويدخل الدير ملتمسا قبوله في سلك الرهبنة ، ليقدم له توبة ، فاذا قبلوه ودخل الدير يبدأ حياته من الصفر ، كيف ؟ مهما كان مركزه في العالم ومهما كانت ثقافته يترك هذا كله جانبا ويبدأ صغيرا . يلبسونه ثوبا بسيطا من ارخص الانواع ، يقدمون له قلاية متواضعة فيها ابسط الأثاث ينام فيها على الأرض . اذا اجتمع مجمع الرهبان للصلاة أو العمل كان هو أول من يحضر ويقف في آخر الصفوف . الكل يمكنه أن يتكلم أو يبدي رأيه ، أما هو فكأصم لا يسمع وكأبكم لا يفتح فاه ، ويكون مثل انسان لا يسمع وليس في فمه حجة ، (مز ٣٨ : ١٣ ، ١٤) . عليه فقط بالطاعة الكاملة حتى لأصغر راهب قبله في الدير ، عليه أن يؤدي ما يوكل اليه من أعمال دون تردد أو ابطاء ، وعادة يوكل اليه في الدير أدنى الأعمال وأصغرها . وبهذا يوفرون للأخ المبتدئ انسب جو ملائم لحياة التوبة والتواضع والانسحاق .

٢ - يسلمه رئيس الدير لأحد شيوخ الدير المختبرين ليكون له اب اعتراف ومرشدا روحيا في حياته الرهبانية ويكلفه بطاعة ابيه الروحي ومحبته واستماع مشورته الى حد الموت ، فيبدأ الأخ أن يجلس مع ابيه الروحي جلسات روحية متوالية متقاربة يكشف له فيها حياته كلها بصراحة وأمانة مثل انسان مريض يصف للطبيب كل امراضه ومتاعبه حتى يستطيع الطبيب تشخيصها ووصف الدواء اللازم لعلاجها .

يبدأ الأب المرشد أن يعطي للأخ الجديد النصائح والارشادات التي تلزمه في حياته الجديدة ويضع له القواعد والأسس اللازمة التي يسير عليها في حياته الرهبانية ، من صوم الى صلاة الى مطانيات الى اعتراف وتناول الى طاعة واحتمال ومعاملة الآخرين وغير ذلك .

وعليه هو أن ينفذ كل نصائح وارشادات ابيه الروحي في محبة واشتياق وحرارة عالية .

٣ - يوضع الأخ العلمانى تحت اختبارات معينة من أب اعترافه ومن آباء الدير وشيوخه لاختبار مدى طاعته وتواضعه وقطعه لهواه ، وهى من أهم الفضائل التى تتميز بها حياة التوبة .

٤ - لا يتوفر له فى الدير الجو الذى يعلم فيه آخرين ويوجههم ، فالكل اكبر منه ، هو المحتاج ان يتعلم وان يسمع ، يتلقى الأوامر ويطيعها ، وهذا ايضا جو مناسب جدا لحياة التوبة .

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « الذين هم فى زمان التوبة لا يجوز لهم أن يجلسوا على كراسى المعلمين » .

٥ - كانت فترة الاختبار هذه فى الأصل تستمر ثلاث سنوات ، اما الآن فتتناقص المدة بحسب صلاحية طالب الرهبنة واظهار طاعته واستعداداته ، ثم رضا رئيس الدير والرهبان عنه .

٦ - اذا صنع الأخ اثمارا تليق بالتوبة ، ووجدوه صالحا لهذا النوع من الحياة ، حياة التوبة والرهبنة ، رهبنوه ليصير عضوا صالحا فى مجمعهم الرهبانى المقدس .

تاملات فى طقس رسامة الراهب :

لدى تاملنا فى طقس رسامة الراهب نجده كله تقريبا ينصب على :

(أ) الموت عن العالم .
(ب) حياة التوبة .
(ج) عمل اثمار تليق بالتوبة .
(د) حمل الصليب واتباع الرب .

فاول عمل يعمله أب الدير فى طقس الرسامة انه يغير اسم الأخ ويطلق عليه اسم أحد القديسين والحكمة فى تغيير الاسم هى ان ينسى الأخ حياته الماضية بما فيها من سقطات وعثرات ويصبح انسانا جديدا ، ليس بالشكل والمسكن فقط بل وبالاسم ايضا منفذا بذلك وصية الرسول القائلة « أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ، وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (اف ٤:٢٢، ٢٣) .

وثمة حكمة اخرى لتغيير الاسم هى لكى يتخذ الأخ من القديس الصاحب الأول للاسم شفيعا له ، يدرس سيرة حياته ويتأمل فى فضائله وأقواله ويحاول قدر امكانه ان يتمثل بجهاداته وفضائله .

يكون اعطاء الاسم والشكل فى عشية يوم الرهبنة حيث يرشم له أب الدير الملابس الرهبانية الجديدة بالاسم الجديد ، ثم يسهر الأخ طول هذه الليلة متأملا فى الحياة الجديدة التى هو مزمع ان يدخل فيها .

فى الصباح بعد رفع البخور باكر يرقد الأخ على الأرض أمام الصورة التى تحوى أجساد القديسين الذين تكملوا فى الايمان وتنيحوا ، ملقى على ظهره على شكل الميت تماما ثم يغطونه بستر كما يغطون الميت ، ثم تبدأ مراسيم طقس الرسامة التى تكون كل الحانها ومردداتها وقراءاتها بنغمة الحزن وهى تشبه كثيرا طقس الصلاة على الموتى . وبذلك يعطون للأخ درسا وعظة انه قد مات عن العالم وشهواته وآماله الكاذبة التى « تغرق الناس فى العطب والهلاك » (١ تى ٦:٩) .

أما سبب اجراء طقس الرسامة والأخ ملقى أمام أجساد القديسين فلكى تحل روحهم عليه وكأنه كما قال اليشع النبى لمعلمه ايليا عند صعوده الى السماء فى المركبة النارية ليكن نصيب اثنين من روحك على (٢مل٢:٩) .

ألا ترى معى أن هذا الطقس المحزن كاف ان يجعل الأخ يحزن على خطيئته السالفة ويتوب عنها ، فالراهب هو الانسان الوحيد الذى تجرى عليه مراسيم صلاة الأموات وهو بعد حى .

قطعا سيتبادر الى ذهنه وهو ملقى على الأرض ومغطى كالميت بين الرهبان وهم يصلون عليه أوشية الراقدين والذكصولوجيات الخاصة بالمتنيحين بلحنها المحزن ، ستتبادر الى ذهنه **ساعة الموت** . وكيف ستكون ساعتها ملقى هكذا كما هو الآن بين المشيعين والمعزين .

ان مجرد تذكر الموت والتأمل فيه بركة عظيمة كافية ان تجعل الانسان لا يتوب فقط بل ويبكى بكاءا مرا على ما فرط منه **معاهدا الرب ان يبدأ حياة جديدة** .

واذا تأملنا فى بعض قراءات طقس الرسامة نجد أن :

١ ـ المنبوات تحض على هجر العالم والسعى حثيثا فى طلب ارض كنعان كما فعل ابراهيم أب الآباء كما تحث على الصبر واحتمال التجارب والالتصاق بالرب والتوكل عليه .

٢ ـ الثلاثة تقديسات بلحن الحزن مؤثرة جدا فيها تقديس لله غير اثانت وطلب الرحمة من المخلص .

٣ ـ والمزمور فيحض على التوبة وترك الآثام فيقول « طوباهم الذين تركت لهم آثامهم وسترت خطاياهم . طوبى للرجل الذى لم يحسب له الرب خطية وليس فى فمه غش » (مز ٣١ : ١ ، ٢) .

ثم الانجيل فيدعوا الى انكار الذات واهلاكها من أجل الرب ثم حمل الصليب واتباعه فى طريق الجلجثة (مر ٨ : ٣٤ ـ الخ) .

٤ ـ فى الطرح يطلب أب الدير الى الله من اجل الأخ قائلا « اقبل اليك يا رب صومه وصلاته وتوبته واعترافه واغفر له جميع خطاياه ... » .

٥ ـ فى صلاة أخرى يطلب أب الدير من اجل الأخ قائلا **قوم يا رب سعيه . هب له طاعة كاملة ليكون فى موت من جهة الآلام المطيعه** لكى من قبل قص شعر راسه يطرح عنه الأعمال الرديئة ويقبل معونة نعمة الروح القدس ... » .

٦ ـ ينهض الأخ من رقدته ويقف امام أب الدير مطأطئا راسه فيأخذ أب الدير مقصا ويقص شعر راسه خمسة صلبان وهو يقول الرشومات المعروفة .

وقص الشعر كما عرفنا هو رمز لقص وحلق وابعاد الأفكار الشريرة والهواجس الشيطانية التى تكتنف العقل الموجود فى الرأس بقصد التوبة عنهـــا .

٧ ـ يصلى أب الدير على ملابس الرهبنة (الثوب الأسود والقلنسوة والمنطقة الجلدية) ويرشمها بالرشومات الثلاثة المعتادة .

٨ ـ يلبسه الثوب وهو يقول « البس ثوب البر ودرع النور **واصنع ثمرة تليق بالتوبة** بالمسيح يسوع ربنا هذا الذى ينبغى له المجد الى الأبد آمين .

٩ - يلبسه القلنسوة وهو يقول « البس قلنسوة الاتضاع **وخوذة الخلاص** (٣) واصنع ثمرة صالحة بالمسيح يسوع ربنا ... » .

١٠ - يمنطقه بالمنطقة الجلد وهو يقول « شد على حقويك بجميع رباط الله **وقوة التوبة** ، بالمسيح يسوع ربنا ... » .

١١ - ثم يقرأ عليه الوصية الرهبانية حاثا اياه أن يبدأ جهادا مقدسا وحياة رهبانية مثالية فيوصيه « ... واحفظ العهد الذى قررته الآن بأن تعبد الله بخوف ورعدة ، وتتلو فى المزامير مع سهر الليل وتلاوة الأبصلمودية (اى المواظبة على التسبحة اليومية) وصلاة الكنيسة المفروضة . تكمل ذلك بكل اجتهاد ، مع صوم بمقدار ونسك وطهارة الجسد ، لكى تكون صديقا للملائكة الأطهار . وأيضا الخضوع والطاعة تكملها واحرص أن تسمع لمن يرشدك الى طريق الله ووصاياه الى حد الموت لكى تنال تاج ابناء الله وترث ملكوت السموات ويكون لك نصيب وميراث مع كافة القديسين الذين ارضوا الله منذ البدء ... » (٤) .

١٢ - يحضر الراهب الجديد القداس الالهى **ويتناول من الأسرار المقدسة** .

انه طقس جميل ، مجرد التأمل فيه يعطى النفس خشوعا وغيرة لحياة التوبة والفضيلة .

يبدأ الراهب حياته الجديدة وقد أصبح انسانا جديدا . **اسم جديد** وشكل جديد ومكان جديد « الأشياء العتيقة قد مضت ، هو ذا **الكل قد صار** جديدا » (٢ كو ٥ : ١٧) .

الشكل الجديد الأسود الذى لبسه يحضه على التوبة والحزن والحداد على خطاياه السالفة ، لأن الملابس السوداء يلبسها الناس عادة فى وقت الحزن والحداد على المتنقلين .

---

(٣) لأن القلنسوة كما قلنا تشبه الخوذة التى يلبسها الجندى وتغطى كل الرأس .

(٤) عن طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان .

الاسم الجديد يحضه على الجهاد المقدس حينما يتذكر جهادات وفضائل القديس صاحب الاسم طالبا شفاعته ومعونته ليكمل جهاده مثله ويراه فى السماء وجها لوجه ٠

المكان الجديد يشجعه على حياة التوبة والجهاد عندما يسمع ويتذكر جهادات القديسين الذين سبقوه فى هذا المكان **وقدموا** حياتهم لله ذبيحة حية مرضية كاملة بعبادتهم وجهادهم ودموعهم وأعراقهم ، وذلك سواء القديسين الذين سبقوه فى القلاية التى يسكن فيها او فى الدير الذى ترهب فيه أو فى البرية التى يعيش فيها ٠

اخيرا ، بعد كل ما تقدم نستطيع ان نقول فى ثقة وبايجاز ان « **الرهبنة حياة توبة ، وكمال الراهب هو ان يحيا حياة التوبة الدائمة** » ٠

الفصل السادس عشر

الرهبنة حياة غربة و موت عن العالم

الرهبنة حياة غربة وانسلاخ عن الوطن الارضى بكل ما فيه من أهل واصدقاء ومقتنيات استعدادا للوطن السمائى الاعظم بكل ما فيه من نعم وبركات والنبوات الخاصة بطقس رسامة الراهب تذكر الراهب بابراهيم اب الآباء الذى عاش كل أيام حياته مغتربا ساكنا فى خيام منتظرا المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله ٠

وقال الله لابرام « اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك فاجعلك أمة عظيمة وابارِكك واعظم اسمك وتكون بركة ٠٠ وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ١ ـ ٣) ٠ فاطاع ابراهيم الصوت الالهى « فخرج وهو لا يعلم الى اين يأتى » (عب ١١ : ٨) ٠ ابراهيم وكل الآباء ابطال الايمان العظام ٠٠٠ « اقروا بانهم غرباء ونزلاء على الأرض لأنهم كانوا يبتغون وطنا أفضل أى سماويا » (عب ١١: ١٣ ـ ١٦) ٠

فهذا يعقوب لما سأله فرعون كم هى أيام سنى حياتك ؟ اجابه : « أيام سنى غربتى مائة وثلاثون سنة ٠ قليلة ورديئة كانت سنى حياتى ولم تبلغ الى أيام سنى حياة آبائى فى أيام غربتهم » (تك ٤٧ : ٨ ، ٩) وأيوب الصديق يقول « ايامى أسرع من عداء ٠ فقر ولا ترى خيرا » (أى ٩ : ٢٥) ، وداود النبى كان يشعر بالغربة وزوال الحياة الدنيا فيقول « نحن غرباء أمامك ونزلاء مثل كل آبائنا ٠ ايامنا كالظل على الأرض » (١ أى ٢٩ : ١٥) ، ويقول أيضا « أيامى مثل ظل مائل وأنا مثل العشب يبست » (مز ١٠٢ : ١١) ٠ ولذلك فهو يطلب من الرب أن يعلمه وصاياه التى هى بمثابة قانون الحياة فى الدار الآخرة حتى يدرسها ويحفظها ويكون مستعدا للرحيل الى هناك فيقول « غريب انا على الأرض فلا تخف عنى وصاياك » (مز ١١٩ : ١٩) ٠

وفى شعور فياض بالغربة والاشتياق الى الوطن السمائى يقول الرسول بولس « نحن ونحن بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب ، لذلك نحترص أيضا مستوطنين كنا او غرباء ان نكون مرضيين عنده » (٢ كو ٥ : ٨) .

مفهوم الغربة بين العلمانى والراهب :

الرجل العلمانى اى الذى يعيش فى العالم يفهم الغربه أنها عدم محبة المال بينما هو بين يديه ، عدم محبه الزوجة والأولاد اكثر من الله بينما هو يعيش معهم تحت سقف واحد ... الخ .

والرسول بولس ينصحهم بأن يضبطوا فى انفسهم حياة الغربة وعدم التعلق الشديد بالعالم حتى يستعدوا للرحيل فى أى وقت الى الوطن الأفضل والأسمى فى ملكوت السموات فيقول « اقول لكم أيها الاخوة الوقت منذ الآن متصر لكى يكون الذين لهم نساء كان ليس لهم والذين يبكون كانهم لا يبكون والذين يفرحون كانهم لا يفرحون والذين يشترون كانهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كانهم لايستعملونه لان هيئة هذا العالم تزول . فاريد أن تكونوا بلاهم » (١ كو ٧:٢٩ـ٣٢) ، وينصحهم الرسول بطرس أيضا قائلا « اطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢:١١) « وسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) .

اما بالنسبة للراهب فمفهوم الغربة عنده اعلى بكثير من مفهومها عند المؤمن العادى . فالراهب يفهم الغربة على أنها الموت الحقيقى عن العالم ، وما أبدع وما أجمل ذلك الطقس الموضوع لرسامة الرهبان اذ هو طقس الصلاة على الموتى وفائدة هذا الطقس هو أن يضع امام عينى الراهب أنه قد مات فعلا عن العالم وصلوا عليه صلاة الموتى ، ليضع قدامه ساعة انتقاله عن العالم نهائيا ويستعد لها بكل قوته .

ومن الجدير بالذكر ان الرهبنة تكونت اساسا على الموت المطوعى عن العالم قبل أن يموت الانسان الموت الجسدى رغما عنه . ففى سيرة القديس العظيم الأنبا انطونيوس مؤسس الرهبنة وأب الرهبان نقرأ عنه « انه لما توفى والده دخل اليه وتأمل فيه ، وبعد تفكير عميق قال : تبارك اسم الله ، اليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شىء سوى توقف النفس الضعيفة

فأين هي عمتك وعزيمتك وامرك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال ، انى أرى الجميع قد بطل وتركته ، فيا لهذه الخسرة العظيمة والخساره الجسيمة ، ثم نظر الى والده الميت وقال : ان كنت أنت قد خرجت بغير اختيارك فلا أعجب من ذلك ، **بل أعجب من نفسى ان عملت كعملك** ٠

ثم انه بهذه المفكرة الواحدة الصغيره ترك والده بغير دفن ، كما ترك كل ما خلفه له من مال وأملاك وخدم وخرج هائما على وجهه قائلا : ها انا اخرج من الدنيا طائعا كى لا يخرجونى منها مثل أبى كارها (١) ٠

كذلك القديس العظيم الأنبا بولا أول السياح خرج من العالم بحادثة مشابهة لهذه ، فبعد وفاة والده اختلف مع أخيه الأكبر فى طريقة تقسيم الميراث فذهب كلاهما الى الحاكم ليحكم بينهما بالعدل ، وفى الطريق رأيا جنازة أحد الأغنياء بالمدينة فى طريقها الى المقابر ، فسأل بولا أحد المشيعين عن هذا الرجل الميت ٠ فاخبره الرجل انه ارخن عظيم ، ذو أموال كثيرة وقد مات اليوم وها الناس يحملونه الى القبر على الأعناق دون أن يأخذ من امواله شيئا سوى الكفن الذى كفنوه به ٠

فلما سمع بولا الشاب هذا الكلام أفاق لنفسه وانكشف له بطلان العالم فرجع ولم يذهب الى الحاكم وأثناء رجوعه مع أخيه غافله واختفى عنه ، وطلب الى الرب أن يهديه الى مكان يعبده فيه الى النفس الأخير فهداه الرب بواسطة الملاك الى مغارة فى داخل الصحراء الشرقية بجانبها عين ماء ، فعاش هناك ما يقرب من ٩٠ سنة ، كان يعوله الله أثناءها بواسطة غراب يحمل اليه مساء كل يوم نصف خبزه ٠

القديس أرسانيوس والموت عن العالم :

واروع مثل للموت عن العالم هو القديس أرسانيوس المتوحد العظيم ، اذ كان يبكى دائما واضعا ساعة الموت نصب عينيه ، وقد قال عند نياحته٠٠ ان فزع هذه الساعة ملازم لى منذ جئت الى البرية ٠

وهكذا رقد ودموعه تسيل من عينيه ، وصار تلاميذه يبكون ويودعونه **كانسان غريب** يريد السفر الى بلده الحقيقى (٢) ٠

---

(١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٥ ٠

(٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٥٥ ٠

ومما يثبت كلام ذلك القديس العظيم عن ملازمة الغربة والموت عن العالم أنه أتى اليه مرة رجل بوصية من رجل شريف من جنسه مات وأوصى له بمال كثير جدا ، فلما علم القديس بذلك عم بتمزيق الوصية فوقع الرجل على قدميه وطلب منه ألا يمزقها والا فرأسه عوضها ، فقال له القديس: أنا قد مت منذ زمن وذاك مات أيضا . وبذلك صرفه ولم يأخذ منه ولا فلسا واحدا (٣) .

ويحدثنا بستان الرهبان عن راهب أتوه يخبر أن أباه (الجسداني) قد مات فأجاب الذي أتاه بالخبر قائلا : « كف عن التجديف فان أبي لا يموت » ، وهو يعني بذلك أنه بعد رهبنته لا يعرف له أبا أرضيا ولا أحدا حسب الجسد (٢ كو ٥ : ١٦) وأن الله هو أبوه ، والله طبعا لا يموت .

مفهوم الموت عن العالم بالنسبة للراهب :

وماذا تعني كلمة « الموت عن العالم » بالنسبة للراهب ؟ ! تعني أن يكون كالانسان الميت تماما ، يغلق كل حواسه داخلا وخارجا عن كل ما يجري في العالم ، الميت يترك الأقارب والأصدقاء والمحبين هكذا الراهب يترك أهله وذويه ويمسكن في الجبال والبراري من أجل الالتصاق بالرب والنمو في محبته ، فالرهبنة حسب تعبير مار اسحق هي الانحلال عن الكل للارتباط بالواحد ، ويقول الدرجي **حب الله هو سبب الغربة وموضوعها** ، ويقول الشيخ الروحاني « محبة المسيح غريبتي عن البشر والبشريات » . ينفصل الراهب عن الكل ولسان حاله يقول « اذن نحن من الآن لا نعرف أحدا حسب الجسد » (٢ كو ١٦:٥) ومع المرنم يقول : « صرت أجنبيا عند اخوتي وغريبا عند بني أمي لأن غيرة بيتك أكلتني » أي الغيرة على خلاص نفسه التي هي بيت الرب ومسكنه المعد وعروسه التي أحبها وبذل ذاته لأجلها . ويقول الدرجي « ليس لكراهيتنا مواضعنا او أهلنا ننصرف عنهم . حاشا لنا من ذلك ، لكنا نمقت على كل حال الضرر والتعويق الحادثين لنا منهم » ، « لأن في أمور خلاص النفس البشرية كثيرا ما كان أعداء الانسان أهل بيته (مت ١٠ : ٣٦) » .

---

(٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بني سويف ص ٤٥ .

الميت يترك المآكل والمشارب والتنعمات ، هكذا الراهب يترك أفراح العالم وملذات الجسد ، يكتفى بالثوب الذى يلبسه وبالخبز الضرورى لقوام حياته ، لكى ينشغل بالاهتمام والاعداد للوطن الأفضل السماوى ويترقب ذلك اليوم الذى يصل فيه الى هناك ، فهذا العالم بالنسبة له سفينة أو قنطرة توصله الى شاطىء الأبدية بسلام ، الى موطنه الحقيقى الدائم الى الأبد .

الميت لم تصبح له كلمة مسموعة ولا سطوة ولا جبروت . هكذا الراهب يجب أن يكون كالميت فى صمته السابقة .

ان كل ما فى الدير يذكر الراهب بالموت ، فكلمة دير تطلق خاصة فى الصعيد على مكان مقابر الموتى ، اذن لولا أنه قد مات ما كان يسكن فى الدير . القلاية أيضا يحسبها الراهب أنها قبره فيها يتذكر الموت كل حين، يفكر لا كيف يعيش حسنا بل كيف يموت حسنا لأن ذكر الموت هو أول الصالحات اذ يمنع الانسان من ارتكاب خطايا كثيرة . وان سكن فى مغارة منحوتة فى الجبل تذكرة دائما بالقبر اذ تشبه فى شكلها وتصميمها القبر فقبر الرب يسوع كان « قبرا منحوتا (لو ٢٣:٥٣) . وقبر لعازر حبيب الرب « كان مغارة وقد وضع عليه حجر » (يو ١١ : ٣٨) . فيكمل عليه القول : « **ان الرهبان ارتضوا بان يدفنوا احياء فى الأرض لكى لا يدفنوا موتى فى الجحيم** » .

السكوت علامة مميزة للميت ، هكذا الراهب ـ كغريب أو كميت ـ يجب أن يلزم السكوت فى كل شىء . ويقول القديس يوحنا القصير ـ الصمت فى كل الأمور هو الغربة ، والغربة الحقيقية هى الصمت . ويقول الشيخ الروحانى « من منع فمه عن الكلام حفظ قلبه من الأوجاع . وفم الساكت يترجم أسرار الله » ويقول القديس انطونيوس « الغربة هى أن تجمع ذاتك من الكثيرين والسباحة فى الثبات فى القلاية » .

الميت فى القبر لا يفتخر بين الأموات بجاهه وغناه وحسبه ونسبه وعظمته السابقة هكذا ينصح الدرجى كل راهب قائلا « اكتم شرف جنسك وجلالة شرفك واحذر من أن تشهرهما لئلا توجد فى اعمالك منهمكا فى طريق (الغربة) وفى فمك وأقوالك متلهفا الى طريق غيرها » .

الميت لا يبالى بكرامة او اهانة تلحق به هكذا يجب على الراهب أن يزهد فى الكرامات ويحتمل كل ما يأتى عليه بشكر دون تذمر او تململ فيقول أحد القديسين « ان الرهبنة هى غربة وفقر وصبر على البلايا والظلم » وقد نصح القديس بفنوتيوس بعض الاخوة الذين اتوا اليه يطلبون منفعة قائلا « ليكن عندكم الحزن افضل من الفرح والتعب أفضـــل من النيـاح والاهانة أفضل من الكرامة » (٤) .

من الصفات المعروفة والملازمة للانسان عندما يكون متغربا فى اى مكان بعيدا عن وطنه الأصلى أن لا يكون له دالة مع اهل المكان ليتحدث معهـم فى كل شئ ويتداخل فى كل الامور او يلاجج فى شىء بل ـ كغريب ـ لا يتعدى حدوده من الذوق والأدب واللياقة الى أن يتصرف بسلام مثلا يسمع الانتهار القائل « أبعد الى هناك . جاء هذا الرجل ليتغرب وهو يحكم حكما » (تك ١٩ : ٩) . هكذا يجب على الراهب أن يحافظ فى غربته على نفسه من الدالة التى هى كريح السموم تهلك كل تعب الراهب مصـغيا الى نصيحة القديس برصنوفيوس « غريب أنت يا أخى فكن غريبا بالتمام » .

بعض اقوال الآباء عن الغربة والموت عن العالم :

وقد طوب آباء الرهبنة العظام حيـاة الغربة والموت عن العـالم ومدحوها باعظم المديح فها القديس مكاريوس أب الرهبنة يعتبر الغربة هى السبب الأول لوصول القديسين الى تلك المراتب الروحية العالية والأمجاد العظيمة التى حازوها فيقول « ... عظيم هو مجد القديسين ، فينبغى أن نفحص عن تدبيرهم الذى نالوا بواسطته هذا المجـد وبأى عمـل وفى اى طريق وصلوا اليه ، وقد علمنا أنهم لم يقتنوه بغنى هـذا العـالم ولا حصلوا عليه بصناعة او بتجارة ما ولا اقتنوه بشىء مما يملكونه اذ انهـم تمسكنوا وتغربوا عن هذا العالم وحالوا جياعا فقراء فعلى مـا اراه اجـد انهم نالوا ذلك المجد العظيم بتسليمهم ذواتهم وتدبير أمورهم ونياتهـم لله . تركوا أهويتهـم كلها من أجل الرب وتبعـوه حاملين الصليب ولـم يفصلهم حب شىء عن محبته ... » (٥) .

---

(٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٣٢ .

(٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٣٢ .

ولمزيد من اقوال نافعة عن الغربة نقتطف منها الاتى :

« الذين يتقدمون الى طريق الرهبنة سبيلهم ان يجحدوا كل شيء من اشياء الدنيا ويتهاونوا بحاسنها وان يقصوا عنهم سائر مساعيها ويضعوا اساسا حسنا لرهبنتهم » .

« رديء هو الاتصاق والتأسف على شيء من الاشياء التى تخصنا او القريبة منا لافتقارها ان تجذبنا الى العالم قبيلا قبيلا وتبرد وتطفيء حرارة غربتنا ، وكما انه من العسير ان يومىء احدنا بعينه الواحدة الى السماء وبعينه الاخرى الى الارض . كذلك من العسير ان لا يغتصب من لا يجعل نفسه غريبا بالكلية بفكره وبجسمه » .

وللشيخ الروحانى نشيد روحى موسيقى فى تطويب الغربة غاية فى العذوبة والجمال يقول : « ... هؤلاء الذين تركوا عنهم اهتمامات هذه الحياة وغرور هذا العالم وكل حب جسدانى ، وتغربوا فى هذه الارض محتملين الضوائق ومستعذبين الاحزان ، مبغضين اللذات والشهوات ومعرضين عن كل مفرحات هذا الدهر ، وصرفوا وجوههم عن كل قنية ارضية ومفاخر الحياة ، نبذوا بيوتهم ليسكنوا فى بيت الرب مدى الايام ، تركوا الاب والام والاخ والاخت لتصير انت يا رب لهم ابا واما واخا واختا تركوا كل شيء حتى ذواتهم وارادتهم وطلبوك انت وصنعوا ارادتك .

مبارك انت ايها الحبيب لانك انت لنا كل شيء ومعك لا نحتاج شيئا .

... طوبى لمن قطع حديث العالم من فمه ليتحدث معك لانك تظهر له ذاتك وتعزيه الاما مضاعفة وتصير انت اكله وشربه وغطاءه . تفرح قلبه وتبهج نفسه وتصير معه كل حين لتعزمه ذاتك يهرب من الشمس ليتمتع بنورك . يغلق بابه لتفتح بابك ينقطع عن الناس ليجلس معك ، يطلب اليك بدالة الابن الساكن فيه الى ابيه المتحد به ... تشرق بنورك على عقله فتسبيه الى بلاد النور فيرى عجبا من اسرارك . تتبدل شهوة العالم الساكنة فيه بشهوة الحياة معك وبرائحة النعمة التى تفوح من جسدك عليه تغنيه عن كل ما فى العالم من الروائح الذكية والنسيم العطر . حينما يأكل يراك فى لقمة الخبز وحينما يشرب يحس بك انت الصخرة التى ينبع منها الماء .

تصير له كل شيء ومعك على الأرض لا يعوزه شيء » (٦) ٠

الأسرة الحقيقية للراهب :

يتصح يوحنا الدرجى الراهب الذى يحيا فى الغربة قائلا : « **ليكن أبوك** من يشاء ويقتدر أن يتعب معك فى حمل وسق خطاياك ، **ولتكن أمك** الخشوع القادر أن يغسلك من وسخك ، **وليكن أخوك** من يتعب معك ويساعدك فى السعى الى العلو ، واقتن **قرينة (زوجة)** يعسر انفصالها عنك وهى ذكر خروجك من الدنيا (أى التذكر الدائم للموت) **وليكن اولادك** المحبوبون زفرات قلبك ، واقتن جسمك **عبدا لك** ، واقتن لك **أصدقاء** من القوات القادرة أن تنفعك فى وقت خروجك من الدنيا (الملائكة والقديسين)»٠

اعطنى يا رب ان أعيش غريبا عن هذا العالم حتى يأتى **اليوم** الموعود واتغرب عن الجسد أيضا واستوطن عندك **يا** رب (٢ كو ٥ : ٨) عضدنى حسب قولك فاحيا ولا تخزنى من رجائى (مز ١١٩ : ١٦) آمين ٠

(٦) كتاب السبع طلبات الليلية والنهارية اصدار دير السريان العامر ص ١٨٢ ـ ١٨٦ ٠

الباب السابع عشر

الرهبنة حياة تكريس

فى الكنيسة المقدسة دعوتان اساسيتان للتكريس هما الكهنوت (اى الخدمة) والرهبنة ·

ولكل من الدعوتين هدفها الذى تسعى اليه ومنهجها الذى تسير فيه رغم انهما شهادة واحدة للمسيح وتطبيق مباشر لوصايا الرب ودرجة عالية من محبة الله التى تتمسكبى فى قلوب المكرسين بالروح القدس المعطى لهم ·

فالدعو للكهنوت والخدمة هدف تكريسه خلاص النفوس ، ومنهجه تادية الأسرار الكنسية للمؤمنين ووعظهم وارشادهم وافتقادهم وحل مشاكلهم . كأب حنون ووكيل سرائر الله · سلمه الرب يسوع شعبه ليقودهم فى المراعى الروحية الى أن يوصلهم الى راعى نفوسهم واسقفها الرب يسوع · وبالاجمال يكرس حياته لخدمة ورعاية المؤمنين من كل النواحى ، حسب قول الرب « من اجلهم اقدس (أكرس) أنا ذاتى » (يو ١٧ : ١٩) ·

وقد قال الرسول بولس لخدام كنيسة افسس « احترزوا اذا لانفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (اع ٢٠ : ٢٨) ·

اما هدف تكريس الراهب فهو الوصول الى درجات عالية من حياة الاتحاد بالله ونقاوة القلب وبالتالى الى خلاص نفسه · ومنهجه ان يسكن فى البرارى والقفار مواصلا حياة الصلاة والتأمل ومتدرجا فيها الى أن يصل الى الدرجات العليا مما يسمى بالدهش والاتحاد بالله وما فوق حدود الصلاة ·

ثم هو ايضا يتدرج فى حياة التوبة والنقاوة وصفاء الذهن والحواس حتى يصل الى مرحلة من الشفافية والسلام تجعله يعيش على الأرض ، وكأنه فى السماء ، وهذا ما يسمى بناء عربون الملكوت ، الذى يعطى للمجاهدين الأتقياء .

فمثلا اذا كان اثنان فى مستوى روحى واحد ، احدهما اختار حياة الخدمة والعمل ، والآخر اختار حياة الرهبنة والتأمل ، يشبهان شخصين أخذا شهادة دراسية واحدة ، ثم اختار أحدهما أن ينزل الى حقل العمل والآخر اختار أن يجلس فى مكتبه أو معمله عاكفا على الدراسة والبحث والاختبار حتى يصل الى قائمة عالية جدا او يكتشف أو يخترع شيئا جديدا واكتشافات حديثة فى الدراسات والابحاث التى تخصص فيها . مما يفيده هو شخصيا ثم يفيد العالم كله بما وصل اليه من ابحاث هامة او اكتشافات جديدة واختراعات قيمة .

هكذا الراهب الذى يستطيع ان يثبت فى قلايته ويجاهد الجهاد الناسكى الذى يرسمه له الآباء ، يستطيع بنعمة الله أن يصل الى قامة روحية عالية واختبارات عجيبة فى طريق السير مع الله واختبار الوجود معه ويرى عجبا من معاملات الله للذين يحبونه من قلب نقى ويدعونه بالحق .

يستطيع أن يقتنى صلاة منتبهة واتصالا بلا موانع مع الله المرحوم وتطبيق عملى للوصية وحياة انجيلية متجسدة منتصرة على الشياطين والعالم والاغراءات ، وشهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، وهكذا يستطيع بنعمة الله ان ينال الحياة الأبدية مع الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة ، ويستطيع ايضا أن يخدم الكنيسة بل والعالم كله بصلواته ، وقدوته وكتاباته العميقة الاختبارية ، ايضا بمعجزاته ان سمح الله واعطاه بعض المواهب من هذا النوع .

من أجل هذا كله ومن أجل الكثير غيره مما يصل اليه الرهبان المتعبدون حسنا فى عشرتهم القوية مع الله يقول الدكتور راغب عبد النور

فى كتابه « ايضاحات عن التكريس » ص ٢٧ « وليس فى امكاننا ان نجرد المتوحدين من درجة التكريس . ولعلهم من هذه الناحية قد بلغوا اعلى القمم بلا منـــازع » .

نعم ، فالراهب الذى تخلى عن منصبه فى العـالم وأمواله وحتى عن اهله واقاربه وبالاخص والديه بما لهما من معزة وحب .. اذ قد ترك كـل هؤلاء ونزح الى الأديرة والبرارى طالبا الرب وحده متمنيا عشرته الحلوة مائلا مع المرنم .. أما اذا عجز فى الانتصاق بالرب .. لهو اكثر تكريسا من أى مكرس عادى ما زالت تربطه ببعض الناس روابط اللحـم والدم والعاملات والخاسبات ..

الراهب من هذه الناحية يشبه ذبيحة المحرقة التى كانت بكاملها على المذبح « ثم يوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب (لا ١ : ٩) » ، وذلك بخلاف باقى الذبائح التى كان يشترك الكهنة ومقدم الذبيحة فى أكل بعض أجزائها .

الراهب هو انسان اشتعل قلبه بمحبة الله كرجع صدى لمحبة اللـه الفائقة ، واشتاق للمثول المتواتر بين يديه ، يناجيه ويعبر له عن حبـه ، ولسان حاله يقول مع المرنم « كما يشتاق الايل الى جـداول المياه هكذا تشتاق نفسى اليك يا اللـه . عطشت نفسى الى الاله الحى . متى اجىء واتراءى قدام الله (مز ٤٢ : ١ ، ٢) » . يا الله الهى اليك أبكر عطشت اليك نفسى ، يشتاق اليك جسدى فى أرض ناشفة ويابسة بلا ماء لكى ابصر قوتك ومجدك كما رايتك فى قدسك (مز ٦٣ : ١ ، ٢) » . وقد مارس جزئيا وهو فى العالم حياة العشرة مع الله والجلوس عنـد قدميه يسمع صـوته ويصلى اليه ويتامل فى محبته ورحمته التى صنعها مع البشر عامة ومعـه شخصيا ، ولما ذاق محبة الله وحلاوة الوجود فى حضرته اشتاق الى المزيد من عثرات الوجود والدخول فى حضرة الله ولكن المشغولات الـكثيرة التى فى العالم والتى تبتلع جزءا كبيرا من وقته ، منعته من اشباع رغبته المقدسة

هذه ، ولم تشبعه تلك الأوقات القليلة ليختلى فيها مع الله يصلى ويتأمل ويقرأ ويهذ فى ناموس الله .

فيذهب الى الدير ، يكرس حياته كلها لله ، ولله وحده ، تماما كالخادم الخاص للملك الذى يلازمه فى كل الأوقات وفى كل الأماكن وفى كل الظروف .

هكذا تبدأ فكرة التكريس لحياة الرهبنة عند كل راهب تقريبا ، وفى الدير بعيدا عن الشغوليات الكثيرة ، يجد متعته وينفذ رغبته فى حياة الوجود مع الله بالهذيذ والتأمل والصلاة فيصل الى حالة شبع بالله هناك تحلو له الحياة ، فيهتف مع المرنم قائلا ، طوبى لكل السكان فى بيتك يباركونك الى الأبد يسيرون من قوة الى قوة (مز ٨٤ : ٤) . مغروسين فى بيت الرب فى ديار الهنا يزهرون (مز ٩٢ : ١٣) » .

الفصل الثامن عشر

الرهبنة حياة صلاة

من بركات الله على الكنيسة أن جعل فيها طغمة متخصصة في عمل الصلاة والعبادة والتأمل هي طغمة الرهبان . فالصلاة كما يقول يوحنا الدرجي هي ثروة الرهبان وطعام الروحانيين وخميرة الصامتين في الهدوء .

تتخصص طغمة الرهبان في هذه الناحية وتتفرغ لها ، تتدرج فيها حتى تصل الى أعلى درجاتها الروحية . من صلاة الى تأمل الى عكوف هي دعش الى رؤية الله الى الاتحاد بالله ، وذلك لكي تعوض النقص الذي يعانيه البعض في مسألة الصلاة النسكية المتحررة ذات الأصول والأوصاف الانجيلية ، وذلك من جراء انشغال المؤمنين في أعمالهم الدنيوية واهتمامهم بمعيشتهم وحياتهم العائلية(١) ، وأيضا لانشغال الخدام في أمور الخدمة التي اتسعت وتشعبت بحيث اصبحت تمتص كل وقت الخادم ولا تترك له وقتا كافيا ليصلي الصلاة العميقة الطويلة .

الصلاة هي التي تميز الراهب عن الشخص العلماني . وحياة الصلاة هي التي تجعل الراهب راهبا ، أما اذا تجاهل الراهب دعوته هذه ولم يخلص لها اختلت حياته كراهب .

ولما كان النمو الى الدرجات العليا من الصلوات النقية المقبولة يحتاج الى بعض الشروط التي يصعب في العالم احيانا تنفيذها مثل ضبط

---

(١) يقول في ذلك الحكيم يشوع بن سيراخ ، من يسلم نفسه للتأمل في شريعة العلي فانه يبحث عن حكمة جميع المتقدمين ويتفرغ للنبوات ... يوجه قلبه الى الابتكار أمام الرب صانعه ويتضرع الى العلي ويفتح فاه بالصلاة ويستغفر لخطاياه ... فيفيض بأقوال حكمته وفي الصلاة يعترف للرب . يستهدي بمشورته وعلمه ويتأمل في خفاياه » (سي ٣٨ : ٢٩ ، ٣٤ : ١ ـ ١٠) .

الفكر والصمت وحفظ الحواس ، ثم الصلاة الدائمة واختبار الوجود فى حضرة الله وتحرير انفس من المشاغل الأرضية التى تربطها بالأرض وتعوق انطلاقها الى السماويات .

لكل هذا اختار الآباء البرعبان البرارى البعيدة والقفار الموحشة رغم ما فيها من صعوبة المعيشة وشظف العيش ، اختاروها ليكونوا بعيدين عن كل ما يعوقهم عن حياة التأمل الدائم فى الله والوجود المستمر فى حضرته . انحلوا عن الكل ليرتبطوا بالواحد ، تغربوا عن الكل ليتقربوا الى الواحد ، حتى يكمل عليهم قول الكتاب « عابدين بالجهد ليلا ونهارا » (أع ٢٦ : ٧) .

وفعلا كان اختيارهم للبرية موفقا وناجحا ، فقد ساعدتهم البرية بما فيها من هدوء وبعد عن كثرة المناظر والسماعات أن يصلوا الى أعلى قمم الصلاة والتلذذ بالله والوجود فى حضرته مدى الحياة .

كانوا يستعدون للصلاة بحفظ حواسهم نقية طاهرة حتى يستطيعوا الدخول الى الجو الروحانى الذى للصلاة والمثول فى حضرة الله ، حتى تكون صلواتهم نقية وحارة ومقبولة لدى الله . يقول الحكيم يشوع بن سيراخ **قبل الصلاة اهب (أعدد نفسك ولا تكن كانسان يجرب الرب »** (سى ١٨ : ٢٣) .

يسوع المسيح رائد حياة البرية :

الحياة فى البرية تساعد كثيرا على حياة الصلاة والالتصاق بالله . لذلك فالرب يسوع المسيح الذى يود أن يكون دائما فيما لأبيه ، كان يتردد كثيرا على البرية للخلوة والصلاة ، فنقرأ عنه أنه لما أراد أن يصوم ذهب بالروح **الى البرية** وهناك مكث أربعين يوما صائما مصليا حتى قهر الشيطان وانتصر على كل خداعاته .

وحتى اثناء انشغاله بالخدمة كان كثيرا ما يخرج الى الجبل وحده فى هدوء الليل طلبا للخلوة والصلاة فنقرأ عنه أنه « كان فى النهار يعلم فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى **الجبل** الذى يدعى جبل الزيتون » (لو ٢١ : ٣٧) **وفى الجبل** « كان يقضى الليل كله فى الصلاة » (لو ٦ : ١٢) .

ابراهيم عاشق سكنى الجبـــال :

اب الآباء ابراهيم لما جاء الى ارض كنعـان وسكن فيها ، وكـان الكنعانيون حينئذ فى الأرض (تك ١٢ : ٦) . ولما كان ابراهيم يتـوق الى حياة الجبل بما فيها من انطلاق روحى والتصاق بالله ومقاومة فى الصلاة ، **نقل من هناك الى الجبل** شرق بيت ايل . وبنى هنـاك مذبحـا للرب ودعا باسم الرب (تك ١٢ : ٨) . كذلك بعد أن رجع من رحلته الطويلة الى مصر ، رجع الى نفس المكان الى الجبل الذى استهواه بهدوءه وسكونه وهناك دعا (صلى) باسم الرب (تك ١٣ : ١ ـ ٤) .

الله يطلب الى شعبه أن يعبدوه فى البرية :

لما افتقد الرب بنى اسرائيل وأرسل لهم موسى ، دخل موسى وهارون وقالا لفرعون ، هكذا يقول الرب اله اسرائيل : **اطلق شعبى ليعبدوا لى فى البرية** (خر ٥ : ١) . ولما رفض فرعون قال الرب لموسى ثانية ، اذهب الى فرعون فى الصباح .. وتقول له الرب اله العبرانيين **أرسلنى اليك قائلا اطلق شعبى ليعبدونى فى البرية** ، وهو ذا حتى الآن لم تسمع (خـر ٧ : ١٥ ـ ١٧) . وقد تكررت دعوة الرب هذه لاطلاق الشعب الى البرية ليذبحوا له ويعبدوه هناك ، تكررت عدة مرات فى (خر ٨ : ٢ ، خر ٨ : ٢٠ ، خر ٩ : ١ ، خر ٩ : ١٣) .

ولما قال فرعون لموسى وهارون ، اذهبوا اذبحوا لالهكم فى هذه الأرض (خر ٨ : ٢٥) رفضا اقتراحه وأجاباه ، لا يصلح أن نفعل هكذا .. نذهب سفر **ثلاثة ايام فى البرية** ونذبح للرب الهنا كما يقول لنا ، فقال فرعون انا اطلقكم لتذبحوا للرب الهكم فى البرية ، ولكن لا تذهبوا بعيدا . صلوا لأجلى (خر ٨ : ٢٦ ـ ٢٨) . .

من كل ما تقدم نلحص بصورة الله وكامل رضاه على العبـادة التى تقدم له فى البرية حيث السكون والبعد عن ضوضاء العالم ، لأن الرب من محبته فى بنى البشر يقـــول ، لذاتى مـــع بنى آدم (أم ٨ : ٣١) . . وبالتـالى يريد من بنى آدم أن يتلذذوا به ويحسسوا بصـلاحه وبركاته ومحبته وذلك بالوجود فى حضرته والصلاة النقية المرفوعة اليه ، والبرية بما فيها من هدوء وسكون هى أفضل مكان لرفع مثل هذه الصلوات .

بعض الرهبان وصلوا الى أعلى قمم الصلاة :

عرفنا الرهبان بصبرهم ومثابرتهم وجهادهم ونسكهم الى ان يتوصلوا الى الله ويتخذونه لهم صديقا الزق من الاخ . وصل بعضهم الى درجة موسى النبى الذى كان يكلمه الله فما لفم كما يكلم الرجل صاحبه (عد ١٢ : ٨) . وصل بعضهم الى درجة ابراهيم الذى كان الرب يظهر له اسراره قائلا كيف اخفى عن عبدى ابراهيم ما انا فاعله .. (تك ١٨ : ١٧) وقبل شفاعته فى سدوم وعمورة لولا انه لم يجد فيها الحد الادنى الذى طلبه ابراهيم وهو عشرة ابرار . وصل بعضهم الى درجة داود النبى الذى قال « أما أنا فصلاة » بل واكثر من داود فلم نسمع عن داود ان عقله ظل مرفوعا الى السماء ثلاثة أيام متوالية متصلة لم ينزل فيها الى الأرض . لحظة واحدة مثلما فعل القديس مكاريوس الاسكندرانى الذى لم ينزل عقله الى الأرض فى نهاية الثلاثة أيام الا لما احرق الشيطان الحصيرة التى تحت رجليه من شدة غيظه منه (٢) ولم يصل داود ايضا ان يظل أربعة أشهر حبيسا متفرغا للصوم والصلاة مثلما فعل القديس مكاريوس المدنى ، الذى ظل أحد الاخوة يتردد على قلايته يوميا لمدة أربعة أشهر كاملة ليسأله عن كلمة ، فكان كلما ذهب اليه لا يجده متفرغا من الصلاة حتى ولا مرة واحدة ، فتعجب الأخ لذلك وقال « هذا ملاك وليس بانسان » وانتفع جدا (٣) .

كذلك نقرأ عن القديس مكسيموس انه عندما كان يصلى كان يخرج كلامه مثل حبل نار يصعد الى السماء ، وكان أخوه الصغير دوماديوس اذا صلى يبرز من فمه مع كل كلمة يقولها شهاب نار يصعد الى السماء (٤) .

كان القديس أرسانيوس يستمر الليل كله ساهرا فى الصلاة ، وكان فى ليلة الأحد يقف ساعة الغروب ويجعل الشمس خلفه ويبسط يديه للصلاة حتى تسطع الشمس فى صباح اليوم الثانى ثم يستريح(٥) .

---

(٢) كتاب سير الثلاثة مقارات القديسين اصدار دير السريان العامر ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٧٥ .

(٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٣١ .

(٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٤٦ .

قوة فاعلية صلوات القديسين :

كانت صلوات القديس تادرس الاسقيطى تربط الشياطين خارج القلاية ولا تدعهم يتحركون حتى يخرج الشيخ على صوت صراخهم وينتهرهم فيمضوا مخزيين (٦) .

صلوات القديس مكاريوس الكبير أحيت ميتا (٧) وكذلك صلوات القديس سرابيون (٨) .

صلوات القديس مكاريوس الاسكندرانى جعلت المطر ينهمر مدرارا بعد قحط وجفاف شديدين (٩) . وغير ذلك الكثير والكثير من المعجزات التى عملت بصلوات الآباء القديسين لابسى الصليب .

ويحكى لنا سنكسار ٢٥ أبيب قصة مؤثرة عن قوة فاعلية صلوات وسهر الآباء الرهبان على من يسمعونها ، فيقول السنكسار فى سيرة الشهيد العظيم ابا كراجون : « انه كان أولا لصا واتفق معه شابان فى اللصوصية ومضوا معا الى قلاية راهب فى برية القديس مكاريوس فوجدوه ساهرا فى الصلاة ، وانتظروا الى أن ينتهى من صلاته وينام ليدخلوا ويسرقوا مافى القلاية ، ولكن الراهب ظل واقفا يصلى حتى انحلت قلوبهم ورجعوا الى الوراء ، وفى الصباح خرج اليهم الشيخ فلما أبصروه القوا سيوفهم وخروا امامه ساجدين ، فوعظهم الشيخ وعلمهم وبعد ذلك صاروا رهبانا . أما القديس أبا كراجون فأجهد نفسه فى عبادات كثيرة فتنبأ له الشيخ أنه لابد أن ينال اكليل الشهادة ، وقد تم له ذلك اذ أصبح شهيدا عظيما بعد أن كان لصا مجرما (١٠) .

---

(٦) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٠٣ .

(٧) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٩ .

(٨) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٨٥ .

(٩) كتاب الثلاثة مقالات القديسين اصدار دير السريان ص ١٧١ .

(١٠) الصادق الأمين فى أخبار القديسين جـ ٢ ص ٢٦٧ .

يتحدثون مع الرب باستمرار وأفواههم مقدسة :

« كانت الصلاة هي واجبهم الأول وعملهم الأساسي وشغلهم الشاغل، حتى أثناء العمل لا تنقطع الصلاة ، اذا كانوا كثيرا ما يرغمون عقولهم للرب في صلوات حارة قصيرة ... وكانوا يتعلمون يوميا شيئا من الكتب المقدسة اذ كانت هي دراستهم الرئيسية ومنها يستمدون مادة صلواتهم وتأملاتهم وكانت قراءة هذه الكتب هي الغذاء الروحي اليومي لنفوسهم . ولقد بلغوا في ذلك حدا أن كان كل منهم يعتبر عالما في الحكمة الالهية (١١) .

« ورغم أنهم كانوا أناسا فقراء كانت جميع الطبقات تحيطهم بكل مظاهر الاحترام العميق كرجال يعيشون عيشة ملائكية . ويذكر أنه بينما كان يموى سائرا ذات يوم مع بعض الأخوة قابل بعض الرجال جالسين فقال لهم « قوموا وحيوا النساك حتى تنالكم البركة **لأنهم يتحدثون مع الرب باستمرار وأفواههم مقدسة** » (١٢) .

آباء الكنيسة العظام يشهدون للرهبان رجال الصلاة :

قد شهد بقداستهم البابا بنيامين الأول عند تدشين هيكل القديس مكاريوس ، قال : « ... فلما أكملت الخدمة الالهية وقربت (أي ناولت) الكهنة (من الرهبان) رأيت نعمة عظيمة يجب الا أخفيها عنك ، انا تقدم الشيوخ الى القربان رأيت دخان بخور يصعد كالمطر من أفواههم ، حتى ظننت ان كل واحد من أولئك الآباء الرهبان يحمل بخور عند تقديمه الى القربان . ثم انفتح سقف البيعة فصعد منه ذلك العطر ، وتأملت أفواههم ودعاءهم عند دنوهم من القربان فرأيت الكلام يخرج من أفواههم والبخور يخرج من أفواههم ويصعد الى السماء فتحققت حينئذ أن دعاءهم وصلواتهم التي يقولونها عند أخذهم السرائر المقدسة التي هي جسد ودم المسيح الطاهر مقبولة أمام الله ، كما رأيت الملائكة يتسلمون صلواتهم هذه ويصعدونها أمام كرسي الرب . فمن عظم دعائهم وصلواتهم قلت ، حقا ان هذه هي الثمار الذهب التي عليها المصباح والجوهرة الثمينة

---

(١١) كتاب أديرة وادي النطرون للدكتور منير شكري ص ١٢٥ .

(١٢) كتاب وادي النطرون للدكتور منير شكري ص ٩٨ .

وكوكب الصبح المشرق المضيء على كل المسكونة ، وسبحت بتسبحة الثلاثة فتيه حنانيا وعزاريا وميصائيل التى قالوها فى أتون النار « مبارك انت يا رب اله ابائنا ومسبح وممجد الى الابد ، ومبارك الرب بالحقيقة اله هؤلاء القديسين الذين يستقيم العالم بهم وبأمثالهم . حقا ان هذا هو مجمع الملائكة وميناء كل الأنفس التى هربت الى الله منجى كل الأنفس . ثم مجدت وشكرت الرب يسوع المسيح الذى جعلنى مستحقا أن اشاهد ما رأيت » (١٣) .

كما مدحهم القديس العظيم الأنبا اثناسيوس الرسولى البابا العشرون بقوله « كانت مساكن الرهبان تعتبر هياكل مديح تسمع فيها المزامير والتراتيل والترنيمات الروحية وكان البر والمحبة سائدين فيها مع الصلاة والصوم ، وكان الرهبان يتعبون فى عمل أيديهم حتى لا يكونوا علة على أى انسان ، وحتى يخففوا ويلات الفقراء والمحتاجين من عرق جبينهم . كانوا يزدرون بالفضة والذهب وكنوز هذا العالم التى كانت كثيرة الاعتبار فى أعين الناس ولكن الرهبان كانوا يعدونها نفاية ، والذين زاروا الأديرة عادوا مندهشين كأنهم رأوا ملائكة لا بشرا .

كما مدحهم القديس ايرونيموس بقوله :

« لا يهتمون بالمسكن أو الأكل أو الملبس . ولا هم لهم سوى مجىء المسيح رجائهم . وان نقص أحدهم كثير من الضروريات فلا يقصد مدينة أو قرية أو أخا أو صديقا أو قريبا طلبا للأشياء اللازمة له ، بل يرفع يديه للتضرع ويقدم اعتراف شفتيه لله ، وعندما يختم صلواته يجد أمامه كل ما يحتاج اليه . وكان كل ساكن فى تلك الديار (ديار مصر) يعلم ان الدنيا قائمة فى الوجود بصلواتهم وأن حياة بنى البشر ثمينة عند الله بواسطتهم » (١٤) .

---

(١٣) سير الثلاثة مقارات القديسين اصدار دير السريان العامر ص ٩٨ .

(١٤) مجلة مدارس الأحد العدد الأول من السنة الثانية عشر ص ٢ .

الأباطرة والملوك يلتمسون بركات الرهبان رجال الصلاة :

ومن أجل الحياة الالهية والملائكية التى كان يحياها الآباء الرهبان ومن أجل صلواتهم القوية والمقبولة لدى عرش النعمة سارع الأباطرة والملوك الى طلب بركتهم وصلواتهم واستشارتهم فى الأمور الخاصة والعامة ، عالمين ومتيقنين أنهم رجال الله بالحقيقة وأن كلمة الله فى أفواههم .

فنقرأ عن الامبراطور العظيم قسطنطين الكبير انه أرسل خطاب رقيقا للقديس العظيم الأنبا أنطونيوس يطلب منه أن يمنحه وأفراد أسرته البركة والدعاء (١٥) .

كما نقرأ أن الأمبراطور ثيئودوسيوس الكبير يستشير القديس يوحنا الأسيوطى فى أمور الدولة الهامة ، كذلك القائد الرومانى الذى كان معسكرا فى أسوان كان يستشيره فى الأمور السياسية ، وقد أطلق على هذا القديس لقب « نبى مصر » (١٦) .

ونقرأ أيضا أن الامبراطور ثيئودوسيوس الصغير أرسل مرتين برسائل شخصية مع رسول خاص الى شيوخ برية شيهيت ليصلوا لأجله حتى يرزقه الله ولدا يخلفه على العرش (١٧) .

واستشارة الملوك والعظماء لرجال الصلاة ليس بالأمر الغريب ، فنقرأ فى العهد القديم أمثلة كثيرة من هذا النوع فمثلا :

١ - فرعون يلجأ الى موسى وهارون :

كان فرعون ملك مصر كثيرا ما يلجأ الى موسى وهارون قائلا « صليا الى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى (خر ٨ : ٨) أو « صليا الى

---

(١٥) كتاب « كوكب البرية » للقمص كيرلس الأنطونى (نيافة الأنبا باسيليوس حاليا) ص ١٥٧ .

(١٦) كتاب « تاريخ القديس الأنبا يوحنس القصير للقمص ميصائيل بحر ص ١٦ .

(١٧) كتاب ابيرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ص ٨٠ .

الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد (خر ٩ : ٢٨) ، أو « صليا الى الرب الهكما ليرفع عنى هذا المرت (يعنى الجراد) (خر ١٠ : ١٧) ، وهكذا ..

٢ - الشعب يلجأ الى صموئيل النبى :

حينما كان صموئيل النبى قاضيا لبنى اسرائيل وغضب الرب على الشعب بسبب طلبهم ملكا يملك عليهم مثل بقية الأمم ، اخبر صموئيل الشعب بذلك ، فخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جدا ، وقال جميع الشعب لصموئيل ، صل عن عبيدك الى الرب الهك حتى لا نموت (١ صم ١٢ : ١٨ ، ١٩) .

٣ - حزقيا الملك يلجأ الى النبى اشعياء بن اموص :

عندما سمع الملك حزقيا بتهديدات ربشاقى قائد جيوش ملك اشور ، مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب وارسل مندوبين الى اشعياء النبى بن اموص ، فذهبوا وقالوا له هكذا يقول حزقيا : هذا اليوم يوم شدة وتأديب واهانة ... فارفع صلاة من اجل البقية الموجودة (٢ مل ١٩ : ٤) .

٤ - يوشيا الملك يلجأ الى الكهنة :

عندما سمع يوشيا كلام سفر الشريعة ، ووجد ان الشعب قد حاد تماما عن عبادة الله بحسب الموجود فى سفر الشريعة مزق ثيابه ، وامر حلقيا الكاهن وآخرين قائلا ، اذهبوا اسألوا الرب لأجلى ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد .... (٢ مل ٢٢ : ١٢ ، ١٣) .

٥ - صدقيا الملك يلجأ الى ارميا النبى :

وبعد ان ملك صدقيا على اورشليم من قبل نبوخذنصر ملك بابل ، ارسل الملك صدقيا يهوخل بن شلميا وصفنيا بن معسيا الكاهن الى ارميا النبى قائلا « صل لأجلنا الى الرب الهنا (ار ٣٧ : ٣) .

٦ - الناس يلجأون الى ارميا النبى :

بعد أن قتل اسماعيل بن نثنيا جدليا بن أخيقام الوالى الذى اقامه نبوخذنصر ملك بابل على اورشليم ، خاف الشعب ان يأتى ملك بابل وينتقم من البقية الباقية ويبيدهم عن آخرهم وهنا ، تقدم كل رؤساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويزينا بن هشعيا وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقالوا لارميا النبى ليت تضرعنا يقع امامك فتصلى لأجلنا الى الرب الهك لأجل كل هذه البقية ... فيخبرنا الرب الهك عن الطريق الذى نسير فيه والأمر الذى نفعله (ار ٤٢ : ١ - ٣) .

وغير ذلك امثلة كثيرة .

وهكذا فى كل زمان ومكان يلجأ الناس الى رجال الصلاة اصحاب العشرة القوية والدالة العظيمة مع الله قائلين ، صل عن عبيدك ... او صل لاجل كذا ... ، .

وكثيرا ما يتمجد الله ويقبل صلوات اصفيائه ويحل المشكلة او يزيل المرض او يعمل المعجزة .

وكما كان الناس قديما يلجأون الى الرهبان المتعبدين حسنا يطلبون صلواتهم من أجل أمورهم الخاصة والعامة ، ما زال حتى الآن - رغم جيلنا الرهبانى الأقل قوة - ما زال الناس يلجأون الى الرهبان ، سواء بالحضور شخصيا الى البراوى حيث توجد الأديرة متجشمين متاعب وتكاليف السفر ، أو يرسلون اليهم الخطابات طالبين الصلاة من أجل مشكلة معينة او مريض حار الأطباء فى شفائه أو طالب متقدم الى الامتحان يريد نجاحا ، وقد يلجأون اليهم أحيانا - وخصوصا للرهبان الشيوخ المختبرين ذوى الافراز والرأى السديد - يستشيرونهم فى امورهم ومشروعاتهم وتدبير حياتهم .

سبب قوة وفاعلية صلوات الآباء الرهبان :

اقتنى الآباء الرهبان فى كل زمان ومكان الصلوات القادرة أن تحرك ذراع الله التى تحرك العالم كله ، كما وصلوا الى الصلاة النقية التى هى المفتاح الذهبى لباب السماء ، تفتح وتدخل الى امام عرش النعمة ولا تخرج من هناك حتى تأخذ طلبها ، يطلبون ما يريدون فيكون لهم حسب وصية مخلصنا الصالح .

لم يصلوا الى هذا المستوى لأن لهم طبيعة غير طبيعتنا أو مواهب وقدرات أكثر مما لنا ، ولكن السبب بسيط وهو أنهم أكملوا الشروط الواجب توافرها فى الصلاة المقبولة والمثمرة مثل :

الايمـــان :

الذى يؤكد ان الله يستمع لكل كلمة يقولونها ، وانه يستجيب الصلاة بالطريقة التى فيها خيرهم ومنفعتهم . قال الأب نسطاريوس : احرص كل يوم أن تقف قدام الله بلا خطية ، وهكذا صل لله كأنك مشاهد له ، لأنه بالحقيقه حاضر .. (١٨) ، وقال آخر : احترسوا أيها الاخوة لكى تقفوا أمام الله بلا لوم .

وأن تقتربوا اليه بالدموع مثل المرأة الخاطئة ، وتضرعوا للرب الاله باعتباره واقف امامكم لأنه قريب ويرعانا باهتمام ، (١٩) .

كانوا يؤمنون بمواعيد الله الصادقة وأقواله النقاء المخلوصة سبع مرات (مز ١٢ : ٦) « لأنه ليس انسان فيكذب ولا ابن انسان فيندم . هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفى (عد ٢٣ : ٩) كان لهم الايمان البسيط القادر بالله على هدم حصون الشك . الايمان الذى يستطيع ان يحول الجبل من مكانه (مت ١٧ : ٢٠) او يقول للجميزة انقلعى وانغرسى فى البحر فتطيعهم (لو ١٧ : ٦) » .

يحكى لنا بستان الرهبان عن القديس موسى الأسود القصة التالية:

« زاره فى أحد الأيام وهو فى مغارته بالجبل قوم من الآباء ولم يكن له وقتئذ سوى جرة ماء واحدة . فاعد لهم عدسا يسيرا . فلما نفذ الماء حزن الشيخ وصار يخرج ويدخل ثم يخرج ويدخل وهكذا وهو يصلى الى الله ، واذا بسحابة ممطرة قد جاءت فوقه حيث كانت الصخرة ، وسرعان ما تساقط المطر فامتلأت أوعيته ، فقال له الآباء : لماذا كنت تخرج وتدخل أجابهم : كنت أصلى الى الله قائلا انك أنت الذى جئت بى الى هذا

---

(١٨) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٦٩ .

(١٩) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٥٠ .

المكان وليس عندى ماء ليشرب عبيدك ، وهكذا كنت ادخل واخرج مصليا الله حتى أرسل لنا الماء » (٢٠) .

ويروى انبا دولاس عن معلمه انبا بيساريون قائلا :

جئنا دفعة الى ضفة بحيرة وكنت عطشانا ، فقلت لأنبا بيساريون : انا عطشان فصلى الشيخ وقال تقدم خذ من ماء البحيرة واشرب وادا هى ميـــاه عذبة .

ثم ملأت كل الأوعية التى معى لأننى ظننت ربما أعطش مره أخرى فى الرحلة . ولما رآنى الشيخ قال لى : لماذا تملأ الأوعية مـاء ؟ أجبتـه : اغفر لى يا أبى لقد فعلت هذا لظنى انه ربما اعطش ثانيه اثناء رحلتنا . فقال لى : ليغفر لك الرب ان الله هو الذى يرشدنا ويهتم بنا عنا وعنك وفى كل موضـــع (٢١) .

٢ ـ المحبـــة :

كانوا مملوئين محبه بعضهم من نحو بعض ، كانوا يحبون بعضهم بعضا من قلب طاهر بشدة (١ بط ١ : ٢٢) لا يخاصـمون ولا يصـيحون ولا يمسكون حقدا فى قلوبهم ، كانوا متسامحين رحـومين نحـو ضـعفات بعضهم بعضا ، يعملون لبعضهم المطانيات فى اتضاع فتحترق الشياطين، كانوا لا يدعون الشمس تغرب على غيظهم (اف ٤ : ٢٦) .

يقول أحد الرهبان عند نياحته : منذ صرت راهبا مادنت احدا من الناس قـط ولا تممت قط ولا رقـدت وفى قلبى حقـد على أحـد ولا غضبت البتة (٢٢) . ولما سئل القديس ايسيذوروس : لماذا تفزع منك الشياطين يا ابانا ؟ ! قال : لأنى منذ صرت راهبا حتى الآن لم ادع الغضب يجوز حلقى الى فـوق (٢٣) لذلك كـانوا ، يرفعـون ايادى طاهـــرة بلا غضب ولا جدال (١ تى ٢ : ٨) » .

---

(٢٠) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٦٧ .
(٢١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٩٥ .
(٢٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٤٣٩ .
(٢٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٦١ .

٣ - تنفيذ الوصية :

كانوا يعكفون على دراسة الكتاب المقدس ويحاولون تنفيذ وصاياه واوامره بدون أن يمنعهم غرض ذاتى أو مصلحة شخصية أو شهوة داخلية، حولوا الوصية الى حياة حتى أصبح كل منهم انجيلا خامسا ورسالة الله المقروءة من جميع الناس برهنوا بحفظهم للوصية عن حبهم العميق لله حسب قول الرب يسوع « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى » والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه واظهر له ذاتى (يو ١٤ : ٢١) وفعلا احبهم الرب وأظهر لهم ذاته وقبل صلواتهم حسب قول الرسول « مهما سألنا ننال منه **لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه** (١ يو ٣ : ٢٢) » .

أعنا يا رب كما أعنتهم على رضاك وعلى العمل بوصاياك .

مرة مضى الأنبا سرابيون الى الاسكندرية فوجد انسانا عريانا فاعطاه ثوبه وجلس هو عريانا (٢٤) والانجيل فى يده ، فمر الحاكم (البرخس) فلما ابصره عريانا قال له يا أنبا سرابيون من عراك ؟ فاشار الى الانجيل وقال : هذا هو الذى عرانى . فبعد ما كسوه قام من هناك فوجد انسانا عليه دين وهو معتقل من صاحب الدين ، وحيث لم يكن له شىء يوفيه عنه باع الانجيل ودفع ثمنه للدائن ، ولما كان ماشيا لاقاه فى الطريق انسان يستعطى فاعطاه الثوب وجاء الى قلايته عريانا ، فلما ابصره تلميذه هكذا قال له يا معلم اين الثوب الذى كنت تلبسه ؟ اجابه : لقد قدمته يا ولدى قدامنا حيث نحتاجه ، فقال له ايضا : وأين انجيلك يا أبتاه الذى كنا نتعزى به ؟ فقال له : يا ولدى **لقد كان يقول اى كل يوم بع كل مالك واعطه للمساكين . فبعته (٢٥) .**

٤ - الرحمة :

يقول الحكيم ، من يسد اذنيه عن صراخ المسكين فهو ايضا يصرخ ولا يستجاب (لم ٢١ : ١٣) وليس رحمة فى الدينونة لمن لا يستعمل الرحمة .

---

(٢٤) ما عدا ما يستر عورته طبعا .

(٢٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٨٤ .

اما الآباء القديسون فقد وصلوا بفعل الرحمة الى درجات عالية من الكمال الانجيلي منهم من باع نفسه ليتصدق بثمنه على الفقراء ، مثل القديس ببنوده المرتدى والقديس بطرس العابد ، ومنهم من تصدق بالحبرة الواحدة البيضاء لديه وظل تلامه امام صانعها شاكرا .

٥ ـ الصـــوم :

اذا شبهنا الصلاة بنسر طائر فالصوم والرحمة هما جناحاه اللذان يطير بهما وبدونهما لا يستطيع أن يطير بل يتخبط الى أن يموت .

الصوم يهدئ حركات الجسد ويحد من توقد الحواس ، ويضع حدا لثرثرة اللسان ، وبذلك يمهد تمهيدا هاما للصـلاة الروحانيـة ، فتنطلق الروح من عبودية الجسد لتتأمل فى حقائق الابدية وما بعد الموت .

وقد ضرب الآباء الرهبان بسهم وافـر فى الصوم ، فمنهـم من كـان يصوم اسبوعا اسبوعا او ثلاثة ايام ثلاثة ايام ، منهم من صام عمره كله عن بعض الأطعمة التى اعتبروها نوعا من الترفيه .

كانوا اذا اكلوا طعاما يقنعـون بوجبة متواضـعة بحيث لا يعطون أجسامهم الا الضرورة كل الضرورة .

وهكذا وصلوا الى أعلى درجات الصوم وبالتالى الى أعلى درجات الصلاة والاستنارة والشفافية .

أكملوا هذه الشروط اللازمة لفاعلية الصلاة ، واكملوا غيرها الكثير مما لا يقع تحت حصر من شروط الصلاة المقبولة ، حتى صارت صلواتهم قوية ومقتدرة لأن تأخذ طلبتها ولا ترجع فارغة .

البابا شنوده الثالث يمدح حياة الرهبنة والرهبان :

ولقد تفضل قداسة البابا المعظم الأنبا شـنوده الثـالث أطال الله حياته ذخـرا للكنيسة وسندا للرهبنة ، فمدح الرهبان والحياة الرهبانية الملائكية بقوله :

« ان حياة الرهبـان بركة للعـالم ، يتوبون عن البشرية فى اشـياء كثيرة ، يقدمون لله حياتهم ذبيحة مقبـولة امامه ، ويقدمون لله رجـوع

وفرح وحب البشرية ، يراهم الله فيرضى ويتصرف غضبه وتحل خيراته على العالم ، متلما فى أيام شاول حينما كان روح ردىء يصرعه فكان كلما رأى الله داود فى الوسط يرضى ويجعل الروح يتصرف ، وبهذا شاول لأن مجرد وجود داود كان يفرح ويرضى قلب الله ويتنسم الله رائحة الرضا من أجل التقدمة المقدمة أمامه فيرضى عنها .

وهذا العالم المملوء من الشر والخطية ، مجرد أن يرى الله عينة من الناس القديسين متخصصين لله ومتفرغين له ، تركوا كل شىء من أجل أن يلتصقوا به ونسوا كل شىء من أجل أن يذكروه ، وكرهوا كل شىء من أجل محبتهم له لما يرى الله هذه العينة من الناس يرضى عن العالم ، ولا يعود يغضب مرة أخرى .

تكفى صلاة راهب واحد ، أنها تحمى آلافا بل وعشرات الآلاف من الناس اذا كانت صادرة من قلب نقى ملتصق بالله حقا ، (٢٦) .

---

(٢٦) عن محاضرة لقداسة البابا شنوده الثالث .

الفصل التاسع عشر

الرهبنة حياة تلمذة

تلمذة الرسـل :

الديانة المسيحية مؤسسة على التلمذة والتسليم . فالرب يسوع في بدء خدمته اختار تلاميذه ليعيشوا معه ويتبعوه أينما ذهب ، عاش في وسطهم ، التفوا حوله . وكانوا يلاحظونه عن قرب ليتعلموا منه حياة الفضيلة والكمال .

رأوه يصلي بلجاجة وعمق وانطلاق وروحانية فالتهب قلبهم للصلاة ، ولما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علمنا ان نصلي كما علم يوحنا تلاميذه (لو ١١ : ١) فعلمهم وسلمهم تلك الصلاة المملوءة روحانية ومشحونة قوة الهية والتي نصلي بها حتى الآن ونرددها كثيرا في صلواتنا العامة والخاصة ، قال لهم متى صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات (لو ١١ : ٢ ـ ٤) ، .

ويقول الكتاب في موضع آخر ، وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه ، (لو ٩ : ١٨) ، مما يدل على أن السيد كان يصطحب تلاميذه حتى في فترات خلوته وصلواته .

رأوه وهو يبارك الخبز عند الأكل فتعلموا منه طريقة كسر الخبز وآداب المائدة ، ونلاحظ ذلك في حادثة كسر الخبز أمام تلميذي عمواس بعد قيامة المخلص من الأموات ، فيقول البشير لوقا الذي كان مرافقا لكليوباس في تلك الرحلة وكان حاضر عيان للحادثة ، فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه (لو ٢٤ : ٣٠ ، ٣١) عرفاه لما لاحظاه يبارك الخبز ويكسره بطريقته الخاصة التي كان يستعملها قبل صلبه والتي علمها للتلاميذ وسلمها لهم .

رأوه يشفي المرضى ويعزي الحزانى ومنكسري القلوب ، رأوه يترفق بالعشارين والخطاة ، يدخل بيوتهم ويؤاكلهم من أجل جذبهم الى الايمان

به لخلاص نفوسهم غير عابىء بالتحذيرات الفريسية المقوتة التى تدعو لعدم مخالطه مثل هؤلاء الناس .

راوه يشارك الفرحين افراحهم فيلبى الدعوة ويحضر ويبارك عرس عانا المجليل ، ويشارك الحزانى أحزانهم فيبكى لبكاء مريم اخت لعازر ، راوه يمسح دموع الحزانى والمكوبين فيقيم من الموت ابنة يايرس وابن الأرملة ولعازر حبيبه وكثيرين غيرهم لم يذكر الكتاب أسماءهم (لو ٧ : ٢٢) .

راوا احتماله وصبره تجاه مقاومه من الكتبة والفريسيين وسمعوا ردوده الحلوة الحكيمة المقنعة على اسئلتهم وتساؤلاتهم الكثيرة المتكررة.

وبذلك تعلموا منه هذه الفضائل كلها وامتصوها وتشربوا بها ، ليس من كلماته وتعاليمه الالهية فقط بل ومن قدوته الصالحة وشخصيته الالهية الكاملة .

اطلعهم الرب على أسرار تدبيره ومجيئه الى العالم ودعاهم أحباء قائلا « لا اعود اسميكم عبيدا لان العبد لا يعلم ما يعمل سيده لكنى قد سميتكم احباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » (يو ١٥ : ١٥) . وقال لهم أيضا « لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله » (لو ٨ : ١٠) « وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء » (٤ : ٣٤) .

وهكذا ظل التلاميذ المخلصون ملتصقين به طول مدة خدمته على الأرض متعلمين من أعماله واقواله متتلمذين على يديه متشربين كل افكاره ومبادئه متعرفين على جهاداته وفضائله وكل تصرفاته فكانوا تلاميذ بحق ، وبذلك ارسى الرب يسوع دعائم التلمذة الحقيقية كأساس متين للحياة المسيحية .

حتى بعد القيامة :

وبعد القيامة جمع المعلم الأعظم تلاميذه المحبوبين ولم شملهم مرة اخرى ، واكمل لهم فترة التلمذة والتعليم والتسليم اذ ظل « يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله - وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم الا يبرحوا أورشليم بل ينتظروا وعد الآب (اى حلول الروح القدس) » (أع ١ : ٣ ، ٤) .

وبعد حلول الروح القدس عليهم وتزويدهم بالقوة اللازمة للكرازة والتعليم ، خرجوا يكرزون ويعلموا ويتلمذون ويعمدون حسب وصية الرب القائلة ، اذهبوا **وتلمذوا جميع الأمم** وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) ، وبذلك امرهم ان يتلمذوا آخرين على غرار تلمذتهم له ، ويسلمونهم ويعلموهم المبادئ والجهادات والممارسات والتصرفات التى تسلموها وتعلموها منه .

بولس وبرنابا ايضا تلاميذ :

ومن ابرز التلاميذ ـ بعد التلاميذ الاثنى عشر ـ بولس وبرنابا .

فعندما قابل الرب شاول الطرسوسى (بولس قبل ايمانه) بالقرب من دمشق وعاتبه على اضطهاده للمسيحيين وحذره من عاقبة ذلك **العمل** الوحشى ، سأله الاناء المختار : ماذا ينبغى لى أن افعل ؟ فلم يجبه الرب بشىء سوى توجيهه الى اب روحى ليتعلم منه ويتتلمذ على يديه ، وهو حنانيا الذى كان بدوره تلميذا (اع ٩ : ١٠) .

ومن الناحية الأخرى ظهر الرب لحنانيا وقال له : قم اذهب الى الزقاق الذى يقال له المستقيم واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هو ذا يصلى (أع ٩ : ١١) فمضى حنانيا ووضع عليه يديه فأبصر فى الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى (أع ٩ : ١٨) ، وكان مع التلاميذ الذين فى دمشق (أع ٩ : ١٩) متعلما من حنانيا وغيره من شيوخ الطريق والتلاميذ القدامى مبادىء الايمان واصول العقيدة والحياة الروحية المسيحية .

وبعد هذه التلمذة الناجحة ، للوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح ان هذا هو ابن الله فبهت الذين كانوا يسمعون (أع ٩ : ٢٠ ، ٢١) .

ولما جاء الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ (أع ٩ : ٢٦) حتى طمأنهم برنابا من جهته ، فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع (أع ٩ : ٢٨) .

واذا صار بولس تلميذا ناجحا خرج الى الخدمة ومعه برنابا الذى كان هو الآخر تلميذا قديما وتلمذا كثيرين (أع ١٤ : ٢١) .

ومن هذا نتعلم أن الذى يتتلمذ ويتعلم اصول الحياة الروحية والايمانية من الشيوخ المدربين حسنا والذين كانوا بدورهم تلاميذ للآباء الذين سبقوهم ، هو فقط الذى يحق له ان يصبح بعد ذلك أبا ومعلما ومؤتمنا على النفوس ضمانا لسلامة التسليم ونقاوة التعليم .

وبهذه الطريقة عينها ، طريقة تسلسل التلمذة والتسليم . انتقلت روح المسيحية وفكر المسيح جيلا بعد جيل فكانت ديانة قوية وكانت تعاليمها صافية نقية ، وكان كل المسيحيين يدعون تلاميذ حتى دعوا مسيحيين أولا فى انطاكية (أع ١١ : ٢٦) .

هذه هى المسيحية ، توجد وتزدهر وتتعمق حينما تكون التلمذة ، وتضعف وتخور وتصير سطحية وجافة حينما تفقد التلمذة .

عوائق التلمذة الحقيقية فى العالم :

تكاثر عدد المؤمنين جدا بينما ظل عدد الرعاة قليلا نسبيا ، فالحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون (مت ٩ : ٣٧) كذلك تشعبت وتعددت شئون الرعاية وواجباتها ، وبالتالى ضعفت التلمذة بمعناها الدقيق ، فلايستطيع الراعى بسهولة أن يعرف الكل بالاسم وأن يعطى لكل واحد الطعام الروحى المناسب فى الوقت المناسب .

وفى وسط كل هذه الموانع لتنفيذ نظام التلمذة بمعناه الدقيق فى العالم احتفظت الرهبنة بالنظام الأصلى للتلمذة ، فكانت سبب بركة وخلاص لنفوس الكثيرين .

التلمذة سر قوة الرهبنة : (١)

« ان سر قوة الرهبنة وازدهارها فى القرون الأولى هو نظام التلمذة الرائعة المسيح الزكية التى كانت فى قلوب آباء البرية التى جذبت الكثيرين ، تتلمذوا على أيديهم ثلاث ، لهذا سرعان ما امتلأت البرارى والجبال بآلاف الرهبان القديسين » .

---

(١) كتاب تلمذنى لأب اعترافى للقمص تادرس يعقوب ص ٤٥،٣٦ .

ويقول القديس يوحنا كاسيان فى هذا المجال ، عندما يسمح للاخ الجديد بالدخول فى مجمع الرهبان فانه يسلم للتلمذة لدى أب روحى ، هذا الذى يتلمذ عشرة رهبان ، يعلمهم ويدبرهم ، ويكون شغف الاب وجل اهتمامه من جهة الذين فى عهدته أن يصعد بهم الى أعالى قمم الكمال المتناهية العلو ، معلما اياهم كيف يهزمون رغباتهم » .

ونستطيع أن نستكشف نظام التلمذة فى منطقة نتريا والقلالى مما جاء فى كتاب « أديرة وادى النطرون » (٢) فيقول :

« كان الرؤساء عادة يقومون على كل عشرة نساك او مائة ناسك ، بحيث أن رئيس العشرة يقود تسعة رهبان ورئيس المائة يقود عشر مجموعات منها (٣) ، وكان نحو خمسة آلاف مثلا دون وجود رؤساء مساعدين له ؟ ! انما كانت النقطة الهامة هى حسن اختيار الرؤساء المساعدين ، فقد كانوا ينتقون من بين اولئك المشهورين بحماسهم لحفظ النظام وأن يكونوا مشهورين بالدقة حتى يكونوا هم أمثلة حية للتعليم ذات فعالية أكثر من تعاليمهم ، وأن يكونوا ممن عرفوا كيف يتغلبون على شهواتهم حتى يلقنوا الآخرين كيفية التغلب عليها ، وأن لا يكونوا ممن يسهل أمالتهم نحو ناحية أو أخرى ، وان يكونوا ممن يقدمون تقارير عادلة دقيقة عن تصرفاتهم لرؤسائهم ، امناء نحو الحقيقة والعدل (٤) .

---

(٢) كتاب أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ص ١١٨ .

(٣) من المعروف أن قيادة عشرة اشخاص وتعليمهم وتلمذتهم أحسن وأفيد من العدد الكبير انها أفيد للطرفين ، للمعلم وللتلاميذ :

(أ) فالمعلم يستطيع أن يحفظ بتدابيره وجهاده الخاص ولا ينقد شيئا منها بسبب كثرة الشغولية .

(ب) التلاميذ يستطيعون أن يلتصقوا به عن قرب ويجدون لديه الوقت الكافى لرعايتهم وتسليمهم الحياة الروحية بالقول والعمل .

(٤) اشترط الكتاب المقدس فى مثل هؤلاء القادة ، ان يكونوا ذوى قدرة خائفين الله ، امناء ، مبغضين الرشوة » (خر ١٨ : ٢١) أما أب الدير الذى يمثل موسى فعليه أن يعلمهم الفرائض والشرائع ويعرفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه (خر ١٨ : ٢٠) .

اول درس :

وكان اول درس يلقيه آباء التوحد ان يتتلمذ عليهم هو ان يتجرد من ارادته وان يخضعها لمعلمه اخضاعا تاما ، وكثيرا ما بارك الرب طاعة شباب الرهبان لشيوخهم بمعجزات تزيد من شعورهم بالحاجة الى الطاعة وما لها من قيمة روحية .

ونفس هذه العوائق او ما يشبهها كانت محيطة فى برية شيهيت المقدسة . فقد كان على كل جماعة من الاخوة ان يكونوا تحت تدبير احد الشيوخ ، يخضعون له فى فرح ، ولا يتعدون نصائحه واوامره وفقا لأقوال بولس الرسول « اطيعوا مرشديكم واخضعوا لهم لانهم يسهرون لأجل نفوسكم » .

وفى حالة كثرة عدد الاخوة كان الأب يعين آباء من أولاده الكبار المخلصين المختبرين لارشاد الاخوة وتعليمهم ، ويكون ذلك تحت اشرافه ورعايته تماما كما كان الحال مع موسى النبى والرجال الذين اقامهم ليقضوا لبنى اسرائيل (خر ١٨ : ٢٤ ـ ٢٧) .

وكان الرهبان يجتمعون حول ابيهم الروحى كما تتجمع الكواكب حول الشمس مصدر ضوئها وانارتها وحرارتها .

ومن المحاورة التالية نستنتج مدى اهتمام آباء البرية بالتلمذة كاسمى طريق للحياة المسيحية والكمال الانجيلى ، وأضمن سبيل لعدم وقوع الراهب فى فخاخ وبراثن الشيطان عدو كل بر .

قال اخ : قلت لتلميذ أنبا بفنوتيوس (٥) تلميذ الأب مقاريوس الكبير : قل لى يا ابنى كلمة احيا بها .

فقال لى : احفظ القناة التى تجرى الى مزرعتك .

---

(٥) اشهر تلاميذ الأنبا بفنوتيوس يسمى دانيال القس وقد عاش طول حياته تلميذا للقديس الأنبا بفنوتيوس وقد تنيح قبل معلمه ، وتحكى لنا سيرة حياته انه لشدة احترامه لمعلمه كان اذا اشترك معه فى صلاة القداس يخدم شماسا وليس كاهنا مع انه كان قسا (انظر كتاب تعاليم القديس الأنبا دانيال القس للاستاذ يوسف حبيب ص ٤) .

فقلت له : كيف احفظها ؟

قال : اذا لم تسكن مع فلاح فمن اين لك أن تعرف ما تشتمل عليه الفلاحة من حرث وبذر وسقي وحصاد وغيره ؟

قلت : وما معنى هذا ؟

قال : اذا لم تسكن مع شيخ مجرب لكي يعلمك الرهبنة (٦) ممن اين تتعلمها ؟ فلو انتقلت من مكان الى مكان أو انفردت وحدك أو صرت ابا قبل ان تستأهل لذلك من قبل الله ، فانك تقيم كل زمانك وأنت لا تعرف كيف تحصد ثمرة الفضيلة ، بل تضيع الزرع الذي هو تعليم طريق الله . فيجب عليك ان تسكن مع شيخ حتى تنال منه البركة الأخيرة مثل اليشع الذي ثبت مع ايليا حتى رفع الى السماء . فلما باركه تضاعفت عليه روحه . ومثل تلميذي الانبا انطونيوس اللذين سكنا مع الشيخ حتى طرح الجسد وباركهما البركة الأخيرة فحل عليهما روح الله وصار راعيين صالحين ، ومثل يوحنا الذي سكن مع انبا بمواابيه حتى فارق جسده فسلمه قبيل نياحته للشيوخ قائلا : « هذا ملاك وليس بانسان » . وكمثل يوحنا تلميذ انبا بلا الذي أطاع اباه حتى أحضر الضبعة مربوطة . ومثل تلميذ آخر لشيخ كان يمشي مع متوحد حتى وصلا الى شاطيء نهر فيه تماسيح فعبر التلميذ المطيع بينها — وما استطاع المتوحد العبور حتى ان الشيوخ في ذلك الوقت قالوا : ان التلميذ بطاعته صار اعلى من المتوحد . ومثل تلميذ آخر كان طائعا لقاريوس ، هذا كان قد ارسله ابوه الى مصر فلما وقع في تجربة صرخ بصوت عظيم قائلا « يا اله أبي خلصني » فمن ساعته وجد نفسه يمشي في طريق الاسقيط ، بعيدا عن موضع التجربة الشيطانية .

وقد كتب « ابذر وقت الصباح ، ولا تعطل زرعك الى وقت المساء » ومعناه « الصلاح الذي بدأت به داوم عليه الى وقت وفاتك » .

وانظر الى الذين تركوا آباءهم ماذا أصابهم ، فعيسو لما ترك اباه واختلط بالأمم المرذولة رذله الله ، وجيحزي لما لم يطع اليشع أصابه

---

(٦) ما ينطبق على الرهبنة من حيث التلمذة ينطبق على الحياة الروحية عامة ، فلا بد من تعلمها مديرين روحيين مختبرين ومحنكين .

المبرص ، والتلاميذ الذين رجعوا الى خلف وتركوا صحبة السيد اعلكوا ذواتهم ، ويوحنا تلميذ الآب مقاريوس لما لم يطع اباه تجذم ٠

فها انا قد اخبرتك بطريق الحياة والموت ، فان دخلت من الباب الضيق الذى هو طاعتك لأبيك اوصلك ذلك الى الحياة الأبدية ، وان مشيت فى الطريق الواسع الذى هو أهوية قلبك أدى بك الى الهلاك (٧) ٠

تلاميذ عظام :

التلمذة فى الحياة الروحية عامة وفى الرهبنة خاصة يجب أن تشمل العمر كله ، لا نستطيع أن نحدد فترة معينة للتلمذة تبدأ وتنتهى ، بعدها يصير الانسان معلما لا تلميذا ٠

الراهب عندما يسلم لأحد الشيوخ ليعلمه ويدبره يظل متتلمذا له يتعلم منه اصول الرهبنة وتدابيرها الداخلية والخارجية ويمتص منه نوع الحياة نفسها ، ويظل هكذا ٠٠٠ تلميذا الى ان ينتبح معلمه ، على غرار تلمذة يشوع بن نون تلميذ موسى النبى الذى ظل تلميذا وخادما له حتى رقد بسلام ، فسلمه الرب قيادة الشعب خلفا لمعلمه موسى (يش ١ : ١ ، ٢) وشجعه الرب قائلا « كما كنت مع موسى اكون معك ٠ لا اهملك ولا اتركك » (يش ١ : ٥) ٠

وعلى غرار تلمذة اليشع لمعلمه العظيم ايليا النبى ، فقد ظل اليشع تلميذا لايليا حتى رفعه الله الى السماء حيا ، ونال اليشع ـ التلميذ المثالى ـ نصيب اثنين من روح معلمه (٢ مل ٢ : ٩ ، ١٠) وصار نبيا ومعلما لبنى الأنبياء وللشعب ٠

وعلى غرار تلاميذ يوحنا المعمدان الذين لازموا معلمهم طيلة مدة خدمته ، ولما وضع فى السجن ظلوا مخلصين له قريبين منه ، وعندما نزعت راسه بيد سياف هيرودس ، ونال اكليل الشهادة « تقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه ثم اتوا واخبروا يسوع (مت ١٤ : ١٢) حتى يعزيهم فى فقد معلمهم العظيم » ٠

---

(٧) بستان الرهبان طبع مطرانية بنى سويف ص ١٨٧ ٠

وعلى غرار تلمذة الرسل للسيد المسيح ، فقد لازموه طيلة مدة خدمته حتى صعد الى السماء بعد أن باركهم وسلمهم رسالة الكرازة والتبشير (لو ٢٤ : ٥١) .

ومن أبرز الأمثلة الرهبانية لهذه التلمذة المثالية :

+ القديس بفنوتيوس الذى ظل متتلمذا للقديس مقاريوس الكبير الى أن تنيح الشيخ فتسلم بفنوتيوس تدبير الاخوة من بعده .

+ القديس يوحنا القصير الذى ظل تلميذا أو خادما للأنبا بمسوا طول مدة حياته ، وبعد نياحته اصبح يوحنا القصير رئيسا ومدبرا ، وسمى « قمص شيهيت » .

+ كلنا نسمع فى مجمع التسبحة والقداس عن : أنبا باخوم اب الشركة وتادرس تلميذه وأنبا شنوده رئيس المتوحدين وأنبا ويصا تلميذه والأنبا صموئيل المعترف وبسطس وابوللو تلميذيه .

وغالبا كان أولئك التلاميذ العظام المخلصون يخلفون معلميهم فى التعليم والتدبير بنفس الروح وبنفس الاسلوب الذى تعلموه وتشربوه من معلميهم أثناء تلمذتهم الطويلة المطيعة على أيديهم .

بركة التلمذة :

يقول القديس غريغوريوس الثيئولوغوس « انزل يا اخى عن الكراسى واتركها لحبيبها وكن مثلى فقد آثرت أن اكون صبيا وتلميذا فى سائر عمرى » .

وقد نال القديس كلمته المشهورة هذه لايمانه العميق بالبركات الكثيرة والفوائد الجزيلة التى يحظى بها الانسان العائش فى حياة التلمذة تحت ظل صلوات وتدبير شيخ روحانى حكيم ومحنك ، ومنها :

١ — فى حياة التلمذة يحيا الانسان حياة نمو دائم ، كل يوم يتعلم من معلمه شيئا جديدا ، مرة عن الصوم ومرة عن الصلاة ومرة عن المحبة ومرة عن الرحمة ومرة عن معاملة الناس وهكذا ...

ويجد التلميذ عند معلمه الاجابة السليمة المزودة بالخبرة والحنكة لكل سؤال يطرا على باله ، ولكل مشكلة تعترض طريق جهاده ، وبهذه الطريقة يتعلم الكثير وينمو بسرعة .

وقد جعل الله فى سياسته ألا يكشف بنفسه أو عن طريق ملائكته لأحد عن طريق الكمال طالما كانت له فرص التعليم من الآباء واختياراتهم مكتفيا بالوصية القائلة « اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولون لك » (تث ٣٢ : ٧) ونرى ذلك عمليا فى توجيه شاول (بولس) الى حنانيا (اع ٩) وتوجيه كرنيليوس الى بطرس الرسول (أع ١٠) » .

٢ ـ التلمذة تحفظ الانسان فى روح الانضاع : يشعر دائما أنه صغير ، وانه تحت ارشاد غيره ، وأن له من هو اكبر منه . وهكذا يقتنى روح الاتضاع .

ويقول قداسة البابا شنوده الثالث فى محاضرته القيمة عن التلمذة « لو كانت هذه هى الفائدة الوحيدة لكانت سببا كافيا للتلمذة » (٨) .

والاتضاع كما هو معروف يرفع الانسان الى أعلى مراتب الكمال ، نيحكى لنا بستان الرهبان القصة التالية :

أخبر أب انه أبصر أربع مراتب مرتفعة فى السماء :

الأولى : مريض صابر شاكر الله .

الثانية : صحيح يضيف الغرباء وينيح الضعفاء .

الثالثة : منفرد فى البرية مجتهد .

الرابعة : تلميذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله .

ووجد أن مرتبة التلميذ أسمى من المراتب الثلاثة الأخرى ، وقال انه سأل الذى أراه قائلا : كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم فأصبح أكبرهم مرتبة ، فقال : ان كل واحد منهم يعمل الخير بهواه ، ولما هذا (التلميذ) فقد قطع هواه لله وأطاع معلمه . والطاعة لأجل الله أفضل الفضائل » (٩) .

٣ ـ التلمذة تضمن وجود الفكر الواحد والروح الواحد لدى مجموعة التلاميذ ، لأنهم يستقون تعاليمهم وتدابيرهم من أب واحد . وهكذا يزول

---

(٨) كتاب « التلمذة » عن محاضرة قيمة لقداسة البابا شنوده الثالث اصدرته التربية الكنسية ببنها ص ١٦ .

(٩) بستان الرهبان . طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٨٤ .

شبح الانقسامات والتخريبات ، وهكذا يستطيع الرهبان أن يعيشوا فى دير واحد فى محبة وسلام دائم حسب قول المزمور ، الذى يسكن المتوحدين فى بيت ، (مز ٦٨ : ٦)

والمتوحدون هنا تعنى المتحدين فى الراى والفكر والهدف ، وهكذا يكونون كما كان التلاميذ المؤمنون الأوائل فى الكنيسة الأولى يعيشون فى محبة والفة ، وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، (اع ٤ : ٣٢) .

٤ ـ حياة التلمذة تضمن للانسان السير الصحيح بلا انحراف فى الطريق ، وبالتالى تضمن له ـ بنعمة المسيح ـ الوصول الى الحياة الأبدية ، يكون تماما كانسان يعبر لجة وهو محمول على ذراعى غيره ، فهو لا يخاف شر الغرق لأنه مطمئن أنه عندما يختل توازنه سيجد من يرفعه من الماء ويعيد اليه توازنه ويعلمه الطريقة الصحيحة للسباحة . وفى ذلك يقول الحكيم ، اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة صالحة لتعبهما ، لأنه ان وقع أحدهما يقيمه رفيقه . وويل لمن هو وحده ان وقع ، اذ ليس له ثان ليقيمه ، (جا ٤ : ٩ ، ١٠ وايضا ، ان غلب أحد على الواحد يقف مقاومه الاثنان ، (جا ٤ : ١٢) ويقول الحكيم ايضا ، الذين بلا ارشاد يسقطون مثل ورق الشجر لكن السلامة فى كثرة المشيرين ، (أم ١١ : ١٤) ، وقال شيخ : ، ان الذى يجلس فى طاعة اب روحانى لهو اكثر جراة واقل خطرا ممن يجلس منفردا فى الوحدة ، (١٠) .

٥ ـ يعلمنا الكتاب المقدس ان نضبط حياة التلمذة لما فيها من سلام وأمان على حياتنا الروحية فيقول ، لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى عالمين اننا ناخذ دينونة اعظم لاننا فى اشياء كثيرة نعثر جميعا (يع ٣:١) ويقول ايضا نفس الرسول ، ليكن كل انسان مسرعا فى الاستماع ، مبطئا فى التكلم ، مبطئا فى الغضب ، (يع ١ : ١٩) ، لأن الاستماع افضل من الذبيحة والاصغاء افضل من شحم الكباش ، (ا صم ١٥ : ٢٢) .

---

(١٠) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٨٤ .

الفصل العشرون

الرهبنة حياة تنفيذ الوصية

الراهب الحقيقى الذى مات عن العالم ولم تعد له فيه شهوة او امل يتسع أمامه الطريق بلا حدود لتنفيذ الوصايا الالهية على اعلى مستوى بدون مانع ولا عائق ، فيقول القديس اوغسطينوس « جلست على قمة العالم حينما احسست فى نفسى اننى لا اخاف شيئا ولا اشتهى شيئا » .

واذ يمارس الراهب تنفيذ الوصايا الانجيلية بحرية وامانة واتقان بعد أن يدرسها ويستوعبها جيدا ، ويستمر على هذا العمل الالهى بروح الطاعة للوصية ولله معطى الوصية ويصبح انسانا محبا بكل كيانه حسب قول ربنا يسوع المسيح « انتم احباائى ان حفظتم ما اوصيكم به . ان حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما انى أنا قد حفظت وصايا ابى فى محبته » (يو ١٥ : ١٠ ، ١٤) . ويقول الرسول « واما من حفظ كلمته فحقا فى هذا قد تكملت محبة الله » (١ يو ٢ : ٥) . وقوله ايضا « من يحفظ وصاياه يثبت فيه (اى فى الله) وهو فيه » (ايو ٣:٢٤) .

واذ يحفظ الراهب وصايا الرب يبرهن على محبته النقية لله ويتجو بالتالى من الحرم الرهيب المحكوم به من الروح القدس على فم الرسول بولس على الذين لا يحبون الله قائلا « ان كان احد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن اناثيما (اى محروما) » (اكو ١٦ : ٢٢) .

واذ يحفظ الراهب وصايا الرب بكل امانة وينفذها فى حياته بكل تدقيق يثبت فى الرب ويقتنى دالة عنده وتصبب صلواته قبولا لدى عرش النعمة حسب قول الانجيل « ان كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » (يو ٩ : ٣١) . وقول الرسول « مهما سالنا ننال منه لاننا نحفظ وصاياه ونعمل المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢٢) . وكما يقول المرتم « لانى حفظت طرق الرب ولم اعص الهى . لان جميع احكامه أمامى وفرائضه لم أبعدها عن نفسى أكون كاملا أمامه واتحفظ من اثمى » (مز ١٨ : ٢١ ـ ٢٣) .

الانسان الذى يعيش فى العالم مثقلا بمسئوليات كثيره ، مع مايكتنف حياته من طموح الى الازدياد والترقى والمناصب والعلاوات ثم ميله الى الراحة والاستقرار ، كل هذه الأمور قد تكون عقبات فى سبيل تنفيذ الوصية الالهية بكل ملئها وقوتها بدون لف أو دوران .

اما الانسان الذى مات عن العالم بكل شهواته ومات عن جسده وكل ملذاته وراحته فلا يخاف شرا ، تكمن كل مسرته فى ان يرضى ضميره ويرضى الهه وينفذ الوصية بحذافيرها ويؤدى كل متطلباتها بأمانه وتدقيق قائلا مع المرنم « انت أمرت أن تحفظ وصاياك تماما » (مز ٢١٩ : ٤) . ومع الرسول « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢٩) .

هذا عن الوصايا التى قد تسبب له حرجا أو احتكاكا مع الناس .

اما بالنسبة للوصايا الأخرى التى تتعلق به وحده مثل الصوم والصلاة والصدقة والاتضاع فيها شوطا بعيدا جدا اذ هو مجند ومتخصص لهذا العمل الالهى العظيم ، عمل الفضائل وتنفيذ الوصايا ، حتى يصبح انجيلا خامسا ، ورسالة الله معروفة ومقروءة من جميع الناس ، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى ، لا فى الواح حجرية بل الواح قلب لحمية (٢ كو ٣ : ٢ ، ٣) .

ويقول الدكتور راغب عبد النور فى كتابه « الأنبا انطونيوس حنكة روحية وكنسية » ص ٢٩ :

« الرهبنة فى هذه الحالة (حالة ضعف تنفيذ الوصية فى وسط العالم) أراها وكأنها الأم الوصية على سلامة التطبيق لانجيل ربنا يسوع المسيح، واحسست بالخطر يتهدد هذه الوصية العزيزة ، اذ رايت تعايشا بين الكنيسة و (العالم) بدأت بوادره تلوح فى الأفق ، وان هذا التعايش فى احسن الحالات يجرد الوصية من فعاليتها ولزومها ، فاحتضنت الرهبنة الوصية بروحانيتها وتطبيقها وهربت بها الى الصحراء لتكون رائدة فى هذا المجال ، ورائدة للكنيسة التى يسكن افرادها عالم المتناقضات والشتات والانحراف .

واذا نظرنا الى حياة القديس انطونيوس النسكية وتعاليمه الرهبانية نجدها كلها مؤسسة على الانجيل وطاعة الوصية .

فتحكي لنا سيرة حياته انه فى مقتبل شبابه وهو ابن رجل غنى صاحب املاك وثروة طائلة دخل الكنيسة كعادته فسمع الرب يقول فى مصل الانجيل للشاب الغنى « ان اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) فلما خرج من الكنيسة مضى وباع كل املاكه واعطى ثمنها للفقراء محتفظا بالقليل لاجل اعالة اخته ٠

ولما دخل الكنيسة مرة ثانية سمع الرب يقول فى الانجيل « لا تهتموا لغد » (مت ٦ : ٣٤) فخرج واعطى ما تبقى له للفقراء ثم أودع أخته فى احد بيوت العذارى ٠ ثم خرج من قريته وتفرغ للنسك والصلاة واخذ يتوغل شيئا فشيئا فى البرية متكلا على الرب وحده ، واضعا فيه كل رجائه مطيعا لكل وصاياه ٠

وفى البرية عاش على الوصية كزاد ، كانت الوصية هى طعامه وشرابه ، كان كل همه وكل مسرته فى تنفيذها والسير فى نورها ، فقد تقدم احد الحكماء فى ذلك الزمان الى القديس أنطونيوس وسأله : كيف انت ثابت فى هذه البرية وليس لديك كتب تتغذى بها ٠ فاجابه القديس قائلا : ايها الحكيم ، ان كتبى هى شكل الذين كانوا قبلى ، اما ان اردت القراءة فنى كلام الله اقرا » (١) ٠

لذة تنفيذ الوصية :

وجد القديس أنطونيوس فى هذه البرية وحياة الوحدة والسكون فرصة سانحة لدراسة الكتاب المقدس والتأمل فيه محاولا الغوص فى أسراره ، واخذ يطبق وصاياه فى حياته بحكمة وافراز حتى استطاع ان يستمد من نور الوصية حياة تسكية مستنيرة ٠

ووجد أب الرهبان لذة وراحة فى تنفيذ الوصية والسير على هديها ، واحس بالمعونة الالهية الغزيرة فيها عند تنفيذها بامانة وتدقيق حسب قول الرب « الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) و « انا اعلم أن وصيته هى حياة أبدية » (يو ١٢ : ٥٠) ، وهى « قوية وفعالة

---

(١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٤٢٢ ٠

وامضى من كل سيف ذى حدين » (عب ٤ : ١٢) ، و « قادرة بالله على هدم حصون » (٢ كو ١٠ : ٤) لأن الرب وعد قائلا « أنا ساهر على كلمتى لأجريها » (ار ١ : ١٢) .

وقد انعكست حياة القديس انطونيوس الانجيلية على تعاليمه الرهبانية التى كان يعلمها لأولاده ومريديه ، فكان يقول :

+ كل موضع تمضى اليه اجعل الله بين عينيك ، وكل عمل تعمله ليكن لك عليه شاهد من الكتاب المقدس .

+ وسألوه مرة « ما معنى قول الرسول « افرحوا فى الرب » فاجاب « اذا فرحنا باتمام الوصايا فهذا هو الفرح فى الرب . فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح أخوتنا .

+ وقال أيضا . « اعلموا يا اولادى ان كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة بل نور حقيقى وسرور أبدى لكل من أكمل طاعتها » (٢) .

+ أتى اخوة الى القديس انطونيوس وقالوا له : يا أبانا قل لنا كيف نخلص ؟ فقال لهم : « هل سمعتم ما يقوله الرب » ؟ . قالوا : من فمك أيها الأب » .

فأجابهم قائلا : « من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر ايضا » .

فقالوا له : « ما نطيق ذلك » .

قال لهم : « ان لم تطيقوا فاصبروا على اللطمه الواحدة » .

فقالوا له : « ولا هذا نطيق » .

فقال لهم : « ان لم تستطيعوا فلا تكافئوا من يظلمكم » .

فقالوا له : « ولا هذا نستطيع » .

---

(٢) الرسالة ١٤ من رسائل القديس انطونيوس .

(٣) وهو متضايق طبعا بسبب رخاوتهم فى الجهاد واهمالهم فى حفظ الوصايا الالهية .

فما كان من القديس الا ان دعى تلميذه (٣) وقال له : « اصلح لهم مائدة واصرفهم لانهم مرضى ، هذا لايطيقون وذاك لا يستطيعون ووصايا الرب لا يريدون ، فماذا اصنع لهم ؟ ! » (٤) .

- ومن تعاليمه ايضا : « ان امرت بما يخالف الوصايا فقل ان الطاعة لله اولى من الطاعة للناس ، واذكر قول الرب : ان غنمى تعرف صوتى فتتبعنى ولا تتبع الغريب » .

- وكان يعلم اولاده المواظبة على قراءة الكتب المقدسة باجتهاد ومهم قائلا : « اذا جلست فى خزانتك (فلايتك) فلا تفارق هذه الأشياء . القراءة فى الكتب المقدسة - التضرع الى الله - شغل اليد » .

+ كما قال ايضا : « لا تتبع جميع افكارك ، بل اجعل فكرك فى الوصايا كل حين داوم على فعلها » .

+ وفى احدى المرات أرسل له الملك قسطنطين الكبير رسالة يخاطبه فيها كاتب له مظهرا شوقه العظيم لمساعدته والتعرف عليه ، فتعجب الرهبان من ذلك ومن عدم اهتمامه بالرد على رسالة الملك ، أما هو فقال لهم . « لا تتعجبوا من ان الملك يحرر لى رسالة لا التفت اليها، اذ هو ليس شيئا آخر سوى انسان مثلنا ، بل تعجبوا من ان ملك السماء والأرض أرسل لنا كتبا كثيرة يوصينا بها كل يوم ونحن لا نلتفت اليها بل نعرض عنها » (٥) .

اولاد انطونيوس يسيروا فى اثر خطواته :

وقد أخذ عنه أولاده وتلاميذه هذه المحبة وهذا الاهتمام بالوصايا الالهية فكانوا يدرسونها ويحولونها الى حياة معاشة كما كانوا يسلمون

---

(٤) بستان الرهبان طبعه دار النسخ والتحرير ص ٨ .

(٥) الصادق الأمين فى اخبار القديسين جـ١ ص ٣١٢ .

هذا التدبير الرائع لأولادهم وتلاميذهم متذكرين قول الرب « كل من يسمع اقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل بنى بيته على الصخر » (مت ٧:٢٤) حتى نالوا التطويبات التى وعد بها الرب لكل من يعمل وصاياه ·

ومن الجدير بالذكر أن أكثر التطويبات التى وردت فى الكتاب المقدس كله قيلت للسالكين فى ناموس الرب الحافظين لوصاياه ، ونورد هنا التطويبات الشجعة العظيمة ·

+ « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ، لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا » (مز ١ : ١ ، ٢) ·

+ « طوبى للحافظين الحق ولصانع البر فى كل حين » (مز ١٠٦ : ٣) ·

+ « طوبى لحافظى شهاداته من كل قلوبهم يطلبونه · أيضا لا يرتكبون اثما · فى طرقه يسلكون » (مز ١١٩ : ٢ ، ٣) ·

+ « والآن أيها البنون اسمعوا لى · فطوبى للذين يحفظون طرقى · اسمعوا التعليم وكونوا حكماء ولا ترفضوه » (أم ٨:٣٢ ، ٣٣) ·

+ « طوبى للانسان الذى يسمع لى ساهرا كل يوم عند مصارعى ، حافظا قوائم أبوابى · لأن من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من الرب » (أم ٨ : ٣٤ ، ٣٥) ·

+ « طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لو ١١ : ٢٨) ·

+ « انتم تعلمون هذا فطوباكم ان عملتموه » (١٣ : ١٧) ·

+ « من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية ، وثبت صار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا فى عمله » (يع ١ : ٢٥) ·

+ « طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب » (رؤ ١ : ٣) ·

+ طوبى للذين يصنعون وصاياه لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب الى المدينة » (رؤ ٢٢ : ١٤) .

وبسبب ذلك كله اهتم الآباء الرهبان بحفظ الوصية واشتهروا بمواظبتهم الشديدة على قراءة الكتب المقدسة اذ كانت هى الغذاء الروحى اليومى الدسم لنفوسهم . وكانوا يقومون بدراسة وصايا الرب وحقائق الايمان باستمرار ليسلكوا بموجبها . ويقول روفينوس وهو يصف رهبان جبل نتريا :

« لم نر مثل هذا التأمل القوى او مثل هذا التبحر فى الكتب المقدسة أو مثل ذلك الاهتمام المستمر بأخبار القديسين ، ولقد بلغوا فى ذلك حد ان كان كل واحد منهم يعتبر عالما فى الحكمة الالهية » (٦) .

« وكانوا يحفظون الكثير من الاسفار عن ظهر قلب » فيحدثنا التاريخ عن أمونيوس الطويل انه كان يحفظ عن ظهر قلب العهدين القديم والجديد، وهيرو الذى من القلالى عندما ذهب من القلالى الى شيهيت كان يردد اثناء الطريق خمسة عشر مزمورا والمزمور الكبير والرسالة الى العبرانيين وسفر أشعياء وجزءا من سفر ارميا وانجيل لوقا وسفر الأمثال » (٧) .

ويخبرنا بستان الرهبان عن القديس بفنوتيوس انه حظى بمعرفة الكتب الالهية عتيقة وحديثة يتلوها عن ظهر قلب ، وعن آخر أنه استظهر (اى حفظ عن ظهر قلب) أربعة عشر سفرا من أسفار الكتاب المقدس (٨) .

فوائد حفظ الوصية :

لما حفظ الآباء الرهبان الوصية حفظتهم الوصية وجعلتهم رجالا روحيين عظماء يحيون حياة الهية منيرة ومستقيمة حسب قول الرب

---

(٦) كتاب أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ص ١٣٦ .

(٧) كتاب أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ص ١٠٧ .

(٨) بستان الرهبان طبعة بنى سويف ص ٢٧١ .

« شريعة الحق كانت فى فيه ، واثم لم يوجد فى شفتيه · سلك معى فى السلام والاستقامة » (ملا ٢ : ٥) · كما جعلتهم رجال صلاة من أعلى طراز وعلامات مضيئة على الطريق الروحى بكل جهاداته وفضائله . أيضا جعلتهم اصحاب معجزات واعمال أسفية ، فيخبرنا بستان الرهبان عن راهب دعى ليخرج شيطانا من صبية « فلما دخل المنزل خرجت البنت المجنونة ولطمت خده لطمة شديدة ، فحول لها الآخر باتضاع حسب الوصية (٩) فتعذب الشيطان من اتمام الوصية ، وخرج منها متألما صارخا قائلا · « الويل لنا من وصايا يسوع لأنها تزعجنا » · فلما علم الشيوخ بما كان سبحوا الله قائلين « لا شىء يذل عظمة الشياطين مثل اكمال وصية السيد المسيح ربنا باتضاع » (١٠) ·

---

(٩) وصية ربنا يسوع المسيح « لا تقاوموا الشر · بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا (مت ٥ : ٣٩) ·

(١٠) بستان الرهبان اصدار دار النسخ والتحرير ص ١٣٤ ·

الرهبنة حياة استعداد لمجيء المسيح

خرجت الصحف فى بعض بلدان العالم على الناس عدة مرات وعلى فترات مختلفة متباعدة ، خرجت بانباء تحدد موعد انتهاء العالم والمجيء الثانى للمسيح ، فما كان من الذين صدقوا الخبر فى كل مرة الا انهم تركوا المدن وهرعوا الى الجبال والبرارى القريبة ينتظرون نهاية العالم ومجيء المسيح ثانية ، حتى يبصروا ابن الانسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير (لو ٢١ : ٢٧) .

وكانت تلك الاخبار بطبيعة الحال كاذبة مستندة على بعض التنبؤات والتفسيرات الخاطئة لبعض الظواهر الطبيعية أو الحوادث العالمية ، اما الميعاد الحقيقى لانتهاء العالم فلا يعلمه أحد الا الله وحده لأن الرب يسوع يقول « اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا ملائكة السماوات الا ابى وحده » (مت ٢٤ : ٣٦) .

ولكن الذى يهمنا فى الموضوع أن الناس فى كل مكان يعرفون أن البرية هى انسب مكان لحياة الاستعداد للقاء الرب عند مجيئه فى ملكوته لنصب الديونة ومجازاة كل واحد كحسب اعماله .

هكذا آمن الرهبان وهكذا صدقوا ، فتركوا العالم بكل ما فيه من مشاغل وهموم ونزحوا الى الجبال والبرارى ليقضوا كل حياتهم فى اعمال التوبة والاستعداد للموت ومجيء المسيح حتى يوجدوا أمامه ساعتئذ بدون خزى أمام الملائكة والقديسين .

وكان الآباء الرهبان يضعون أمام عيونهم وصية الرسول بطرس التى أوردها عند كلامه عن المجيء الثانى للمسيح وما يصحبه من انحلال العناصر واحتراق الأرض والمصنوعات التى فيها اذ قال :

« فبما ان كل هذه تنحل ، اى اناس يجب ان تكونوا انتم فى سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذى به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب . ولكننا بحسب وعده ننتظر

سماوات جديدة وأرضا يسكن فيها البر . لذلك أيها الأحباء اذ انتم منتظرون هذه اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب فى سلام » (٢ بط ٣ : ١١ - ١٤) .

وقد اكثر القديسون من النصائح التى تساعد الرهبان على أن يحيوا حياة مجيئية مستعدين كل حين للموت الذى يوصلهم للمسيح .

فيقول مار اسحاق : « التاجر اذا اكمل ما خصه فانه يجتهد أن يمضى الى منزله ، والراهب اذا أحس فى نفسه انه حصل على الوقت وأخذ العربون فانه يشتاق الى العالم الجديد » .

ويقول ايضا : « التاجر عينه نحو البر ، والراهب يرمق ساعه الموت » .

كما يقول « ان التاجر ما دام فى البحر فالخوف منبث فى أعضائه لئلا تتعالى عليه الأمواج فيغرق ويخيب أمله ، والراهب ما دام فى بحر هذا العالم فالخوف يستولى على سيرته لئلا تثب عليه أذيه فتهلك عمله من الشبوبية حتى الشيخوخة » (١) .

وفى ذلك يقول القديس مار أفرام السريانى « لتأخذ مثالا الذين يسيرون فى البحر اذا أدركتهم شدة الرياح لا ييأسون من خلاصهم ، بل يقاومون الأمواج منتظرين الصحو ، واذا كانوا فى الهدوء والسكون يتوقعون هياج البحر ، فمن هنا يكونون فى يقظة كل حين لئلا تهب الرياح بغتة وتجدهم غير مستعدين فتنقلب بهم السفينة فى البحر . هكذا نحن نحتاج أن نكون مستعدين كل حين » .

ويقول القديس موسى الأسود « أعد نفسك للقاء الرب حسب مشيئته افحص نفسك ها هنا واعرف ماذا يعوزك فتنجو من الشدة ساعة الموت ، ويبصر اخوتك اعمالك فتأخذهم الغيرة الصالحة » .

وقال القديس أمونيوس الأسقف لأحد الاخوة . امض ، وتمثل فى فكرك دائما فعله الشر الذين فى السجون فانهم فى كل ساعة يسألون عن الوالى واين هو ومتى يجىء ومتى يجلس للحكم ، ومن شدة فزعهم يبكون هكذا سبيل الراهب أن ينظر دائما الى نفسه ويبكتها قائلا : ويحى كيف

---

(١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٣٤ .

اقف امام منبر المسيح ، وكيف استطيع ان اجيبه ، فان كان يتلو ذلك دائما فانه يستطيع أن يخلص » (٢) .

وكما قال القديسون الكثير عن الاستعداد للموت ومجيء الرب المرهوب ، عاشوا ايضا عيشة الاستعداد والتأهب للسفر الى موطنهم الأصلى المعد لهم منذ انشاء العالم ، الى المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله ، على مثال ابطال الايمان الذين قال عنهم الرسول « .. واقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض فان الذين يقولون مثل هذا يظهرون انهم يطلبون وطنا ، فلو ذكروا ذلك الذى خرجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع،ولكن الآن يبتغون وطنا افضل اى سماويا لذلك لايستحى بهم الله ان يدعى الههم لأنه اعد لهم مدينة . طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين وهم لم يكن العالم مستحقا لهم . تائهين فى براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض (عب ١١ : ١٣ ـ ١٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

فنرى القديس ارسانيوس العظيم يحيا فى تجرد كامل وغربة كاملة واستعداد تام للحظات الرحيل ، وعند نياحته قال لتلاميذه : ان فزع هذه الساعة ملازم لى منذ جئت الى الرهبنة ، وهكذا رقد القديس ودموعه تسيل من عينيه ، فبكوا بكاء مرا وصاروا يقبلون قدميه ويودعونه كانسان غريب يريد السفر الى بلده الحقيقى (٣) .

ولما حضرت البابا ثاوفيلس البطريرك الوفاة قال : طوبى يا انبا ارسانيوس لأنك لهذه الساعة كنت تبكى كل ايام حياتك » .

وكان تدبير احد الآباء القديسين كل أيام حياته هو الاستعداد للموت فيقول « انا أتصور الملائكة صاعدين ونازلين فى استدعاء النفوس ، وأتوقع وفاتى كل يوم ، واقول « مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى » (مز ٥٧ : ٧) (٤) .

---

(٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٤٣ .

(٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٥٤ .

(٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٦٣ .

ونقرأ عن الأم سارة انها كانت تحيا حياة الاستعداد التام للقاء الرب كل حين وكانت تقول « انني اضع رجلي على السلم لأصعد فاتصور الموت قدامي قبل أن أنقل الرجل الثانية » (٥) .

وسئل شيخ : لماذا لا تتضجر يا ابتاه ؟ ! فقال : لأني في كل يوم أتوقع الموت .

ومعروف ان الذي يتوقع الموت كل يوم يحسب أن يومه الحاضر هو آخر يوم في حياته فيحاول ان يجعله يوما مثاليا في حياته فيعمل جاهدا الا يخطئ فيه ويتوافر على الصلاة وكل الممارسات الروحية الأخرى ، وبذلك يكاد لا يخطئ ابدا كما انه يغلب الضجر والملل وصغر النفس والتواني في اعمال التوبة والاستعداد للقاء الله .

« وهكذا كانت الرهبنة تعني عند الآباء الدخول في الأبدية و تتطلع الى اللامنظور ، كانت تعني اتيان الأبدية في الراهب ودخول الراهب في الأبدية ، أي تذوقه للأزمن وعبوره الى ما وراء التاريخ . لذلك وعى الرهبان بمجيء المجيء الثاني أو منتظرى الباروسيا .

في الرهبنة يتمرن الناسك أن يعزف بكيانه كله اللحن الجديد « نعم تعال أيها الرب يسوع » (٦) الراهب يعيش دائما في حياة استعداد لمقابلة الرب يسوع ، لا يخرج كثيرا من قلايته ولا يتنزه هنا وهناك في تهاون واسترخاء ، بل يثبت في موضعه كالعبد الأمين المنتظر رجوع سيده ، حتى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا فيشهد لأمانته وصلاحه ويقيمه على جميع أمواله .

ان كان الراهب في طقس رسامته يموت عن العالم ويجرى عليه طقس الصلاة على الموتى ، ثم يقوم للحياة الأبدية ، ميتا عن العالم حيا للمسيح ، فان حياة الراهب تكون أصلا هي حياة انتظار المجيء الثاني الآتي من السماوات المخوف المملوء مجدا ، ويجب ان يكون هذا الانتظار مشمولا بالاهتمام والحرص الشديدين .

---

(٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بني سويف ص ٣٢١ .

(٦) كتاب مقدمات في علم الباترولوجي للقمص تادرس يعقوب ص ٥٨ .

فرص الاستعداد بين العالم والبرية :

الانسان فى العالم كلما كبر وتقدم فى الأيام زادت اهتماماته ومشغولياته وتوثقت ارتباطاته بالعالم اكثر فأكثر ولا يتركه العالم الا بعد أن يصبح هرما لا يعرف ولا يستطيع ان يكمل واجبات التوبة والاستعداد للحياة الأبدية بينما الكتاب يقول « أذكر خالقك فى أيام شبابك قبل ان تأتى أيام الشر او تجىء السنون اذ تقول ليس لى فيها سرور » (جا ١٢ : ١).

اما الحال بالنسبة للراهب فهو العكس تماما ، كلما يكبر فى الرهبنة وفى السن ينسلخ عن العالم وتقل اهتماماته الجسدية ويتمركز كل عمله فى الروحيات وحياة التأمل والهذيذ والاتحاد بالله والاستعداد للحياة الأبدية .

فالنظام المعمول به حاليا فى الرهبنة هو انه عندما يأتى الأخ طالب الرهبنة يسندون اليه فى الدير بعض الأعمال التى تمتص جزءا غير قليل من وقته ، ويتبقى له باقى الوقت للعبادة والصلاة والقراءة والراحة .

وذلك لأن حكمة الشيوخ رأت أن الأخ الوافد من العالم حديثا حيث كان يقضى اغلب وقته فى العمل وبين الناس لا يستطيع مرة واحدة وبطريقة مفاجئة أن يغير نظام حياته ويقضى وقته كله داخل المقلاية فى العبادة والصلاة ، والا اصبح فريسة للضجر والملل ونهبا للأفكار والحروب الفكرية الثقيلة .

وبعد أن يترهب يتعود قليلا قليلا على حياة السكون والخلوة والانفراد ، ويتقدم فى حياة الصلاة والتأمل ، ومن الناحية الأخرى تقل الأعمال المسندة اليه فى الدير حتى ترفع تماما بعد مدة من الزمن أو قد يسند اليه عمل خفيف لا يأخذ من وقته الا قليلا .

وبذلك يصبح كل وقت الراهب تقريبا مكرسا لحياة العبادة والتأمل ومحاسبة النفس والاستعداد للموت ويوم الدينونة العظيم ، وهكذا يحيا حياة التوبة والاستعداد وحياة النمو فى الفضيلة والتقوى .

ما احوجنا الآن ونحن فى الأيام الأخيرة او فى بداية النهاية كما يقولون . فيتفق الآن معظم اللاهوتيين المسيحيين على ان كل العلامات

التى قال عنها الرب يسوع المسيح أنها ستسبق مجيئه الثانى قد تحققت تقريبا ، وقد أصبح مجيء المسيح على الأبواب ، لذلك ما أحوجنا أن نحيا حياة مجيئيه مستعدة بالتوبة ومحاسبة النفس وتصفيتها كل حين استعدادا للموت الذى يوصلنا للرب عاملين بنصيحة عاموس النبى « استعد للقاء الهك » (عا ٤ : ١٢) وبالأخص « على قدر ما نرى اليوم يقرب » (عب ١٠ : ٢٥) وأن « نهاية كل شيء قد اقترب » (١ بط ٤ : ٧) . وأن « مجيء الرب قد اقترب » (يع ٥ : ٨) .

حكمة هـذا الدهر :

ليتنا نأخذ من حكمة هذا الدهر دروسا مفيدة فى الاستعداد للقاء الرب .

فالطالب عند قرب الامتحان يضاعف مجهوده وسهره فى المذاكرة والتحصيل حتى يلاقى الامتحان بقلب ثابت وامل وطيد فى النجاح بتفوق . والمسافر فى البحر عندما يقترب من الشاطىء يبدأ فى الاستعداد للنزول وكله شوق الى النزول الى ارض السلام والطمانينة بعد رحلة طويلة مقلقة ومتعبة من اهوال البحر واخطاره ، وحتى يلتقى بأهله وذويه ويبرد شوقه الملتهب نحوهم .

هكذا نحن أيضا امامنا امتحان الدينونة الأخيرة حيث يجازى الرب عند مجيئه الثانى كل واحد كحسب اعماله ، أيضا لنا فى السماء الرب يسوع المسيح والملائكة والقديسون ينتظرون وصولنا بشوق حتى يطمئنوا الى خلاصنا من بحر العالم وأهواله المفجعة التى تغرق الكثيرين فى العطب والهلاك . ليتنا نهتف باستعداد وشوق « مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى » (مز ٥٧ : ٧) ، « آمين تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ٢١) .

وقد أبدعت الكنيسة حينما رتبت قراءات (٢٢ طوبة) عيد نياحة القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب الرهبان والرمز الحى للرهبنة الساهرة المستعدة ، فجعلت انجيل قداس هذا اليوم هو فصل الانجيل الذى يتكلم عن العبيد الساهرين المنتظرين مجيء سيدهم ، فيخاطبنا رب المجد فى هذا الفصل قائلا « لتكن احقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة (رمزا

للسهر والاستعداد) وانتم مثل اناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس ، حتى اذا جاء وقرع يفتحون له للوقت ، طوبى لأولئك العبيد الذين اذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين الحق أقول لكم انه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم فيخدمهم . وان أتى فى الهزيع الثانى أو الثالث ووجدهم هكذا (مستعدين ساهرين) فطوبى لأولئك العبيد ... ، ثم ينصحنا المخلص نصيحة الهية قائلا : « فكونوا أنتم اذن مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » (لو ١٢ : ٣٥ - ٤٠) .

الفصل الثانى والعشرون

الرهبنة حياة ملائكية وطقس سمائي

قال الرب يسوع المسيح للصدوقيين « الذين حسبوا اهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون ... لانهم مثل الملائكة وهم أبناء الله اذ هم أبناء القيامة (لو ٢٠ : ٣٥ ، ٣٦) وحسب انجيل القديس مرقس قال لهم « لانهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة فى السماوات (مر ١٢ : ٢٥) .

والرهبان فى الأديرة يعيشون عيشة ملائكية تشبيها بعيشة الملائكة الذين فى ملكوت السماوات . لا ينشغلون بأمور عالمية بل كل همهم وكل عملهم هو تسبيح الله وتمجيده . هذا هو سرورهم وهذا هو شبعهم واشباع شهوتهم المقدسة .

« فالرهبنة هى استعادة الحياة الفردوسية الأولى ، حياة البساطة التى لا تعرف هما ، هى ذكصولوجية فرح أبدى يسبحها الراهب لا بشفتيه بل بكيانه كله ، ينشدها كل حياته الزمنية منضما الى الصفوف الملائكية (١) » .

فالرهبان فى الدير لا يتزوجون طبعا لأن البتولية هى الركن الأول والأساسى لحياة الرهبنة ، وبذلك يتخلص الراهب من المشغوليات الكثيرة المتعددة التى ينشغل بها الرجل المتزوج الذى ينجب أولادا ويكون أسرة .

كذلك الرهبان فى البرية لا يشتركون فى اهتمامات الخطوبة والزواج اذ لهم مجتمعهم الرهبانى الخاص فى الجبل بعيدا عن كل هذه الأمور . وبذلك ينطبق عليهم القول الالهى « لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة فى السماوات (مر ١٢ : ٢٥) .

واذ لا ينشغل الرهبان بامور الزواج والأولاد يتفرغون لعملهم الأساسى الذى خرجوا من أجله الى البرية وهو تسبيح الله وتمجيده على

---

(١) كتاب مقدمات فى علم الباترولوجى للقمص يعقوب ص ٥٨ .

طغس الملائكة الذين يسجدون الله بغير فتور قائلين ٠٠ قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت ٠ السماء والأرض مملوتان من مجدك الأقدس ، وبذلك ينطبق عليهم قول القديس غريغوريوس فى تأسله التأملى الرائع ٠٠ الذى اعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم ، الذى ثبت قيام مصاف غير المتجسدين فى البشر (أى الذى جعل البشر قائمين فى التسبيح بغير فتور على مثال مصاف السمائيين غير المتجسدين) ٠

ومن هذه الناحية بالذات يقول الآباء أن الرهبان هم ملائكة أرضيون وبشر سمائيون ٠ ويقول القديس اكليمادوس : الرهبنة هى درجة الملائكة الذين لا يفترون ليلا ونهارا عن خدمة ملكهم ، ويقول أيضا : الراهب هو ذاك الذى يستعد ليصير مثل الملائكة بدون هم ويشق عنه ثوب العالم (٢) » ٠

وحياة الراهب الملائكية بعيدا عن الزواج والنساء قال شيخ « ان الراهب يدعى راهبا من وجهتين :

الأولى أن يبتعد عن مناظر النساء ويرفض العالم وكل ما فيه ولا يهتم بشىء البتة ٠

الثانية : أن ينقى عقله من الآلام ويتحد بالرب وحده ٠

وحينئذ يثمر الروح ٠٠ وبقدر ما تكون همة الانسان ملازمة لله بلا طياشة بقدر ما تكون نعمة الله متضاعفة عليه ، وبقدر ما نتقرب اليه بقدر ما يهتم هو بنا (٣) » ٠

لا يستطيع الانسان المتبتل فى العالم ان يحيا مثل حياة الراهب فى الدير مبتعدا كلية عن أمور الزواج والعائلات ، المتبتل طبعا لا يتزوج ولكنه لا يستطيع الافلات من الاشتراك فى أمور الزواج ومناسباته خصوصا بالنسبة لأقربائه عنده ٠

البتولية فى وسط عالم اليوم الذى يموج بالمغريات والانحلال الخلقى اصبحت صعبة لا يقدر ان يكمل مشوارها الطويل المحفوف بالحروب والمخاطرة الا افراد قلائل جبابرة ذوو روحانية عالية ٠٠٠

---

(٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ١٣١ ٠

(٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٠٦

أما الشخص العادى الذى يريد أن يحتفظ ببتوليته وهو فى وسط العالم ، فقد تصطدم حواسه فى كل وقت بما يتعبها ويعثرها ، ويجعلها تنقل الى الفكر والى القلب افكارا ومناظر تلوث الفكر وتنجس القلب . وفى ذلك يقول احد الشيوخ « كما أن رائحة السم المميت تفسد مزاج الجسد كذلك المناظر السمجة تفسد سلامة الضمير (٤) .

يكفى أن يرى فى الشوارع ملصقات الاعلانات ، أو يرى فى التلفزيون داخل البيت بعض البرامج المثيرة والأفلام الماجنة ، أو يسمع ولو بدون ارادته من أجهزة المذياع المنتشرة فى كل مكان ، الأغانى المائعة ، فينطبق عليه ما قيل عن لوط « وكان البار بالسمع والنظر وهو ساكن بينهم يعذب يوما فيوما نفسه البارة بالأفعال الأثيمة (٢ بط : ٢ : ٨) .

ويظل المسكين يصارع فى ميدان البتولية وحده ، والكل ضده ، الاهل والأقارب والأصدقاء وحتى بعض المرشدين الروحيين ، اخيرا قد يستسلم ويترك طريق البتولية ويتزوج ولو فى سن متأخر .

أما الراهب فى الدير فيكون قد حسم وضعه بطريقة نهائية فى موضوع البتولية ، وبذلك يقطع على الناس وعلى الشيطان فرص الالحاح للتنقهقر عن البتولية فى وقت قد تصاب فيه النفس بالفتور أو انحراف الروحى ، كما ينمى فى النفس مشاعر البتولية ويثبتها بالممارسات اليومية من صلوات وقراءات واصوام وتجرد ونسك والمحاولة الدائبة لتفريغ كل طاقات الحب للراهب فى علاقته مع الله وتكريس القلب والفكر له وحده .

وهكذا تنحصر النفس فى حب الهى مشبع وتتخلص من الفراغ النفسى ودوامات الحياة العلمانية وضغوطها النفسية والاجتماعية المرهقة .

كما أن الراهب فى البرية يكون محفوظا من المناظر المثيرة والسماعات المثيرة والقراءات المثيرة فيستطيع ان يحتفظ ببتوليته الى نهاية الطريق - بنعمة الله - وبمجهود اقل مما يبذله الانسان الذى يريد أن يعيش بتولا وهو فى وسط العالم ، يقول القديس باسيليوس الكبير « ابتعد من نظر

---

(٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٠٦ .

وسماع ما لا يفيد فتتخلص من ثقل مالايفيد (٥) ويقول القديس انطونيوس الكبير « من يجلس فى البرية فقد أراح نفسه من ثلاثة حروب ، تلك التى تصدر عن طريق النظر والسمع والكلام (٦) ·

الراهب الذى يحفظ بتوليته بلا دنس يكون جسده كالجمرة النقية التى يتصاعد منها البخور ذو الرائحة الزكية فيبتسم الرب من صلواته ونسكياته رائحة الرضا والسرور ، أو هو كالذبيحة الطاهرة التى بلاعيب التى تقدم لله على مذبح الحب الالهى فيبتسمها الله ويرضى عن العالم ويرفع غضبه عنه ·

وقد اهتم الآباء بتذكير الراهب بقدسه الملائكى ودرجته السامية التى يجب أن يحافظ عليها ولا يفرط فيها · فها القديس مار اسحق السريانى يقول « تدبير المتوحد (الراهب) هو شبه الملائكة فلا ينبغى أن نترك عمل السمائيين ونربح البر بأمور ارضية ، وقال القديس مكاريوس الكبير موبخا بعض الرهبان المتهاونين (٧) ·

« ان قدسنا ملائكى وقد جعلناها (بتهاوننا) علمانيا ·· قولوا لى يا اخوتى هل الملائكة فى السماء تجمع ذهبا وفضة وتسجد لله ؟ ! (٨) · ونحن يا اخوتى عندما لبسنا هذا الزى ألترى لنجمع مقتنيات وحطاما ام لنصير ملائكة (٩) ؟ ! ويقول الشيخ الروحانى « ليكن جسدك مشرقا بالطهارة كما أولئك السيرافيم هم ايضا فى طهارتهم ، ونفسك لتكن نقية من الأوجاع والافكار كما هم ايضا نار تتقد بالنظر الدائم فى الله ·

---

(٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٠٦ ·
(٦) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٩٣ ·
(٧) بستان الرهبان طبعة دار النسخ والتحرير ·
(٨) الجواب : لا طبعا ·
(٩) والجواب لنصير ملائكة طبعا ·

الفصل الثالث والعشرون

الرهبنة حياة فرح روحي

« الحياة المسيحية هى حياة الفرح والتهليل الحقيقى » وكتاب العهد الجديد هو أبهج كتب العالم وأكثرها سرورا « فهو يبتدئ بفرح ولادة المخلص وينتهى بتلك الصورة السامية ٠٠ صورة جمهور القديسين يرددون تسبحة التهليل والسرور « هلليلويا » ٠

وحيثما فتحته سمعت فيه نغمات الفرح والسرور « حتى فى الخطاب الأخير الوداعى بينما كان الرب على ابواب الجلجثة بظلامها وآلامها كان يقول لتلاميذه « كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم (يو ١٥ : ١١) وعندما ارتفع عنهم الى السماء كانوا عوض البكاء والنحيب على فراقه « يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله « (أع ٢ : ٤٦) « وعندما كان الأعداء يلقون عليهم الأيادى ويجلدونهم لأجل ايمانهم بالمسيح « كانوا يخرجون فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه (اع ٥ : ٤١) « وبينما كان بولس وسيلا مسجونين فى سجن فيلبى وارجلهما فى المقطرة وذلك بعد أن وضعوا عليهما ضربات كثيرة « نحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما « (أع ١٦ : ٢٥) « وبينما كان بولس مسجونا فى روما منتظرا المحاكمة كتب لكنيسة فيلبى رسالة مفعمة بالفرح والسلام فيقول « افرحوا فى الرب كل حين وأقول ايضا افرحوا ٠ سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وافكاركم فى المسيح يسوع » (فى ٤ : ٤ ـ ٧) والسلام هو الاستقرار الداخلى للنفس ببهجة الحياة رغم الآلام والتجارب وهو أحلى الأحاسيس فى هذا الوجود وهو قمة السعادة وكمالها « السلام هو التركة الثمينة التى خلفها لنا الرب يسوع بعد صعوده الى السماء قائلا « سلامى اترك لكم ٠ سلامى اعطيكم انيس كما يعطى العالم أعطيكم أنا ٠ لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب « (يو ١٤ : ٢٧) كما طمأننا الرب قائلا « قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فى سلام ٠ فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم « (يو ١٦ : ٣٣) وبمقدار ثقتنا وايماننا

فى المسيح الغالب تكون غلبتنا ونصرتنا على العالم وبالتالى يكون فرحنا وسلامنا .

الرهبنة قمة الفرح المسيحى :

ان كان المسيحى العادى فى العالم تنتابه بعض المشاكل والضيقات والاهتمامات مما يفقده أحيانا فرحة ومسرته الروحية عندما تجربه هذه التيارات بعيدا عن المسيح ملك السلام ، فان الراهب فى البرية لا يتعرض لمثل هذه الهزات أو الاهتمامات أو التيارات بل يملك فى قلبه سلام الله الكامل الذى اليه دعى (كو ٣ : ١٥) .

تبدو الرهبنة لأول وهلة أنها حياة حزن وصراع ونسك ودموع ، فالراهب يحرم نفسه بنفسه من المسرات العالمية ، يعيش فى الصحارى المقفرة بعيدا عن العالم وملذاته ، يلبس الملابس السوداء عمره كله وكأنه فى حالة حداد مستمرة ، الذى يقرأ بستان الرهبان يجده يفيض دموعا وجهادا .

هذا صحيح ، لكنه لا ينفى بأى حال من الأحوال كون ان الرهبنة حياة فرح روحى داخلى لا ينطق به ومجيد (١ بط ١ : ٨) وان الراهب هو أسعد انسان فى الوجود .

حياة الراهب مثل خيمة الاجتماع التى عملها موسى النبى فى البرية كانت من الخارج مغطاة بجلود التحس والكباش (مز ٣٦ : ١٩) حيث لا منظر لها ولا جمال ، أما من الداخل فكانت كلها من المنسوج الجروم والاسمانجونى والأرجوان والقرمز ، وكل أوانيها من الذهب النقى مما جعلها فى غاية الجمال والبهجة ، حقا ان كل مجد ابنة الملك من داخل (مز ٤٥ : ١٣) .

وتوجد أسباب كثيرة للفرح الروحى العميق الذى يتمتع به الراهب وهو فى بريته المقدسة منها :

١ ـ البتولية سبب فرح الراهب :

الراهب لا يتزوج طبعا ، ولا يدخل فى هموم الزواج ٠

فالانسان المتزوج اذا لم ينجب أطفالا كان ذلك مصدر حسره وضيق دائم له ولزوجته ، وفى بعض الأوساط يكون ذلك عارا ومصدر تعيير ومذلة ، فنرى راحيل عندما كانت عاقرا تضايقت جدا وقالت لزوجها « هب لي بنين والا اموت » (تك ٣٠ : ١) وحنه أم صموئيل عندما كانت عاقرا كانت حزينة ومرة النفس ، وكانت ضرتها تغيظها ايضا لأجل الواعمة لان الرب أغلق رحمها » (١ صم ١ : ٦) والبصاليات حينما فتح الله رحمها بعد العقر الطويل والحزن الكثير صلت قائلة « هكذا قد عمل بي الرب فى الأيام التى فيها نظر الى لينزع عاري بين الناس » (لو ١ : ٢٥) ٠

وليس النساء فقط يتملك عليهن الحزن من العقر وعدم الانجاب وانما ايضا الرجال يتملكهم نفس الشعور وينغص عليهم حياتهم ، فابراهيم ابو الآباء عندما تأخرت امرأته سارة كثيرا فى الانجاب لأنها كانت عاقرا كلمة الرب قائلا « لا تخف يا ابرام انا ترس لك ٠ أجرك كثير جدا ٠ فقال ابرام (بنغمة الحزن) ايها السيد الرب ماذا تعطيني وانا ماض عقيما ومالك بيتي وارث لي (تك ١٥ : ١ ـ ٢) ولم يستوح ابرام الا بعد أن سمع الوعد الالهى « لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك ٠٠ فآمن بالرب فحسبه له برا » (تك ١٥ : ٤ ـ ٧) ٠

أما الانسان الذى ينجب أطفالا فتزداد مشاغله وهمومه ، يخاف عليهم من المرض فاذا مرض أحدهم كان مرضه مصدر قلق وتعب لأبيه يخاف عليهم من الموت فاذا مات أحدهم كان موته مصدر حزن عميق لأبيه ، يعمل فى نفسه جرحا لا يندمل ومرارة نفس لا تنقطع ٠

أما أولاد الراهب فهم أتعابه وجهاداته فى التضحية وأحفاده هم الفضائل التى يقتنيها عن طريق هذه الجهادات والأتعاب ٠

الانسان الذى ينجب بنات يخاف عليهن وعلى مستقبلهن ، يكون مشغولا دائما بأمر زواجهن وعن ما زلن أطفالا لا يعرفن معنى الزواج ٠

يحتاج الطفل بصفة عامة الى الاعاله والرعاية والتعليم الى ما بعد العشرين من عمره ، يكد والده ويشقى ، يعمل ليلا ونهارا لكى يوفر لأولاده حياة كريمة لائقة ، وقد قال عنهم بولس الرسول : مثل هؤلاء يكون لهم ضيق فى الجسد (أى ضيق فى المعيشة الجسدية) وأما أنا فانى أشفق عليكم (١ كو ٧ : ٢٨) .

بعد أن عدد القديس غريغوريوس أسقف نيصص مثاعب الزواج وآلامه أخذ يمدح البتولية قائلا : « ان البتولية هى حصن ضد كل هذه الاتعاب ، ليس فيها حالة أو ترمل . انها دائما فى حضرة عريس لا يموت، لها نسل التكريس دائما للاستمتاع به . ترى بيتها الذى تملكه حقا مزينا دائما بكل الكنوز لأن السيد الرب نفسه يسكن فيه . فى هذه الحالة لا يحدث انفصال بل اتحاد مع من تتوق النفس اليه ، لأن عند الرجل تكون النفس مع المسيح كما يقول الرسول « لى الاشتهاء ان انطلق واكون مع المسيح . ذاك افضل جدا » (فى ١ : ٢٣) .

وقال القديس يوحنا فم الذهب وهو يعمل مقارنة بين الزواج والبتولية :

« هناك مساوىء كثيرة لمن يتزوج بامرأة فقيرة ، وليس بأقل منها أن يتزوج بامرأة غنية ، الأولى يجرى العوز وراءها ، والثانية تتعالى على الزوج وتتسلط عليه . انجاب الأولاد مهموم بكثرة ، وعدم الانجاب حرمان وحسرة » .

أما عندنا نحن الذين نعيش للمسيح فلا تغلبنا أمواج العالم ، نرتفع فوق كل المتاعب . لا حزن على ضياع ثروة ، لا جرى وراء الطامع ولا طموح فى المجد ، لا يستطيع أحد أن يأتينا بمضرة ولا تصيبنا أذية .

٢ - الغربة سبب فرح الراهب :

الرهبنة هى حياة غربة وانحلال عن الكل بما فيهم الوالدين والاقرباء ، بقصد الارتباط بالواحد وهو الله ارتباطا مقدسا الى نهاية العمر ، لذلك فلسان حال الراهب يقول مع الرسول « اذا من الآن لا نعرف أحدا حسب الجسد ... لأن محبة المسيح تحصرنا » (٢ كو ٥ : ١٦) .

الراهب بعد دخول الدير اصبح ميتا فى حكم الجسد وعلاقات الجسد واصبحت كل حياته وعلاقاته على المستوى الروحى الصرف ، ليس له اب بالمعنى الجسدى المعروف بل ابوه هو الله مصدر حياته ووجوده ، ويحكى لنا بستان الرهبان هذه القصة « اخبر احد الرهبان ان اباه قد مات ، فاجاب الذى اتاه بالخبر قائلا كف عن التجديف فان ابى لا يموت (١) » يعنى ان اباه هو الله والله بالطبع لا يموت » .

« ومرة اتى رجل الى الانبا ارسانيوس بوصية من رجل شريف من جنسه مات واوصى له بمال كثير جدا ، فلما علم القديس بذلك هم بتمزيق الوصية ومنع الرجل على قسميه وطلب الا يمزقها و لا فراسه عوضها .

فقال له القديس : انا قد مت منذ زمان وذاك مات ايضا ، وبذلك صرفه ولم يأخذ منه ولا فلسا واحدا (٢) » .

ثم الراهب هى العذراء القديسة مريم ام جميع الاحياء التى اعطاها لنا الرب عند صلبه فى شخص يوحنا الحبيب قائلا « يا امراة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا امك ، ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته (يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٧) .

وهذه الام الحنونة حية فى السماء تشفع فينا كل حين لدى ابنها الحبيب يسوع المسيح ربنا .

الراهب لا يحزن على فقد زوجة لانه لم يتزوج اصلا ، ولا يحزن لموت اولاد لانه ليس له اولاد جسديون بل اولاده هم اتعابه وجهاداته فى الفضيلة والانجاب لا تموت .

حقا قال القديس غريغوريوس النيسى عن البتولية والرهبنة : انها الحياة التى لا تعرف اليتم او الترمل » .

الاسرة الروحية للراهب :

يعين الدرجى افراد اسرة الراهب ويحدد افرادها قائلا :

---

(١) بستان الرهبان طبعة دار النسخ ص ١١٧ .

(٢) بستان الرهبان طبعة دار النسخ ص ٤٧ .

+ ليكن ابوك من يشاء ويقتدر أن يتعب معك فى حمل وسق خطاياك ٠

+ ولتكن أمك الخشوع القادر ان يغسلك من وسخك ٠

+ وليكن أخوك من يتعب معك ويساعدك فى السعى الى العلو ٠

+ واقترن قرينة (زوجة) يعسر انفصالها عنك ، وهى ذكر خروجك من الدنيا (التذكر الدائم للموت) ٠

+ وليكن اولادك المحبوبين زهرات قلبك ٠

+ واقتن جسدك عبدا لك ٠

+ واقتن لك اصدقاء من القوات القادرة ان تنفعك فى وقت خروجك من هـــذا العالم ٠

وفى ظلال هذه الأسرة السعيدة يعيش الراهب فى فرح دائم لايستطيع شىء أن ينزعه منه ، ويعيش فى ســلام روحى عميق كعربون مسبق لحيــاة الملكوت ٠

٣ ـ تنفيذ الوصية بدقة سبب فرح للراهب :

قلنا فى فصل سابق أن الرهبنة هى حياة تنفيذ الوصية بكل ابعادها وقوتها ، والراهب هو « أخصائى تنفيذ الوصــية » لا يوجــد ما يعيقه عن تنفيذها وتحويلها الى حياة معاشة ، والذى ينفــذ الوصــية يحس ببركة تنفيذها وبيد الرب الموجودة خلف كل كلمة وكل حرف من وصيته الالهية فيفرح ويبتهج ويحيا سعيدا ، وينال الغبطة والسعادة الموعودة بها لحافظى الوصية حسب قول الرب « طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه (لو ١١ : ٢٨) وتطويب المرنم القائل « طوبى للكاملين طريقا ٠ السالكين فى شريعة الرب طوبى لحافظى (يا لسعادة حافظى) شهادته ٠ من كل قلوبهم يطلبونه (مز ١١٩ : ١ ، ٢) ٠

وقد سئل القديس الأنبا انطونيوس مرة ، ما معنى قول الرسول : « افرحوا بالرب » ؟ ٠

فقال القديس : « اذا فرحنا باتمام الوصايا فهذا هو الفرح بالرب فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح اخوتنا ، ولنحفظ انفسنا من فرح

العالم والضحك ان اردنا ان نكون من خواص ربنا (٣) » .

٤ - راحة الضمير تسبب الفرح للراهب :

الراهب يختبر ايضا فرح راحة الضمير ، وذلك حينما يكون مقتنعا بسلامة الطريق الذى يسلكه . وانه يسير على نفس الطريق الذى سلكه من قبل القديسون العظماء المعتبرون فى الكنيسة اعمدة وأنوار ساطعة فى سماء الكنيسة امثال القديسين انطونيوس ومكاريوس وباخوميوس وشنوده ، فأوصلهم ذلك الطريق الى السماء قديسين عظماء لا دنس فيهم ولا عيب ولا شىء مثل ذلك .

حينما يتذكر الراهب هذه الأمور يستريح قلبه ويطمئن فؤاده ويؤمن انه لابد واصل الى ميراث آبائه ان هو تمثل بهم فى جهادهم وحرصهم .

تصبح البرية بالنسبة له مصدر فرح وتعزية كما يقول المرنم « مغنون كعازفين كل المسكان فيك » « اى فى البرية » (مز ٨٧ : ٧) ، والجبال حوله تشيد بالترنم حسب قول النبى « أشيدى أيتها الجبال ترنما » (اش ٤٤ : ٢٣) .

٥ - حياة التجرد تسبب الفرح للراهب :

كل انسان فى العالم له متاعب ومشاغل واهتمامات تنوء بحملها الجبال ، من السلطان الجالس على كرسيه الى الفقير الجالس فى المزبلة **لأن الانسان مولود للمشقة كما ان الجوارح لارتفاع الجناح** » (أيوب ٥ : ٧) .

أما الراهب الذى يعيش حياة التجرد الاختيارى حتى من ذاته فيعيش فى سلام غامر وفرح روحى لا ينطق به ومجيد ، والحكيم يقول « لقمة يابسة ومعها سلام خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام » (أم ١٧ : ١) ويقول المرنم « جعلت سرورا فى قلبى أعظم من سرورهم اذا كثرت حنطتهم وخمرهم » (مز ٤ : ٧) .

---

(٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٤٢٠ .

فالذى له حاجات كثيرة ومقتنيات وفيرة له بالطبع أسباب كثيرة للحزن والقلق ، يقلق من ناحية للحفاظ عليها وزيادتها ، ويحزن من ناحية اخرى اذا فقد شيئا منها .

اما الراهب فليس له ما يفقده ويتاسف ويحزن عليه ، وليس من اهدافه جمع المقتنيات والاهتمام بالماديات وما يصاحب ذلك من قلق وهم واضطراب . الراهب ينفذ فى ذاته وصية الرب القائلة « لا تطلبوا أنتم ما تاكلون وما تشربون ولا تقلقوا . بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم » (لو ١٢ : ٢٠ - ٣١) ونصيحة الرسول القائل « ان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » (١ تى ٦ : ٨) .

لقد عاش الآباء الرهبان مثل الطيور التى لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، عاشوا طائرين على اجنحة الايمان واضعين كل ثقتهم فى الله الذى يعتنى بهم ويهتم بمعيشتهم ، وهكذا عاشوا حياة الفرح وحياة الانطلاق ويصف لنا بستان الرهبان حياة الأنبا بيساريون كعينة ونموذج لهؤلاء الآباء الروحانيين قائلا :

« كان كطيور السماء كأحد وحوش البرية ، اكمل حياته فى سكينة بلاهم ، ولم يهتم قط بقوت ولا خزن طعاما ولا اقتنى ملبسا أو كتابا ، بل كان بكليته حرا من الآلام الجسدانية ، راكبا فوق قوة الايمان ، صائرا بالرجاء مثل أسير للأمور المنتظرة ، طائفا فى البرارى .. وكان يصبر على الضيقات مسرورا (٤) » .

ونقل عن القديس مكاريوس الاسكندرى ، انه كان متغيبا عن قلايته فدخلها لص ، ولما عاد الأب وجد اللص يضع كل محتوياتها على جمل ، فدخل الأب القلاية وحمل أشياء أخرى وسلمها للص ، ولما اراد اللص ان يقيم الجمل رفض ان يتحرك ، وعندما دخل الأنبا مكاريوس وحمل قفة كانت متروكة ووضعها على الجمل ، وقال : ان الجمل يرفض ان يقوم حتى يحمل هذه ايضا ، وصاح بالجمل فنهض ، ولكنه بعد ان سار مسافة قصيرة برك ورفض ان ينهض حتى انزل ما عليه (٥) » .

---

(٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٩٣ .

(٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٧٨ .

وهكذا عاش الآباء فى تجرد كامل وفرح غامر وسلام دائم لا يستطيع شىء من قشاش هذا العالم أن يفقدهم سلامهم الالهى وفرحهم الروحى ، لقد استبدلوا الغنى العالمى بالغنى فى الفضيلة . واستبدلوا كنوز العالم بكنوز معرفة الله ومحبته حسب الوعد الالهى « وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء لكى تعرف انى انا الرب الذى يدعوك باسمك » (اش ٤٥ : ٣) « الظلمة والمخابىء هنا الرعبة المخفية فى البرارى » .

وكما عاشوا هذه الحياة التى بلا هم نصحونا كثيرا أن نقتفى آثارهم حتى نحيا مثلهم حياة الفرح والانطلاق فيها القديس بيفاتيوس يقول « لا تحبوا امتاع الحياة فتستريحون وتفرحون فى الآخرة . تحفظوا من لذات العالم فلا يقوى عليكم وجع الشيطان (٦) » .

وقال انبا أوغريس : الذى ليست له محبة للقنية له حياة بلا اهتمام ، أما المحب للقنية فله منغص فى قلبه الذى هو الاهتمام (٧) » .

وقال انبا موسى الأسود : « محبة المقتنيات تزعج العقل ، والزهد فيها يمنحه استنارة (٨) » .

وقال انبا أغاثون « ان محبة المقتنيات متعبة جدا تؤدى الى نهاية مريرة لأنها تسبب اضطرابا شديدا جدا للنفس ، فسبيلنا أن نطردها منذ البدء لأنها ان ازمنت فينا صار اقتلاعها صعبا (٩) » .

التحرر من الأوجاع يجلب الفرح للراهب :

يجاهد الراهب كثيرا للتحرر من الأوجاع ، يحاول جاهدا بأن يصل الى حياة النقاوة التى تلازمها على طول الخط حياة الفرح والسلام ، انقلب النقى يصبح قصرا مستعدا لسكنى الملك المسيح فيه ، ويقول الشيخ الروحانى « التحرر من الأوجاع بسلام يجعل الملك (المسيح) يجلس فى خدره (القلب) » ، ومتى سكن المسيح ملك فى القلب واتخذه مقرا ملكيا له فاض القلب بالسلام وبفرح روحى لا ينطق به ومجيد .

(٧،٦) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٧٨ .
(٩،٨) بستان الرهبان طبعة بنى سويف ص ١٧١ .

+ اذا تخلص الراهب من وجع الشراهة والبطنة والمخجرة واصبح معتدلا فى صيامه وطعامه ، اصبح عقله لطيفا وجسده خفيفا وسهلت عليه الممارسات الروحية ، فيفرح بذلك ويسر .

+ اذا تخلص الراهب من اوجاع الشهوات الجنسية وافكار النجاسة واصبح ينفر منها ويبغض حتى الثوب المتنجس من الجسد حسب وصية الرسول ، حينئذ يفرح بحالة الطهارة هذه ويصلى لله بدالة ويعيش طاهرا جسدا وروحا ويقدم جسده لله ذبيحة طاهرة مقبولة لا عيب فيها ولا دنس .

+ اذا تخلص الراهب من وجع البخل والتعلق بالمال والمقتنيات ، اصبح يعيش على الارض بدون هوى أرضى ، اصبح يجد مسرة فى العطاء اكثر من الأخذ ، حينئذ يفرح بحالة عدم التبعية التى وصل اليها بعد أن يكون قد حول كنوزا كثيرة الى السماء وحيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب سارقون ويسرقون .

+ اذا تغلب الراهب على رذيلة الغضب الذى هو أبو الجنون ، وصار انسانا وديعا هادئا متشبها بسيده لا يصيح ولا يخاصم ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ، حينئذ يصبح محبوبا من الناس ومن الله ايضا ، حينئذ يعيش الراهب هادئا فى سلام مع نفسه ومع الناس ومع الله ، مسالما للجميع ، محبوبا من الجميع ، وهذا منتهى الفرح .

+ اذا تخلص الراهب من وجع الجسد واصبح يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقتنى فضيلة الايثار بدل الأنانية ومحبة الآخرين بدل محبة الذات ، متعلما هذا الدرس العظيم من الراهب المثالى القديس يوحنا المعمدان الذى قال « ينبغى أن ذاك يزيد وانى انقص » (يو ٣ : ٣٠) ، حينئذ يصير قلب الراهب ينبوعا للسلام لا ينضب وموضوعا للفرح ، فيعيش الراهب وسلام الله الذى يفوق كل عقل حافظا قلبه وعقله كليهما ، فيثمر فى حياته مع الله نموا مطردا ويسير نحو الكمال بخطى واسعة .

٧ - صلاة الراهب المستجابة تسبب له الفرح :

الراهب الذى نتقى من الأوجاع وواظب على حفظ الوصايا والعمل بها يقتنى دالة عظيمة أمام الله فى الصلاة ، كل ما يطلبه يستجاب له حسب كلمة الرسول القائل « مهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية امامه (١ يو ٣ : ٢٢) وحسب وعد الرب نفسه « اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا » (يو ١٦ : ٢٤) .

وحينما ينال الراهب طلباته ويشعر بقبول صلواته لدى الله يشعر بفرح روحى عميق ، ويحيا أيام السماء على الأرض ، يحيا حياة الشكر وحياة الثقة فى الله ، وكأنه يعيش بروح المزمور القائل « اعتفى للرب ياكل الأرض . اعبدوا الرب بالفرح ، ادخلوا الى حضرته بالتهليل ، اعلموا ان الرب هو الله . هو صنعنا ونحن شعبه وغنم مرعاه . ادخلوا ابوابه بحمد وديباره بالتسبيح ، احمدوه باركوا اسمه لأن الرب صالح الى الابد رحمته والى دور فدور أمانته » (مز ١٠٠) .

ويصف القديس يوحنا فم الذهب حياة الفرح والسلام التى يحياها الرهبان فيقول :

« أولئك الرهبان الذين يتأملون أمور الملكوت ويناجون الله نفسه ، تلاليهم خالية من الازعاج واجسادهم خالية من الأسقام ، بل هى اطهر من النور ، عملهم هو عمل آدم الأول قبل سقوطه حينما كان يناجى الله بحرية ويقيم فى الفردوس المملوء بكل سعادة وبركة . هم ليسوا اقل منه بل يتناضلون عليه بمقدار عظم النعمة التى انسكبت عليهم من الروح القدس .

وكمثل الملائكة ، **بقلب واحد مبتهج** منير وصوت واحد للجميع كما لو كان خارجا من فم واحد يرتلون لاله الكل ويكرمونه ويشكرونه على خيراته ، سواء الفردية أو الجماعية .

الفصل الرابع والعشرون

الأركان الأساسية للرهبنة

تمهيـــد :

الراهب هو انسان يريد أن يتبع الرب بكل قلبه ناكرا نفسه حاملا صليبه كل يوم سائرا فى طريق الجلجثـــة بمراحله الطويلة ومعاناته القاسية ، وهناك يصلب نفسه مع المسيح باختيار ومسرة تفوق مسرة الانسان الذى يسير فى موكب ملكى عظيم لينصب ملـكا ويجلس عـلى العرش الامبراطورى ، وذلك كما يقول الرسـول بولس « وأما من جهتى فحاشا لى ان أفتخر الا بصليب ربنا يسـوع المسـيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم » (غل ٦ : ١٤) ، وقوله « مع المسيح صلبت فاحيا لا انا بل المسيح (المصلوب) يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) . فالراهب كائن لا يحيا الا على الصليب .

وسبب مسرة الراهب بالصليب واعتناقه اياه بفرح هو شعوره بانه ينفذ وصية سيده ومخلصه الذى صلب على الصليب وفداه ، ينفـذ تلك الوصية القائلة « من أراد ان يأتى ورائى فليكفر نفسـه ويحمل صـليبه ويتبعنى » (مر ٨ : ٣٤) وقـوله « ادخـلوا من البـاب الضـيق » (مت ٧ : ١٣) .

وثمة سبب آخـر لفـرح الراهب بطـريق الصليب والبـاب الضيق وما يصـحبهما من معاناة وتعب هـو ان الصليب مرتبط ارتباطا وثيقـا بالقيامة ، فلولا الصليب وما حدث عليه من الم ومر وموت ما كانت قيامة وصعود وجلوس عن يمين العظمة فى الأعالى .

اذن الراهب يكمل فى نفسه سر الموت والقيـامة القائمـة من الموت نفسه ، حبة الحنطة ان لم تمت تبقى وحدها وان ماتت تأتى بثمر كثير ، (يو ١٢ : ٢٤) ، والرب وعد ان الطريق الضيق فقط هو الذى يؤدى الى الحياة الأبدية ، وان الباكين عنا هم سيفرحون فى الحياة الابدية .

ويقول الآب بينوفيوس (من آباء القرن الخامس) وهو ينصح اخا مبتدئا : « ترك العالم ما هو الا برهان الصليب والاماتة ، لذلك ينبغى عليك أن تعرف اليوم أنك قد مت بالنسبة لهذا العالم وكل أفعاله وشهواته وانك كما يقول الرسول « صلبت للعالم والعالم قد صلب لك » (غل ٦ : ١٤) ٠

تفهم فيما تتطلبه قدسية الصليب الذى ستعيش به من الآن فى هذه الحياة ، فيما بعد سوف لا تحيا انت بل المسيح الذى صلب من أجلك سيحيا فيك (غل ٢ : ٢٠) ٠

لذلك يجب علينا أن نقضى زماننا فى هذه الحياة بالأسلوب والوضع الذى صلب هو فيه من أجلنا كما يقول داود النبى « مسمرين جسدنا بمخافة الرب » (١١٨ : ١٢٠) ٠

يجب أن تكون رغباتنا واشتياقاتنا ليست مرتبطة بشهواتنا الجسدية بل مرتبطة باماتتها لأننا بهذا نحقق وصية الرب القائلة « من لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٨) ٠

ولكنك ربما تتساءل كيف يمكن الانسان أن يحمل صليبه باستمرار ؟ ! أو كيف لانسان حى أن يصلب ؟ !

سأقول لك باختصار كيف يكون هذا :

خوف الرب هو صليبنا لذلك كما أن الشخص المصلوب ليس له قدرة أن يحرك او يحول أحد أطرافه فى أى اتجاه يريد ، هكذا يجب علينا أن نثبت رغباتنا وميولنا ليس ما يسرنا ويبهجنا بل حسب ناموس الرب الذى بمقتضاه ٠

وكما أن الشخص المعلق على خشبة الصليب لا يهمه شىء من الأمور الحاضرة ولا تكون له آمال يفكر فيها ولا يضطرب او يقلق باهتمام الغد ولا يتعرض برغبة القنية ولا يلتهب بالكبرياء أو المماحكة أو المنافسة ولا يفكر فى أحزان أو اساءات حالية أو ماضية ، وبينما هو ما زال يتنفس فى الجسد يعتبر نفسه ميتا عن كل الأشياء الأرضية رافعا كل افكار قلبه الى ذلك المكان الذى يعتقد انه ذاهب اليه بعد فترة قصيرة ٠

هكذا نحن أيضا عندما نصلب ذواتنا بمخافة الرب ينبغي ان نموت فعلا عن كل هذه الأشياء ، اى ليس الرذائل الجسدية فقط بل كل الأشياء الأرضية ، مثبتين أعين قلوبنا هناك فى ذاك المكان الذى نترجى كل لحظه ان نمضى اليه ٠

لاننا بهذه الطريقه نميت كل أهوائنا وعواطفنا الجسدية (١) ،

واذ يصلب الراهب جسده مع أهوائه وشهواته على صليب النسك والعفة يدق فى جسده ثلاثة مسامير كتلك التى دقت فى جسد الرب عند صـــليبه ٠

وهذه المسامير الثلاثة التى يصلب بهـا الراهب ذاته هى الأركان الثلاثة الرئيسية للرهبنة وهى :

١ ـ العفة ٠

٢ ـ الطاعة ٠

٣ ـ التجرد ٠

يصلب بها الثلاث خطايا الكبار التى هى شهوة الجسـد وشـهوة العيون وتعظم المعيشة ، (١ يو ٢ : ١٦) ٠

ويجب أن نلاحظ ان السـيد المسـيح لم يمت بمجـرد ان علق على الصليب بل استمر يصارع لمدة ثلاث ساعات كاملة واخيرا أسلم الروح هكذا الراهب لا يموت عن العالم أو تمـوت ميوله وشـهواته مرة واحـدة بمجرد أن يجرى عليه طقس الرهبنة ويلبس الثوب الرهبانى ، انما يظل يجاهد ويصارع مع هذه الميول والشهوات فترة طويلة من الزمان وهـو معلق على صليب النسك والجهاد والطهارة تتضعف ميوله وشهواته قليلا قليلا حتى تموت اخيرا بنعمة الله ٠

ونحاول فى ايجاز ان نلقى بعض الضوء على ركن من هـذه الأركان الثلاثة للرهبنة :

---

(١) John Cassian Institutes. leck IV Chapters 34 & 35 ٠

١ - العفـــة :

العفة فى المفهوم اللغوى تعنى الامتناع عن مالا يحل عمله ، ونقصد بها هنا فى الرهبنة الامتناع عن الشهوات الجنسية وكل أنواع النشاط الجنسى .

العفة فى الرهبنة تقوم على محبـة المسيح . وهـذه المحبـة هى سر القدرة على البذل والتضحية بكل شهوات الجسد .

« العفة المسيحية عميقة فهى لا تقف عند حدود تعفف السلوك وانما تتعداه الى طهارة الوجدان ونقاوة الفكر الداخلى (٢) .

شخص المسيح هو محور الزاوية فى حياة العفة ، فلا يمكن أن تقوم عفة بدون محبة خالصة للرب ، الرب هو الذى يلهب القلب بمحبة العفة وهو الذى يجذب الجسد ويهدىء ويهون البذل والاحتمال . فالعفة هى عمل من عميم أعمال الروح القدس فى حياة الانسان الذى يريد أن يعيش مع المسيح ويلتصق به ويعرفه معرفة اختبارية .

وتقول احدى القسم عن السيد المسيح انه « معلم الطهارة . . مؤسس الدهور قابل الصلوات النقية (٣) » ويقول عنه الزنم « . . مع الكامل تكون كاملا ومع الطاهر تكون طاهرا » (مز ١٨ : ٢٦) . أى ان الذى ينشد الكمال يساعده الله على بلوغه والذى ينشد الطهارة يسنده الله بمعونته حتى يكمل جهاده ويأخذ اكليله » .

الرهبنة كطريق عظيم للخلاص تضم فى رحابها البتوليين الذين لم يتزوجوا قط واكتفوا بالمسيح عريسا لنفوسهم ، وقدموا له بتوليتهم ذبيحة حب على مذبح الطهارة والتكريس وذلك حسب وصية الرسول « حسن للرجل ألا يمس امرأة » ووصيته « انى أريد أن يكون الجميع كما أنا » (بتوليين) وقوله « غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب » وذلك لأجل « اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك » (١ كو ٧) .

كما تضم الرهبنة فى رحابها ايضا المترملين الذين ماتت زوجاتهم ويريدون أن يكملوا بقية حياتهم فى الالتصاق بالرب بعيدا عن الدخول

---

(٢) كتاب حياة العفة لنيافة الأنبا بيمن ص ٩ - ١٣ .
(٣) الخولاجى الكبير طبعة القمص عطا الله الحرقى ص ٧٠٩ .

من جديد فى مشاغل ومشاكل الزواج وذلك حسب وصية الرسـول « اقول لغير المتزوجين وللارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا » وقـوله « انت منفصل عن امراة فلا تطلب امراة » ويقول ايضا للارامل « ان الأرملة هى أكثر غبطة ان لبثت هكذا » (١ كو ٧) ٠

كما يمكن أن يقبل فى الرهبنة المتزوجون الذين يتفقون فيما بينهـم – الزوج وزوجته على ترك الحياة الزوجية برضى ومسرة من كليهما من أجل حياة روحية أعمق والتصاق بالرب أكثر ، فيذهب الزوج الى دير للرهبان وتذهب الزوجة الى دير للراهبات وذلك حسب قول الرسول « لا يسلب أحدكم الآخر الا ان يكون على موافقة الى حين لكى تتفرغوا للصوم والصلاة (١ كو ٧ : ٥) ٠ فالذى قرره الرسـول واوصى به « الى حـين » نفـذه البعض بطريقة مستمرة ودائمة ٠

ومن القديسين الذين ترهبوا هم وزوجاتهم القديس الأنبـا يحنس كاما (٤) والقـديس أمون اب جبـل نتريا (٥) والقـديس اندرونيـكوس وزوجته اثناسيا (٦) اللذان اتفقا على الرهبنة وخرجا من بينهما وتركاه مفتوحا وصليا قائلين « ها نحن يا رب قد تركنا باب منزلنا مفتـوحا من أجل اسمك فلا تغلق أمامنا باب ملكوتك ، ثم مضى القديس اندرونيكوس الى برية شيهيت حيث ترهب وتتلمـذ على يدى القـديس دانيـال قمص البرية وذهبت اثناسيا الى دير الراهبات بطبانسين بالصعيد ٠

ولكن على أى حال فالنوعين الأخيرين لا يحدثان الا قليلا ونادرا أما العدد الأكبر والغالب من الرهبان فهم من البتوليين الذين لم يسبق لهم زواج ٠ الذين كرسوا للرب انفسهم جسدا وروحا فى حياة طاهرة ملائكية، تتصاعد بخور بتوليتهم كرائحة سرور وذبيحة سـلام فيشتم الرب منها رائحـــة الرضـــا ٠

---

(٤) سنكسار ٢٥ كيهك ٠

(٥) كتاب آباء البرية القديســون للشـماس يوسف حبيب (ص ٢٤ – ٢٦) ٠

(٦) كتاب القديس الأنبا دانيـال قمص شيهيت للشـماس يوسف حبيب ص ٦٥ ٠

هم الذين احتوى حب المسيح حياتهم وشغلوا به عن دنياهم ، فصار الجلوس عند قدميه موضوع سرورهم ، ومشاركته عمله مصدر مرحهم وتبع النمو فيهم ، البتولية التصاق بالرب من كل القلب وتفرغ له وانسكاب على حبه فى فرح وبذل كاملين (٧) .

البتولية فى حياة الراهب شعلة من الحب نحو الله يستمتع بها جياده ويتقدس بها كأنها ذبيحة ، يمارس بها ذبح كل ميل بطال وكل شهوة رديئة وكل سمع أو نظر أو لمس أو قراءة دنسة .

ولا شك ان كل ذبح يرافقه ألم ووجع وتنهد ، وألم العتق من النجاسة أى حرية العفة هو البخور المتصاعد من ذبيحة الحب التى يقربها الراهب لله على مذبح قلبه وجسده .

طريق البتولية هو القمة فى طريق الملكوت ، فقد خلق الله الملائكة بعقل دون شهوة ، وخلق الحيوان بشهوة دون عقل ، وخلق الانسان بعقل وشهوة ، فان تغلبت الشهوة على العقل صار الانسان حيوانا ، واذا تغلب العقل على الشهوة صار الانسان ملاكا بل وأفضل من ملاك .

من أجل هذا يقولون عن الرهبان الذين غلبوا شهواتهم وانتصروا فى جهادهم ضد ميول الجسد الرديئة أنهم ملائكة أرضيون وبشر سمائيون .

والذى يكمل جهاده البتولى الى النهاية ويحفظ نفسه طاهرا سينضم قطعا الى المائة والأربعة آلاف البتوليين غير المتنجسين فى السماء الذين رآهم يوحنا اللاهوتى فى رؤياه « واقفين مع الخروف على جبل صهيون ولهم اسم أبيه مكتوبا على جباههم ، وسمع ترنيمتهم كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم ويرنمون كترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة حيوانات وأمام المشوس ، ولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة الا المائة والأربعة والاربعون ألفا الذين اشتروا من الأرض هؤلاء الذين لم يتنجسوا (٨) مع النساء **لأنهم أبكار** (٩) هؤلاء هم الذين يتبعون

---

(٧) كتاب البتولية والخدمة لنيافة الأنبا اثناسيوس أسقف بنى سويف ص ٩ .

(٨) فى الترجمة القبطية : لم يتنجسوا ثيابهم مع النساء .

(٩) كلمة « أبكار » هنا هى حسب النص اليونانى والقبطى .

الخروف حيثما ذهب . هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف وفى أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب قدام عرش الله (رؤ ١٤ : ١ - ٥) .

وقد وصف القديس أثناسيوس البتولية بأنها علامة الديانة الصحيحة لأن الديانة الحقيقية هى التى تحب البتولية الى الناس خلافا لغيرها فان الهراطقة يكرهون البتولية ويقبحونها .

ملاحظة : أما عبارة « لم يتنجسوا مع النساء » هنا فلا تعنى أن الزواج الشرعى نجاسة لأن الرسول يقول « ليكن الزواج مكرما والمضجع غير دنس » (عب ١٣ : ٤) .

بعض أقوال الآباء فى العفة والبتولية :

وقد ولى الآباء القديسون العفة والبتولية اهتماما بالغا وشرحوا أبعادها وقيمتها وفائدتها .

+ فيقول القديس موسى الأسود : « والذى يتهاون بعفة جسده يخجل فى صلاته (١٠) » .

+ ويقول القديس غريغوريوس الثيئولوغوس « هذه الأشياء الثلاثة يطلبها الله من كل انسان من بنى المعمودية وهى : « ايمان مستقيم من كل القلب وصدق اللسان وطهر الجسد وعفته (١١) » .

وهكذا يضع القديس طهر الجسد وعفته فى صف واحد مع الايمان .

+ وقال شيخ : من يغلب الأسد ليس بشجاع كذلك من يقتل النبوة ليس بجبار ، أما من يخرج من هذا العالم وهو نقى من عيب النساء فهذا هو الغالب (١٢) » .

+ وقال أحد القديسين : ان الذين عندهم ممتلكات أرضية يسهرون لئلا يسلب اللصوص أمتعتهم ، فكم يليق بنا أن نسهر لئلا يسرق العدو

---

(١٠) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٩٦ .
(١١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٩٧ .
(١٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢١٠ .

الشيطان الخير الذى احرزناه أى بتوليتنا ونقاوتنا ومثابرتنا . لان سرقة الذهب والفضة ليست على نفس المستوى ولكنها نسبية اذا قورنت بالبتولية وطريق الحياة الرهبانية ، لأن الذهب ليس اثمن من الرهبنة ولا الفضة اغلى من البتولية ، لذلك فان العدو يتمنى ان يسلبنا اياها بكل ما أوتى من قوة .

فان كان العدو يسهر من اجل الشر ، فكم بالاكثر ينبغى على من له امتعة ثمينة مثل هذه ان يسهر لئلا يعمل العدو من اجل سرقتها .

بعض جهادات القديسين من اجل العفة :

وقد فضل كثير من القديسين الموت او تقطيع الأعضاء على فقد بتوليتهم أو تدنيس طهارتهم أو حتى خدش عفتهم .

فنقرأ عن راهب ، ان ألم الزنا اتى عليه بشدة فلما ازعجه جدا قام وخرج من قلايته ومضى الى جحر ضبعة وهو يقول ، خير لى ان اموت بهذه الضبعة من ان اموت بالخطية ، فاقام هناك ستة ايام وهو صائم لا يذوق شيئا ، وفى اليوم السابع اتته الضبعة بماكول ، فاستمر مقيما فى ذلك الموضع اربعين يوما ، وفى كل اسبوع كانت الضبعة تاتيه بما ياكله ، وبعد ذلك اتاه صوت يقول له ، تقو ، ومن ساعته هرب عنه روح الزنا ، فشكر الله ورجع الى قلايته (١٣) .

كما نقرأ عن احدى الراهبات القصة التالية :

لما ذهبت بيت المقدس ، وقعت عذراء راهبة شابة جميلة فى نصيب احد الفرسان ، فاراد افسادها ، فقالت له . تمهل على قليلا لأن بيدى مهنة تعلمتها من العذارى ولا تصلح لعملها الا عذراء فقال لها : وما هى ؟

فقالت له : هى دهن اذا دهن به انسان فلن يؤثر فيه نوع من الأسلحة البتة ، وانت محتاج الى ذلك لانك فى كل حين تخرج الى الحرب .

فقال لها : وكيف أتحقق من ذلك ؟

فاخذت زيتا ووجهت اليه الكلام قائلة : ادهن رقبتك واعطنى السيف لكى اضربك به .

---

(١٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٠٤ .

فقال لها : لا ، بل ادعني انت رقبتك اولا ، وانا اضرب بالسيف ،

فاجابته الى ذلك ببشاشة ، واسرعت مدهنت رقبتها وقالت : اضرب بكل قوتك فاستل سيفه ، وكان ماضيا جدا ، ومدت القديسة رقبتها ، وضرب بكل قوته ، فتدحرج راسها على الارض ،

وهكذا رضيت عروس المسيح أن تموت بالسيف دون أن تتنس بتوليتها ، فحزن الفارس جدا وبكى بكاء عظيما اذ قتل مثل هذه الصورة الحسنة ، وعرف أنها خدعة لتتخلص من التنس وفعل الخطية (١٤) ، ،

+ يوجد أيضا من القديسين من قطع لسانه ليرميه فى وجه امراة لعوب أخذت مداعبه وهو موثوق اليدين والرجلين لا يقوى على المقاومة ، ويوجد من قطع اصبعه فى حالة ثورة الم الزنا عليه حتى يشفى ألما بالم وغير ذلك كثير وكثير من قصص البطولة فى جهادات العفة ، ، من كل ما تقدم يتبين لنا عظمة العفة والبتولية وحرص الآباء عليها كدرة غالية لا تعوض بثمن ،،

يكفى البتولية فخرا أن السيد المسيح له المجد عندما ولد من العذراء القديسة مريم لم يحل بتوليتها بل جعلها تحتفظ ببتوليتها مختومة ولذلك دعتها الكنيسة « العذراء دائمة البتولية » وندعوها فى تسابيح الكنيسة « العذراء فخر البتولية » ،

٣ ـ الطاعة :

كلمة « الطاعة » فى اللغتين العبرية واليونانية تعنى الاستماع او الاصغاء ،

فالطاعة هى الاصغاء الداخلى لصوت الله الاب او المرشد الذى يرشدنا فى الرب من اجل خيرنا الروحى وخلاص نفوسنا ، ويوصينا الرسول قائلا « اطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق » (اف ٦ : ١) وأيضا « اطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا لكى يفعلون ذلك بفرح لا آنين لأن هذا غير نافع لكم » (عب ٣ : ١٧) ،

---

(١٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٩٧ ،

الطاعة فى الرهبنة هى المسمار الثانى الذى يصلب به الراهب اهوائه الخاصة وارادته الذاتيه بل ويميت كل مشيئته حسب تعبير ادرجى فى قوله « الطاعة هى قبر المشيئة » وايضا « الطاعة هى موت طوعى » .

ومن صميم طقس الرهبنة حسبما هو متبع فى ديرنا القبطية ان الأخ عند رهبنته واعطائه الاسم والشكل الرهبانى يقوم بالآتى :

١ - يعمل مطانيه للهيكل لاظهار خضوعه وطاعته للهوللكنيسة بكل ما فيها من عقائد وتقاليد وطقوس وايمان ومسلمات .

٢ - ثم يعمل مطانية لرئيس الدير لاظهار خضوعه وطاعته لرئاسه الدير ونواميس الدير وانظمته وسبل المعيشة فيه .

٣ - ثم يعمل مطانية لجمع الرهبان ، ثم يمر عليهم فردا فردا يطلب منهم الحل او السماح والرضا عنه وعن رهبنته ، ويعمل ذلك لاظهار خضوعه وطاعته لرهبان الدير الذين قبله والذين سينضم الى مجمعهم العام .

وفى الوصية التى تقرأ عليه فى نهاية طقس الرهبنة يقولون له :

« ... الخضوع والطاعة تكملهما واحرص ان تسمع لمن يرشدك الى طريق الله ووصاياه المقدسة الى حد الموت ، لكى تنال تاج ابناء الله وترث ملكوت السماوات ، ويكون لك نصيب وارث مع كافة القديسين الذين أرضوا الله منذ البدء » (١٥) .

وذلك لأن الطاعة هى قوة النسك وكمال الزهد ، لاننا لم نتخل عن ارادتنا الخاصة فاننا لم نتخل عن شىء ولو كنا قد تركنا وراءنا فى العالم أعظم الغنى وأعلى المناصب .

على الراهب ان يتخلى عن ارادته البشرية ويسلمها الى الارادة الالهية ويقيم فيها على الدوام قائلا « لتكن لا ارادتى بل ارادتك » لو ٢٢ : ٤٢) .

---

(١٥) طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان تنقيح ونسخ الراهب انطونيوس السريانى (قداسة البابا شنوده الثالث اطال الله حياته) ص ٢٣ .

هكذا فهم آباء الرهبنة الطاعة وهكذا مارسوها ثم سلموها لأولادهم ، فكان أول واجب يتعهد به الراهب فى الرهبنة هو الطاعة للشيوخ وعمل كل ما يشير به عليـــه ٠

وكان المتعارف عليه بين الموحدين بوجه عام أنه لكى يؤسس الناسك حياته على أساس متين من الفضائل فى الحيـاة الرهبانيـة عليه أن يبـدأ باخضـاع ارادته لارادة الغير ، واولئـك الذين وصـلوا الى أرقى مدارج الكمال هم الذين برزا اخوانهم منذ البدأ فى الزهد فى ارادتهم الشخصية ٠

وكان أول درس يلقيه آباء التوحيد على من يقصدهم ليتتلمذ معهم هو أن يتجـرد عن ارادته الشـخصية وكانت تمارين الطاعة التى يصـــفها الشيوخ لتلاميذهم ليست من النوع الذى تقبله النفس بسـهولة ، وكانت هذه التمارين كفيلة بأن تعلم الراهب الزهد فى مشيئته الخاصة ، ذلك الزهد الذى يكون الناسك الحقيقى ، والذى بدونه لا يرتفع ابدا الى درجة عالية من الكمال » (١٦) ٠

ويقول يوحنا كاسيان فى كتاب المعاهد « كان الرهبان ـ (خصوصا) خصوصا المبتدئون منهم ـ يسرعون بدون مناقشة لتنفيذ كل الأمـور التى يامرهم بها الدير كما لو كانت أمرا نازلا من السماء ، واذا تضاعف صدور أوامر مستحيلة كانوا يقبلونها بايمـان وتقـوى ويبـذلون أقصى طـاقاتهم ليحفظوها عمليا ، ومن أجل توقيرهم لمدبريهم كانوا لا يعتبرون أى أمر أنه مســتحيل ٠

وكانوا وهـم فى قلايتهم يعمـلون او يتأملون اذا سـمعوا صـوت أى شخص يقرع الباب يندفع كل راهب خارج قلايته ، وحتى ان كان قـد بدأ بكتابة أحد الحروف وسمع القرع على الباب لا يتجاسر أن يكمله بل يتركه ناقصا (كما فعل مرقس تلميذ القديس سـلوانى) لأن هدف الراهب ليس ان ينجز وينهى اعمالا بقدر ما أن هدفه الحقيقى الذى يسعى اليه بكل حرارة ان يقتنى فضيلة الطاعة ، تلك الفضيلة التى كان يضعها الآباء قبل عمـل اليدين والقراءة والصمت والبدو، بل وقبل كل الفضائل الأخـرى ، وكانوا يعتبرون أن كل شىء يمكن تأجيله بالنسبة للطاعة ، وكانوا مسـتعدين أن يتحملوا أية نقيصة فى الأخ المبتدىء ان وجدوه لا يهمل هذه الفضيلة ٠

---

(١) كتاب أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى ص ١١٧ ٠

وكان الآباء يعلمون المبتدئين ألا يكتموا فى قلوبهم أية أفكار فاسدة بدافع الخزى المزائف ، بل عليهم أن يظهروا مثل هذه الأفكار عارية أمام المخبر حتى يستطيع أن يرشدهم ولا يدعهم يعتمدون على فطنتهم الخاصة بل يثقون فى كلمة معلمهم حين يقول هذا جيد وهذا ردىء عن خبرة ، وبذلك لا يستطيع الشيطان ان يخدع راهبا مبتدئا عديم الخبرة أو يستغل جهله ، ولا يستطيع أن يسقط الراهب الذى يراه ، محتميا بمشورة مرشده وليس بمشورة نفسه .

وكانوا يحذرون أولادهم من أن الذى يخفى أفكاره عن مدبره يكون قلبه هدفا للأفكار الشيطانية التى تشبه سهاما نارية ، حيث ان الشيطان لا يستطيع أن يهلك حياة الانسان ان لم يربطه أولا بالكبرياء أو الخوف من الخزى أن يكشف أفكاره .

وكانوا يعتبرونه مبدءا عاما أن الأفكار التى يخزى الراهب أن يعلنها لمرشده الروحى هى من الشيطان (١٧) .

الذى كان يشجع المبتدىء على اطاعة الشيوخ هو الطريقة المتضمنة التى كان الشيوخ يلقون بها تعاليمهم فقد كانوا يلقونها قائلين انهم تسلموها ممن سبقوهم من الآباء وليست صادرة عن ذواتهم ، ولا يخفى ما فى هذه الطريقة من تواضع وانكار ذات من جهة الشيوخ تجعل تلاميذهم يحبونهم ويطيعونهم .

ولقد بارك الرب مرارا طاعة شباب الرهبان لشيوخهم بمعجزات تزيد من شعورهم بالحاجة الى الطاعة وبما لها من قيمة وبركة ، وعلى سبيل المثال نورد الحادثتين الآتيتين :

« دفع الأنبا بموا الى تلميذه يوحنا القصير عودا يابسا وأمره أن يغرسه ويسقيه كل يوم بجرة ماء ، وكان الماء بعيدا عنهما ، فكان يمضى فى العشية ويجىء فى الغد ، وبعد ثلاثة سنين أخضر الغصن وأعطى ثمرة ، فجاء بها الى الشيخ ، فأخذها الشيخ وجاء بها الى الكنيسة وقال للاخوة « خذوا كلوا من ثمرة الطاعة » .

وكان ليوحنا تلميذا انبا « بلا » طاعة عظيمة لأبيه ، وكان يوجد فى تلك الأماكن مقابر ، وكانت تسكنها ضبعة ضارية ، واذ رأى الشيخ هناك قلة

---

(١٧) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢٥ .

يمانية سأل يوحنا ان يمضى ويأتى بها . فقال له : وماذا اصنع بالضبعة يا ابتاه ؟

فقال له الشيخ : ان اقبلت الضبعة نحوك فاربطها وقدها الى هنا .

ثم مضى الأخ وكان الوقت مساء فلما اقبلت الضبعة نحوه تقدم اليها فهربت منه ، فتعقبها قائلا : ان معلمى أمرنى أن امسكك واربطك . فوقفت ، فأمسك بها وربطها واقبل بها نحو الشيخ ، وكان الشيخ وقتئذ جالسا منتظرا مفكرا ، فلما ابصره تعجب كيف أمكنه احضار الضبعة ، واذ أراد ان يحفظه من الكبرياء (زجره) قائلا : لقد طلبت منك ان تحضر لى الضبعة فتمضى وتأتينى بكلب ، وللوقت حلها واطلقها (١٨) .

بعض أقوال الآباء فى الطاعة :

وقد اسهب الآباء فى قولهم عن الطاعة وضرورتها .

فيقول القديس الأنبا انطونيوس أب الرهبان :

« لا تكن قليل السمع لئلا تصير وعاء لجميع الشرور . ضع فى قلبك ان تسمع لأبيك بركة الرب عليك .

وقال : **الطاعة والمسكنة يخضعان لنا الوحوش .**

وقال ايضا : الذين بلا ارشاد يسقطون مثل ورق الشجر لأنهم لم ينتبهوا الى الوصية القائلة « اسأل اباك فيخبرك ومشائخك فيقول لك » (تث ٣٢ : ٧) .

وقال الأنبا باخوميوس أب الشركة :

« اسمع يا ولدى وكن اديبا واقبل التعليم . أحب الذى يؤدبك بخوف الله . كن مطيعا مثل اسحق الذى كان يسمع لأبيه مثل خروف ساذج القلب » .

---

(١٨) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٧٥ وقد وردت هذه القصة منسوبة الى يوحنا القصير تلميذ انبا بموا بينما هى الأخرى اسمه يوحنا تلميذ انبا بلا .

وقال الأب ادرايس : ان الطاعة هي فخر الراهب ، ممن اقتناها يسمع الله صوته ويقف امام المصلوب رب المجد بذاته ، لأن الهنا من أجل طاعته لأبيه صلب عنـــا » .

وقال الدرجي :

« الطاعة هي سير في البحر بدون خطر » .

تماما مثل انسان يعبر بحرا محمولا عـلى ذراعي انسـان آخر يجيد السباحة وينقذها فيخرجان كلاهما الى شاطئ الأمان بسلام .

وقال الأب أورسيوس أحد خلفاء القديس باخوميوس : « الطاعة حياة والعصيان موت » .

وقال شـــيخ :

« لست أعرف سقطة للراهب الا اذا صنع هواه ، فاذا نظرت راهبا قد سقط فاعلم أنه وقع بهواه لأنه فعل برأي نفسه » .

الطاعة تشبه بالمسيح :

يكفي فخرا ان ممارسها يتشبه بالمسيح ، فحينما يضع الراهب في ذهنه أن يمارس فضيلة الطاعة وينقذها فهو يتشبه بالرب يسوع المسيح المطيع لأبيه حتى الموت ، وهكذا يقتني فكر المسيح ويستأسر كل فكر من أفكاره الى طاعة المسيح .

فالسيد المسيح له المجد كان شغله الشاغل وعمله الدائم وطعامه الذي لا يستطيع أن يستغني عنه الطاعة لأبيه السماوي في كل أقواله وأفعاله تأمل في أقواله الالهية الآتية :

+ لأني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني (يو ٦ : ٣٤) .

+ طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله (يو ٤ : ٣٤) .

+ لست أفعل شـيئا من نفسي بل اتـكلم بهـذا كما علمني أبي ، والذي هو معي ولـم يتركني الآب وحدي لأني في كـل حين أفعل ما يرضيه (يو ٨ : ٢٨ ، ٢٩) .

+ ليفهم العالم انى احب الآب ، وكما اوصانى الآب هكذا افعل (يو ١٤ : ٣١) .

+ وعندما عصره الألم اذ تكدست على كتفيه كل خطايا البشرية صرخ فى بستان جثسيمانى قائلا « ان شئت أن تجيز عنى هذه الكاس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك » (لو ٢٢ : ٤٢) وهكذا كان الرب يسوع المسيح يطيع ارادة ابيه السماوى حتى الموت ...

وينصحنا الرسول بولس أن نتشبه بالمسيح فى طاعته فيقول « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع ايضا ، الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله . لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس ، واذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب ، لذلك رفعه الله ايضا واعطاه اسما فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل انسان ان يسوع المسيح هو رب المجد لله الآب » (فى ٢ : ٤ - ١١) . واذ كمل المسيح (اى صار فى المجد بعد الصلب والقيامة والصعود) صار لجميع الذين يطيعونه (بطاعة وصاياه والعمل بها) سبب خلاص أبدى » (عب ٥ : ٩) .

بركة الطاعة للمرشد :

يقول أحد الآباء : ان الطاعة مطمئنة لجميع سهام العدو المحماة . .

كما يحكى لنا بستان الرهبان القصة التالية عن بركة الطاعة للمرشد الروحى :

« كان رجل علمانى معه ابن قطيم ، فذهب به الى الاسقيط وطالت مدته ، فلما كبر الصبى رهبنه ، وبعد قليل بدا الشياطين يحركون فيه الشهوة الرديئة ، فقال لأبيه : انى ماض الى العالم ، لأنى لست قادرا على هذا القتال الصعب ، أما أبوه فكان يهديه ويطلب اليه الا يمضى ، ولكن الشاب كان يعود اليه ويقول : يا أبى لست قادرا على أن أقيم هنا . اتركنى امضى .

فقال له أبوه : اطعنى يا ابنى هذه المرة فقط خذ معك ثمانين خبزة ، وخذ من الخوص ما يكفى لعملك مدة ٤٠ يوما ، وامض الى البرية الداخلية

واقم هناك حتى تفرغ من خبزك وعملك . وبعد ذلك لتكن مشيئة الله فأطاعه الحدث ودخل الى البرية الداخلية واقام بها يتعب ويضفر الخوص ويأكل خبزا يابسا . فلما أتم ٢٠ يوما ظهر له الشيطان الذى كان يقاتله فى صورة بشعة منتنة الرائحة قذرة جدا لدرجة انه لم يستطيع ان يطيق رائحة نتنها ، فجاء الشاب يطردها .

فقالت : لماذا تطردنى الآن ؟ ألست أنا (التى) كنت أنت تشتهينى ؟ ألست أنا (التى) أزرع فى قلوب الناس الأفكار الرديئة وأملأهم شهوة وأسقطهم فى الزنا . أما أنت فمن أجل أنك أطعت أباك . فان الله لم يتركنى لخدعك أسقطك فى الهلاك ، ولكنه نظر الى خضوعك وتعبك وأظهر لك رائحة نتنى بغير هواى .

فشكر الشاب الله وقام من ساعته وعاد الى ابيه وقال له : لا أريد ان امضى الى العالم بعد يا أبى لأنى قد رأيت العدو وتأففت من رائحته النتنه ، وكان ابوه قد أعلن له ذلك ، فقال له : لو صبرت يا بنى الى كمال الأربعين يوما وحفظت تماما وصيتى لكنت رأيت أكثر من ذلك (١٩) .

حقا ان الشيطان بكل وسائل حروبه وخداعاته لا يستطيع أن يخدع او يسقط انسانا حينما يراه محتميا بمشورة وطاعة مرشده وليس بمشورة نفسه ، لذلك قال الحكيم « اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة صالحة لتعبهما ، لأنه ان وقع احدهما يقيمه رفيقه . وويل لمن هو وحده ان وقع ، اذ ليس له ثان ليقيمه » (جا ٤ : ٩ ، ١٠) . وقال ايضا « حيث لاتدبير يسقط الشعب أما الخلاص فبكثرة المشيرين » (أم ١١ : ١٤) ويقول أحد الآباء « ان المشورة محروسة من الشيطان » وكلنا نعرف المثل المشهور « ما خاب من استشار » .

حدود الطاعة للمرشد :

ما أجمل الطاعة وما أجمل الخضوع ، انهما ثمرتان يانعتان من ثمار الاتضاع وثمار التأديب ، وهما دليلان على المحبة والوداعة وطيبة القلب ، وفى الطاعة ايضا انكار الذات وجحود للمشيئة وموت طوعى للارادة الذاتية، ولا شك ان الطاعة تكبر وتعظم كلما اطاع الانسان فيما هو ضد مشيئته واخضع مشيئته لغيره .

---

(١٩) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٩٢ .

ولكن الى اى حد يطيع الانسان ويخضع ؟ وما هى الحدود المعقولة للطاعة ؟ وهل هى طاعة مطلقة عمياء كما يقولون ؟ وماذا يفعل الانسان اذا اصطدمت الطاعة بضميره او بالوصية الالهية ؟ هل يخضع تواضعا ؟ ام يطيع ضميره حتى ولو وصفوه بالكبرياء ؟ .

هنا نقول ان الطاعة ينبغى ان تفهم فى حكمة وتكون طاعة مستنيرة .

الطاعة أولا وقبل كل شىء وقبل كل أحد هى موجهة الى الله ، ثم بعد ذلك نطيع الانسان فى نطاق طاعتنا لله ، اما ان اصطدمت الطاعتان فلا شك أن ضمير الانسان يصغى حينئذ الى قول القديس بطرس « ينبغى ان يطاع الله اكثر من الناس » (اع ٥ : ٢١) (٢١) . وقول الرسول بولس « أيها الأولاد اطيعوا والديكم فى الرب لان هذا حق » (اف ٦ : ١) .

هنا ما أجمل الطاعة والخضوع ولكن فى الرب فقط ، فالمرشد هو بمثابة الراعى الصالح الذى يرعى تلاميذه فى مروج الوصية الالهية الخصبة ويقتادهم الى ينابيع المياه الانجيلية الحية ، ويساعدهم على اكتشاف ما لديهم من مواهب وقدرات والعمل على تنميتها والانتفاع بها ...

ويبين الرسول بولس حدود سلطة الأبوة والسلطان الكهنوتى بقوله « لأننا لا نستطيع شيئا ضد الحق بل لأجل الحق ... السلطان الذى أعطانى الرب للبنيان لا للهدم » (٢ كو ١٣ : ٨ ، ١٠) .

لك أن تناقش مرشدك فى تواضع ومحبة فى كل أمر لا تقتنع به ولا يستريح له ضميرك حتى تصلا بنعمة الله سويا الى نتيجة مريحة ومرضية ، بعد ذلك تنفذ ما اتفقتما عليه بكل دقة وامانة .

كن مطيعا واخضع فى كل شىء بكل اتضاع الى حد الموت ، انكر ذاتك انكر مشيئتك الخاصة ، انكر كرامتك **ولكن لا تنكر ضميرك** ، يقول الحكيم ابن سيراخ « فى جميع أعمالك اقتد بضميرك فان ذلك هو حفظ الوصايا » (س ٣١ : ٢٧) .

---

(٢٠) وقد قال القديس أنطونيوس فى هذا المعنى « لو أمرت بما يخالف الوصايا فقل ان الطاعة لله افضل من الطاعة للناس ، واذكر قول الرب « ان غنمى تعرف صوتى فتتبعنى ولا تتبع الغريب » ، وقال ايضا « كل عمل تعمله ليكن لك عليه شاهد من الكتب المقدسة » .

كيف يقتنى الراهب حياة الطاعة :

يستطيع الراهب بنعمة الله أن يقتنى حياة الطاعة المباركة البسيطة بالطرق الآتيـــة :

١ - التواضـــــع :

فالانسان المتواضع يميل دائما لحيـاة الطاعة والخضـوع للغير ، فالطاعة هى بكر بنات الاتضاع : الانسان المتواضـع لا يتمسـك بآرائه الخاصة ولا يصر عليها الانسان المتواضع يكون مرشدا ، يستشير فى كل شىء ، ومن يستشير فى كل شىء ينجو من فخاخ العدو المنصوبة ، فلى احدى المرات رأى القديس انطونيوس أشراك الشيطان منصوبة على الأرض ، فصلى الى الله وقال : يا رب من ينجو من كل هذه الفخاخ ؟ ! فسمع صوتا يقول له « المتضعون يفلتون منها » .

الانسان المتواضع يحترم آراء الغير ما دامت صالحة حتى وان كانت غير موافقة لآرائه ، حتى وان اضطرته للتنازل عن ارادته الشخصية ..

ومما يدعوا الى عدم التمسك بارادتنا الخاصـة ما نعـرفه عن طبيعة الانسان انها تميل دائما الى الشر وان الانسان دائما يحابى نفسه ويشفق عليها ويميل الى تبرير ذاته عند الحكم عليها مهما كانت آراؤه خاطئة وغير ناضجة ، والنبى يقول « القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس . من يعرفه؟!» (أر ١٧ : ٩) . ويقول الرسول « لسـنا اننا كفاة من انفسـنا أن نفتـكر شيئا كأنه من انفسـنا بل كفايتنا من الله (٢ كو ٣ : ٥) . وما دمنـا لسنا كفاة من انفسنا أن ننفـرد برأينا خصوصـا فى امـور تدبير حياتنا الروحية وخلاص نفوسنا .

الـتى ان خسرناها نكون قـد خسرنا كل شىء فلنسـتمع الى نصـيحة الرسول القائلة « غير مهتمين بالامور العالية بل منقـادين الى المتضـعين لا تكونوا حكماء عند انفسكم » (رو ١٢ : ١٦) ونصيحته القائلة «لاتستكبر بل خف » (رو ١١ : ٢٠) .

٢ - حيـاة التوبة :

الانسان الذى يحيا حياة التوبة يميل دائما الى الطاعة والخضـوع للغير متخذا من ماضيه الشرير المتعثر درسا قاسيا فى عـدم الاعتماد عـلى

حكمته الشخصية وأفكاره وميوله الذاتية لئلا يسقط مرة اخرى فى شروره وأفعاله القديمة اذا هو سلك برأى نفسه ٠

ولهذا فهو يسلم نفسه الى مرشد أمين حتى يأخذ بيده ويوصله الى شاطىء الأبدية بسلام ، « لكى لا يعيش الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لارادة الله » (١ بط ٤ : ٢) ٠

٣ ـ الرغبة التامة فى ترك الهوى :

نستطيع أن نقتنى حياة الطاعة ما دامت لنا الرغبة الأكيدة فى ترك أهوائنا كلها من أجل الله ، كدرجة عالية من النسك والزهد والترك والموت والاخلاء ، عالمين أن الذى يسير بهواه دون مشورة من هم أكبر سنا وأكثر منه خبرة وحنكة وروحانية وعلما ومعرفة يضل الطريق ويكون هدفا لضربات الشيطان الشمالية أو اليمينية ، فتكون أواخر ذلك الانسان أشر من أوائله ٠

لننظر الى شاول الملك عندما تبع هواه ولم يعمل حسب مشورة صموئيل النبى ، وقدم الذبيحة فى غيابه ، ماذا أصابه ؟ رفضه الله من الملك ، فارقه روح الرب وباغته روح ردىء ٠

المستفيد من النصيحة التى أسداها اليه صموئيل النبى ولم يستفد هو منها « هل مسرة الله بالذبائح والمحرقات كما باستماع صوت الرب ٠ **هوذا الاستماع افضل من الذبيحة والاصغاء افضل من شحم الكباش لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم** » (صم ١٥ : ٢٢ ، ٢٣) ولنصغ الى قول المرنم « بذبيحة وتقدمة لم تسر ٠ أذنى فتحت (للطاعة) ٠ محرقة وذبيحة خطية لم تطلب حينئذ قلت ها انذا جئت ٠٠ أن أفعل مشيئتك يا الهى سررت وشريعتك فى وسط أحشائى » مز ٤٠ : ٦ ـ ٨) ٠

٤ ـ الثقة والايمان فى الأب الروحى ومحبته :

بعد أن يسلم الانسان نفسه لأب روحى حكيم وروحانى ومختبر،لكن له فيه ثقة وايمان ، وليحبه كمسئول عن خلاصه ، وكأب حقيقى له بيمه خيره وتقدمه الروحى ، حينئذ يستطيع بلا تعب أن يطيعه ويعمل بكل مشورته الروحانية الصالحة ، ولا يخفى عنه شيئا من كل امور وتصرفاته وخطاياه وضعفاته ونقائصه ، ويقبل كل ما يقوله له بايمان حسب وصية

المرب ، الذى يسمع منكم (يقصد الرسل وخلفاءهم) يسمع منى والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى (لو ١٠ : ٦) . ومثل ما فعل يوليس الرسول عندما صعد الى أورشليم وعرض على الرسل الأقدم منه انجيله الذى يكرز به بين الأمم والتعاليم التى يعلم بها الكنائس التى يؤسسها والسبب فى ذلك يوضحه الرسول نفسه بقوله ، لئلا أكون اسعى أو قد سعيت باطلا » (غل ٢ : ٢) .

ويجب على الراهب ان يجعلها طلبة دائمة فى صلواته أن يصلى من أجل ابيه الروحى ان يعطيه الله حكمة الارشاد والتدبير ويتكلم على لسانه من أجل صالح تلاميذه ، وأن يعطيه هو وبقية اخوته نعمة الطاعة والاتضاع .

واذا اقتنى الراهب حياة الطاعة والخضوع ينال حينئذ البرء من خطاياه والشفاء من أوجاعه وينال الطوبى المعدة للودعاء والطيبين .

٥ - التجرد :

هو المسمار الثالث الذى يصلب به الراهب نفسه على صليب النسك من اجل محبة المسيح الذى اخلى ذاته من كل أمجاده وعاش فقيرا ثم مات على الصليب عريانا وفدانا بدمه الغالى الكريم .

بالتجرد يترك الراهب جميع امواله ومقتنياته ووظيفته ومستقبله العالمى ، لا قسرا أو جبرا وانما طوعا واختيارا عن سرور ورضى من أجل النصيب الصالح الذى لن ينزع منه **وهو حياة التأمل والالتصاق بالله** دون مانع او عائق ، وهكذا يا أخى عربون الحياة الأبدية حتى يكمل نصيبه هناك حيث التأمل فى الله وجها لوجه وليس كما فى مرآه .

حياة التجرد هى اتمام لقول السيد له المجد ، ان أردت ان تكون كاملا فاذهب وبع مالك واعط الفقراء وتعالى اتبعنى حاملا الصليب (مت ١٩ : ٢٠) وان كان الشاب الغنى الذى قدمت له هذه النصيحة لم ينتفع بها فقد انتفع بها كثيرون غيره على مر الدهور والأزمان .

التجرد هو انتصار الروح على الجسد ، وانتصار المحبة على الأنانية وهو يؤهل الراهب للتحليق فى جو الفضيلة اللانهائى بدون موانع او عوائق مادية ارضية ويعبر الراهب عن تركه للعالم وطرحه وراء ظهره بذلك الجزء من القلنسوة التى يلبسها ، فالقلنسوة عبارة عن غطاء للرأس به

اثنى عشر صليبا ، ثم جزء خلفى يتدلى على كتفى وظهر الراهب وهو رمز لطرح العالم وراء ظهره وعدم الالتفات اليه ٠

بعض الأشجار كالكافور مثلا تتساقط قشورها الجافة كلما نمت الشجرة وازداد حجمها وهذا دليل على الحياة والنمو والاخضرار ، هكذا الراهب كلما يحيا فى المسيح ويزدهر فى نموه الروحى وحياته النسكية يطرح العالم عنه بسهولة كما تطرح الشجرة قشورها الجافة عديمة الفائدة٠

يترك الراهب كل شىء لكى يربح كل شىء ، ويقول الرسول « ما كان لى ربحا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة ٠ بل انى احسب كل شىء أيضا خسارة من اجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من اجله خسرت كل الأشياء وأنا احسبها نفاية لكى اربح المسيح وأوجد فيه » (فى ٣:٧ـ٩)٠

بالتجرد يتدرب الراهب على « أن يشبع وان يجوع (فى ٤ : ١١) ويتعلم ان يكون مكتفيا بما هو فيه (فى ٤ : ١١) عالما أن « من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امراة أو اولادا او حقولا من اجل اسم المسيح يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » (مت ١٩:٢٩)٠

وكان آباء الرهبنة يحققون جدا عند قبول الراهب الجديد ويتأكدون أنه قد تخلى تماما وتجرد من كل أملاكه وحسبه ومركزه حتى لا يتكل على شىء او يفتخر بشىء من العالميات بعد اعتزاله العالم وانتظامه فى سلك الرهبنة ٠

ومن قوانينهم فى هذا الشأن ما يأتى :

يجب امتحان من يتركون العالم ليدخلوا الرهبنة ، يجب بصفة خاصة التمسك بأن يتركوا كل غنى هذا الدهر ، وأن ينتزعوا من قلوبهم كل ما تبقى فيها من علاقة به ، فاذا كان المتقدم فقيرا فلا تحسبوا أنه ليس لديه أى ثراء يجب أن يجبر على تركه ، فقد يكون لديه ذلك الغنى الذى يرفضه الروح القدس على لسان الحكيم عندما يقول « قلبى يكره الفقير المتكبر والغنى الكاذب » ويسميه فى موضع آخر متكبر تكسوه الجروح ٠

فيجب اذن على الرئيس ان يلاحظ بعناية كبيرة اذا كان المتقدم فقيرا فليمتحنه جيدا ليعلم ما اذا كان متكبرا ليخلع عنه هذه الحلة الخبيثة ، وليطلب منه بصفة خاصة أن يتخلى تخليا تاما عن ارادته ،

هذه هي الذبيحة التي يفضلها الرب على ما عداها ، وهي التي تعد للخضوع بتواضع ما يؤمر به .

واذا كان طالب الدخول الى الرهبنة يمتلك أشياء عالية فيجب ان يعرض عليه قبل شيء ما يقص عليه الانجيل وهو قول السيد المسيح للشاب الغني « اذهب بع كل ما لك واعطي الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملا الصليب (مر ١٠ : ٢١) . ثم يأمره الرئيس بأن لا يحتفظ بشيء سوى صليب يسوع المسيح ثم اتباع ذلك المعلم الأعظم ، ثم بعد ذلك يجب عليه أن يعلم أن طريق الصليب الذي يجب عليه السير فيه هو قبل كل شيء الطاعة التامة وعدم اتباع رغبته الخاصة (أي ان يتجرد أيضا من رغباته وشهواته وكرامته كما سبق وتجرد من امواله ومقتنياته) » (٢١) .

ويقول يوحنا كاسيان في كتابه المعاهد وهو يصف حياة رهبان طباتسين ونظم معيشتهم .

« ومن بين القوانين المعمول بها انه لا يسمح لأي راهب أن يمتلك صندوقا أو حقيبة ويعتبرها ملكية خاصة له ، ولا يحتفظ بمثل هذه الاشياء كشيء خاص في حوزته ، ونحن نعلم جيدا انهم متجردون تماما من كل شيء ولا يمتلك الواحد منهم شيئا سوى قميص وجلباب وحذاء وفروة خروف وحصيرة خام من البردى .

حتى في الأديرة الأخرى المماثلة حيث توجد بعض المرونة والتساهل نجد أن هذا القانون مطبق بكل دقة .

ولا يستطيع احد ان يخاطر ويقول ان شيئا في الدير ملك له ، وتعتبر عثرة عظيمة لو زلفت من لسان احد الرهبان مثل هذه التعبيرات : كتابي ، قلمي ، ثوبي . ويكون عليه أن يكفر بقانون توبة مناسب اذا تصادف أن زلفت مثل هذه التعبيرات من شفتيه اما عفوا او جهلا .

ولا يوجد بينهم من يدعي لا بالقول ولا بالفكر ان شيئا له ، ويعتبر كل راهب أن كل مخازن الدير تمثل مخزونه الخاص وانه صاحب الكل ، فيهتم بجميعها بكل حرصه وطاقته .

---

(٢١) كتاب الديرة وادي النطرون للدكتور منير شكري ص ١٣٠ - ١٣١ .

وقد عمل هذا النظام الحكم لكى يبلغ الراهب الى تلك الحالة الممتازة من التجرد الذى نذر أن يحفظه الى النهاية كاملا دون كسر ، ويعتبر نفسه كغريب وبعيد عن هذه الأمور ، وعابر سبيل فى هذا العالم ، ويصير نفسه كتلميذ وخادم فى الدير بدلا من أن يتصور أنه سيد ومتسلط على أى شىء » (٢٢) .

وقد سن الآباء هذه القوانين وغيرها لمنفعة الراهب وتقدمه السريع فى طريق الرهبنة والتآمل والاتحاد بالله عالمين أن المقتنيات كثيرا ما تكون عائقا فى ذلك ، اذ تأخذوا ولو جزءا من قلب الراهب واهتمامه ووقته مما يعوق تقدمه ونموه .

فى الحياة الروحية قاعدة تكاد تكون ثابتة وهى أنه كلما قلت التعزيات البشرية زادت التعزيات الالهية ، والعكس صحيح .

التجرد مثال المسيح :

الراهب الذى يحقق فى ذاته التجرد من مقتنيات هذا العالم يكون بالحقيقة سائرا فى طريق المسيح المعلم الأعظم للتجرد والفقر والاختيارى .

فالسيد المسيح له المجد اخلى ذاته من الأمجاد السمائية ونزل على الأرض وصار فى شبه الناس ولم يكتف الرب بهذا التجرد والاخلاء العظيم بل ولد كأفقر الناس فى حظيرة للبهائم ، ولف بالخرق ، ووضع فى مزود من طين على قليل من تبن ، وعاش طول حياته على الأرض فقيرا لا يملك شيئا ، فهو الذى قال للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠) . ولما أراد أن يدفع الجزية لم يكن معه هذا المبلغ الزهيد فاضطر ازاء ضيق ذات اليد أن يرسل بطرس الى البحر بصنارة ليصطاد سمكة فيجد فيها ستارا فيدفع الجزية عن كليهما » (مت ١٧ : ٢٧) .

مثال الرسل :

وقد اقتدى الرسل ومعهم الكنيسة الأولى بالسيد المسيح فى تجرده من حطام العالم والغنى الزمنى والمقتنيات الأرضية لأنه قال « لأنى

---

(٢٢) John Cassian institutes book IV chapters 13,14.

اعطيتكم مثالا » (يو ١٣ : ٥) وقال بطرس الرسول « تاركا لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته » (١ بط ٢ : ٢١) والرسول بولس قال : واما نحن فلنا فكر المسيح » (١ كو ٢ : ١٦) .

ففى بدء خدمة الرسل عندما دعاهم السيد المسيح « تركوا كل شئ وتبعوه » (لو ٥ : ١١) .

تركوا الكل ليتمتعوا برب الكل - اى المسيح .

تركوا الشباك والاسماك ليتمتعوا بملك الملوك .

تركوا السفينة ليتمتعوا بالكنيسة .

تركوا ما هو زائل فنالوا ما هو باق - اى الحياة الأبدية .

وهكذا عاش الرسل قدوة للمؤمنين فى التجرد ، فنرى بطرس الرسول عندما كان صاعدا الى الهيكل ليصلى هو والرسول يوحنا ، وطلب منه الرجل صدقة ، فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال : انظر الينا ، فلاحظهما منتظرا ان يأخذ منهما شيئا ، فقال لى بطرس ليس لى فضة ولا ذهب ولكن الذى لى فاياه اعطيك . باسم يسوع الناصرى قم وامش وامسكه بيده اليمنى وأقامه ففى الحال تشددت رجلاه وكعباه فوثب ووقف وصار يمشى ودخل معهما الى الهيكل وهو يمشى ويطفر ويسبح الله » (اع ٣ : ٤ - ٨) .

ويصف الرسول بولس حالته وحالة اخوته الرسل الآخرين بقوله « كمجهولين ونحن معروفون ، كمائتين وها نحن نحيا . كمؤدبين ونحن غير مقتولين . كحزانى ونحن فرحون . كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ » (٢ كو ٦ : ٩ ، ١٠) .

وقد اقتدت الكنيسة الأولى بالآباء الرسل فى تجردهم فكان الاغنياء من المؤمنين يبيعون ممتلكاتهم ويضعون اثمانها عند ارجل الرسل فيعطى كل واحد كما يكون له احتياج (اع ٢ : ٤٥) « وكان الجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن احد يقول ان شيئا من امواله له بل كان عندهم كل شئ مشتركا (اع ٤ : ٣٢) » .

بعض اقوال الآباء فى فضيلة التجرد :

قد اسهب الآباء فى مدح فضيلة التجرد واعتبروها هى الأساس المتين الذى يجب أن يبنى عليه الراهب كل بنيانه الروحى ويرج فضائله الشامخ .

فيحدثنا بستان الرهبان أن الأب تادرس الفرمى كان يقتنى ثلاثة أناجيل ثمينة جدا فذهب الى الأب مكاريوس وقال له : عندى يا أبى ثلاثة كتب وأنا انتفع منها والأخوة كذلك يستعيرونها وينتفعون منها . فاخبرنى الآن ماذا ينبغى أن أصنع ، هل استبقيها لمنفعتى ومنفعة الأخوة أم أبيعها وأفرق ثمنها على المساكين ؟ .

فأجاب الشيخ قائلا : ان اعمال الرهبنة جميلة **ولكن أعظمها جميعا هو الفقر الاختيارى .**

فلما سمع الأب تادرس هذه الكلمات مضى وباع الكتب واعطى ثمنها للفقراء » (٢٣) .

وقال القديس مكاريوس أيضا :

كمثل انسان اذا دخل الحمام ان لم يخلع عنه ثيابه لا ينعم بالاستحمام ، كذلك الانسان الذى أقدم على الرهبنة ان لم ينعرى ولا من كل اهتمام العالم وجميع شهواته وملذاته فلن يستطيع أن يصير راهبا ولن يبلغ حد الفضيلة ولن يمكنه كذلك أن يقف قبالة جميع سهام العدو التى هى شهوات النفس » (٢٤) .

وقال أحد الشيوخ : « لا تطلب حوائج كثيرة لأنك عاهدت المسيح أن تعيش معه بالفقر ، لأن المسيح هو حياة النفس ، وكل من اقتناه فى قلبه وفى فكره وفى تصرفاته بامتداد عقله اليه فهو الذى ينجح فى سيرة هذا العمر وينال الحياة التى لا تزول » (٢٥) .

---

(٢٣) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٠٣ .
(٢٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٧٤ .
(٢٥) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٦٣ .

وقال شيخ آخر : « لقد سمى الراهب متوحدا لأنه اصبح يعيش وحده ، لا يمتلك شيئا . فان كان له ملك يجار عليه ويظلم فيه أو يجور هو ويظلمه ، فليس هو اذن براهب » .

وقال أيضا : «من لا يستطيع أن يبغض المقتنيات فلن يقدر أن يبغض نفسه حسب الوصية المسيحية » (٢٤) .

وقال آخر : اننا قد أمرنا أن نتجاوز بأنفسنا وأجسادنا ، فكم يجب علينا على أكثر الحالات أن نتجاوز بما هو خارج عنا (من أموال ومقتنيات) ..

هذه هى الأركان الثلاثة الأساسية للرهبنة ، أو الدعائم الثلاث القوية التى يبنى عليها الراهب حياته الروحية ، فينمو ويرتفع ويحلق بعقله فى الروحيات والالهيات دون أن يمنعه أو يعيقه شىء من الهيوليات .

فالبتولية والطاعة والتجرد يسلك الراهب متمتعا بحياة روحية فيها مذاقة الملكوت ويعيش الحياة الأبدية مع المسيح .

---

(٢٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٧٢ .

الفصل الخامس والعشرون

لا شيء اعظم من الرهبنة

وردت في بستان الرهبان القصة التالية :

« اتى للقديس مكاريوس يوما احد كهنة الاصنام ساجدا له قائلا : من اجل محبة المسيح عمدني ورهبني . فتعجب الاب من ذلك وقال له : اخبرني كيف جئت الى المسيح بدون وعظ ؟ !

فقال له كان لنا عيد عظيم ، وقد قمنا بكل ما يلزمنا ، وهكذا نصلي الى منتصف الليل حتى نام الناس ، وفجاة رايت داخل احد هياكل الاصنام ملكا عظيما جالسا ، وعلى راسه تاج كبير وحوله اعوانه الكثيرون فاقبل اليه واحد من غلمانه ، فقال له الملك : من اين جئت ؟ فاجاب : من المدينة الفلانيه . قال : واى شيء عملت ؟ . قال انقيت في قلب امراة كلمة صغيرة تكلمت بها الى امراة اخرى لم تستطع احتمالها فادى ذلك الى مشاجرة كبيرة بين الرجال تسبب عنها قتل كثيرين في يوم واحد . فقال الملك : ابعدوه عني لانه لم يفعل شيئا . فقدموا له واحدا آخر ، فقال له : من اين جئت ؟ قال : من بلاد الهند . قال : وماذا عملت ؟ أجاب : دخلت دارا فوجدت نارا سقطت من يد صبي فاحرقت اخار الدار ، ثم وضعت في قلب شخص ان يتهم شخصا آخر وشهد عليه كثيرون زورا بانه هو الذي احرقها قال : في اي وقت فعلت هذا ؟ قال : في نصف الليل فقال الملك : ابعدوه عني خارجا . ثم قدموا اليه ثالثا ، فقال له : من اين جئت ؟ أجاب : كنت في البحر واقمت حربا بين الناس فغرقت سفن وتطورت الى حرب عظيمة ثم جئت لاخبرك فقال الملك : ابعدوه عني . وقدموا له رابعا وخامسا ، وهكذا امر بابعادهم جميعا بعد ان وصف كل منهم انواع الشرور التي قام بها حتى آخر لحظة .

اخيرا تقدم اليه واحد منهم ، فقال له : من اين جئت . قال : من الاسقيط . قال له : وماذا كنت تعمل هناك ؟ قال : لقد كنت اقاتل راعيا واحدا ، ولي اليوم اربعون سنة ، وقد صرعته في هذه اللحظة واستلبته فجئت لاخبرك ، فلما سمع الملك ذلك قام منتصبا وقبله ونزع التاج من على راسه والبسه اياه واجلسه مكانه ، ووقف بين يديه وقال : حقا لقد تمت

بعمل عظيم . فلما رأيت انا كل ذلك وقد كنت مختبئا فى الهيكل ، قلت فى نفسى : **ما دام الأمر كذلك فلا يوجد شيء اعظم من الرهبنة** ولوقت خرجت وجئت بين يديك .

فلما سمع الأب مكاريوس منه هذا الكلام عمده ورهبنه ، وكان فى كل حين يقص على الاخوة أمر هذا الرجل الذى أصبح بعد ذلك راهبا جليلا » (١) .

حتا لا يوجد شيء اعظم من الرهبنة سموا وكمالا روحيا فيقول أحد الشيوخ « ان المسيحيين الحقيقيين هم أفضل الشعوب والرهبان أفضل المسيحيين » وقال آخر « لا تكون تحت السماء أمة مثل المسيحيين اذا اكملوا ناموسهم ، كما لا توجد مرتبة جليلة كمثل مرتبة الرهبان اذا حفظوا طقوسهم » (٢) .

يأمرنا الرب قائلا « كونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذى فى السماوات كامل (مت ٥ : ٤٨) والرهبنة تساعد الانسان لبلوغ اعلى قمم الكمال الانجيلى بما تقدمه للراهب من تسهيلات للتفرغ وبمساعدة المعيشة والمناخ الملائم لتنفيذ الوصايا الانجيلية والممارسات التقوية ووسائط النعمة بكل انواعها ، لذلك سماها مار اسحق « فخر بيعة المسيح » فيقول « ان السيرة الرهبانية هى فخر بيعة المسيح ، لذلك ينبغى على الراهب أن يكون فى كل أموره رسميا ومنفعة لناظريه ، لكى من كثرة فضائله البهية ومناقبه التى تضارع شعاع الشمس نورا ، يعترف الكل بأن للمسيحيين رجاء خلاص اكيد ، فيسارعون اليه من كل مكان كانه ملجأ ، ويتحرك كثيرون لمماثلة فضائله ويخرسون من العالم ، ويكتسب بنو البيعة البهاء من جمال سيرته » (٣) .

ويقول الدكتور راغب عبد النور فى كتابه « الأنبا انطونيوس حتمية روحية وكنسية » الرهبنة ليست دعوة انعزالية ، انما هى دعوة كمالية نحو الأفضل ، وكل انسان منا يشتاق الى الكمال والى الأفضل والرب يسوع المسيح نفسه جاء ، ليكون لنا حياة وليكون لنا أفضل » (يو ١٠ : ١٠) .

---

(١) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ٢ .
(٢) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٢٦ .
(٣) مار اسحق ج ٣ باب ٩ .

يقول القديس يوحنا القصير « بالرغم اننا (أى الرهبان) نعد قليل فى نظر الناس لكن دعونا نقدر الشرف الذى لنا أمام الله » (٤) ٠

وفى الفصول السابقة من هذا الكتاب عرفنا ان الرهبنة حياة كتابية لها اثباتها وابطالها من شخصيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والرهبنة امتداد لعصر الاستشهاد وحرارة الايمان ، والرهبنة جندية صالحة ليسوع المسيح ، فيها لا يرتبك الراهب بأعمال الحياة العالمية لكى يرضى من جنده (٢ تى ٢ : ٤) ، والرهبنة أفضل من المملكة الأرضية ، لأنها توصل الى المملكة السمائية غير الفانية ، والرهبنة فلسفة المسيحية وكمال حكمتها الروحانية الالهية ، والرهبنة حياة توبة بالمعنى العميق لكلمة التوبة ، والرهبنة حياة غربة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، والرهبنة حياة تكريس على أعلى مستوى ، والرهبنة حياة صلاة واتحاد بالله ، والرهبنة حياة قلعة مبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع نفسه حجر الزاوية (أف ٢ : ٢٠) ، والرهبنة حياة تنفيذ الوصية الالهية بكل قوتها وعمقها وعلوها بدون لف أو دوران أو تخفيف أو تسهيل ، والرهبنة حياة استعداد لمجيء المسيح الثانى خلوا من أية عوائق أو ارتباطات عالمية أو مادية ، والرهبنة حياة ملائكية وشركة مع السمائيين فى طهارتهم وتسبيحهم الدائم ، والرهبنة حياة فرح روحى لا ينطق به ومجيد (١ بط ١ : ٨) ، والرهبنة بأركانها الثلاثة الأساسية من بتولية متانتة وطاعة محمودة وتجرد متكل على الله الذى يعول طيور السماء ٠ هى حياة شركة مع المسيح المصلوب ٠

من كل هذا نستطيع أن نقدر الشرف العظيم والكرامة الضائعة التى للرهبنة كما يقول القديس يوحنا القصير فى عبارته السابقة ، ونستطيع أن نقول بثقة « **لا شىء أعظم من الرهبنة** » ٠

نشكر الله أبا ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى جعل فى الكنيسة المقدسة طغمة الرهبنة لتكون حارسة أمينة على تعاليم ووصايا الانجيل وعقيدة الكنيسة وروحانياتها ، الى أن يجىء رب المجد يسوع المسيح ويستلم كنيسته المقدسة ، كعروس نقية لا دنس فيها ولا غضن ولا شىء من مثل ذلك ٠ (أف ٥ : ٢٧) ٠ آمين ٠

---

(٤) بستان الرهبان طبعة مطرانية بنى سويف ص ١٢٥ ٠

فهرس

	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
الرهبنة دعوة أم واجب	١٤
بعض العقبات التى تقابل المشتاق للرهبنة	٢٦
بركات الدعوة للرهبنة	٣٢
رحلة الراهب الى المديرية	٣٩
محك الاختبار الأعظم	٦٠
الواجبات الروحية للأخ تحت الاختبار	٧٤
طقس الرهبنة	٨٣
كيف يقضى الراهب يومه	٩٢
حياة الوحدة فى الرهبنة	١١١
الرهبنة والكتاب المقدس	١١٦
الرهبنة امتداد لعصر الاستشهاد	١٣٦
الرهبنة حياة جندية صالحة للرب يسوع	١٤٢
الرهبنة أفضل من الملكة	١٥٦
الرهبنة فلسفة المسيحية	١٦٢
الرهبنة حيـــاة توبة	١٧٠
الرهبنة حياة غربة وموت عن العالم	١٨٣
الرهبنة حياة تكريس	١٩١
الرهبنة حياة صـــلاة	١٩٥
الرهبنة حياة تلمـــذة	٢١٠
الرهبنة حياة تنفيذ الوصـــية	٢٢١
الرهبنة حياة استعداد لمجيء المسيح	٢٢٩
الرهبنة حياة ملائكية وطقس سمائى	٢٣٦
الرهبنة حياة فرح روحى	٢٤٠
الأركان الأساسية للرهبنة	٢٥١
لا شىء أعظم من الرهبنـــة	٢٧٧

رقم الايداع بدار الكتب ٨٥/٣٠٨٨

القاهرة الحديثة للطباعة

احمد سمير الدين الجيوشى

تصميم والأخراج الفني ـــ موريس عزيز

يطلب من مكتبة الشباب بالأنارويس بالعباسية